

٣ قروش

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

أغسطس ١٩٤٧

خُلُق الحاكم

قال بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلامٌ فى شىء . فقال له الرجل : اتق الله يا أمير المؤمنين . فقال له رجلٌ من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لى ، نِعمَ ماقال ! ثم قال عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم .

دخل النخار العذرىُّ على معاوية بن أبى سفيان فى عباءة فاحتقره ، فرأى ذلك النخار فى وجهه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك إنما يكلمك من فيها . ثم تكلم فملأ سمعه ، ثم نهض ولم يسأله شيئاً . فقال معاوية : مارأيت رجلاً أحقر أولاً ، ولا أجلّ آخراً منه .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol. 8, No. 48, AUG. 1947

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولم [illegible]
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٠ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشا مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

هوارت لويس . إدوارد كارديناس ، دجلاس لارسن ، ج . ج نزبيت (نيويورك ، الولايات المتحدة) .
أونى كمستر (كوبنهاجن ، دنمارك) . روبرتو سانسيز (هفانا ، كوبا) . س . روتسالا ([illegible])
ترنس هارمان (لندن ، إنجلترا) بول و . طمسون ، بير دوتوابيه (باريس ، فرنسا) . [illegible]
تور آرين (أستوكهلم ، السويد) . جون كوبر (سدنى ، أستراليا) . دنيس هالك إنغوى ، يوشيو [illegible]
(طوكيو ، اليابان) . ه . أوبيت (أسلو ، النرويج) :

مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٨

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أغسطس ١٩٤٧

بلد عريق فى التاريخ ، وافر الثروة ، يتطلع بثقة إلى المستقبل

هيلا سيلاسى
كيف يجدد حياة بلاده

تمبل فيلدج

مختصرة من صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"

أمامك بلاد سكوره جديدة كأنها من نسج الأساطير، تقضى فيها إجازتك فى عام ١٩٤٨ — إذا أنت طرت إلى بلاد الحبشة ، وهى بلاد قصية رائعة بفخامتها وفطرتها، وروعة جمالها الذى لم تمسه يد بتهذيب .

ولو أن أثيوبيا وضعت فوق خريطة أوربة لامتدت طولا من غرب فرنسا إلى شرق ألمانيا ، أو من باريس إلى فينا . وتنخفض الصحراء فيها إلى مثل أعمق موضع فى بحيرة طبرية ، وتذهب قمم الجبال التى ينحدر منها النيل الأزرق إلى أعلى من جبال الألب . وفيها من الشلالات — مثل شلال تكيز ، أى المخوف — ما يهبط إلى ثلاثة أمثال العمق فى منخفض القطارة. ولو رأى معدنو البلاد الأخرى كتل الذهب فى أقليم جامو لفهقوا من الدهشة، ولو اطلع معبئو الفاكهة على الفواكه الشهية فى مرتفعات بارودا لراحوا يهذون بها . وكل إنسان خليق أن يعجب بجو أديس أبابا الصافى المعتدل ..

وقد ظلت هذه البلاد ستة آلاف عام وهى من أظلم مجاهل إفريقية ، وحاول ستة من الغزاة القادمين — المصريين ، والفرس،

والرومان ، والعرب ، والبريطانيين ، والإيطاليين — أن يكشفوا عن كنوزها، ولكنه ما من أحد استطاع أن يفتح الصحراوات المترامية الأطراف ،ولا الأدغال الرطبة المتلظية ، ولا الجبال الوعرة . ولقد استغلت كينياو الكونغو وغيرها من البلاد المجاورة،من أجل العاج والمطاط والذهب، أما أثيوبيا ، وهى أغنى الجميع ، فقد بقيت راقدة لايزعجها أحد .

وقد احتـــاج الأمر إلى الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول ، سـليل الملك سليمان وملكة سبأ ، ليفتح أبواب بلاد ظلت فى عزلة تامة تقريبـاً طول عصور التاريخ المعروف . وهو حاذق ، بعيد النظر ، نزّاع إلى التقدم ، وقد عاد من منفاه فى ١٩٤١ بمشروعات تكاد تكون خيالية . وكانت جيوش موسولينى قد خربت مدنه،وذبحت كل رجل تلقى تعليما ثانويًـا ، ونهبت كنوز الإمبراطور ، ومع ذلك فعل المستحيل فى بضع سنوات قليلة .

وأداته بسـيطة : لفيف من الخبراء ، وخط جوى حكومى . وقد استعار من أمريكا خبراء فى الشئون الخارجية،والتربية، والصحة العامة ، والمالية . وبعثت إنجلترا إليه بضباط لإعادة إنشاء جيشه الممزق ، وبعثت السويد برجال الطب والطيران ، وأرسلت سويسرة المهندسين وخبراء الفنادق، ونفذ الإمبراطور مقترحاتهم بسرعة .

وقبل الحرب ،كانت الرحلة من القاهرة إلى أديس أبابا — عاصمة أثيوبيا — شاقة مرهقة تقطع فى أربعين يوما بالباخرة والسكة الحديدية المزعجة ، ولهذا وقع الإمبراطور عقداً مع شركة الخطوط الجوية العالمية ، وعهد إلى أوبى أوبر ميللر، ودانش هولوى من رواد شركة الخطوط الجوية العالمية ، أن ينشئا خطاً جوياً ، فجاءوا بالفائض من طائرات النقـل ، وبحفنة من الطيارين العسكريين سابقاً ، فأنشأوا خطًّا من آمن الخطوط فى العالم ، وأبعثها على الاطمئنان ، تشق طائراته الآن طريقها فوق البلاد .

اركب الطائرة الأثيوبية من القاهرة عند طـلوع الفجر ، فيكون أمامك عشر ساعات من الطيران تخطف الأنفاس ، وتحلق فوق الصحراء والجبال السود حتى تبلغ الشاطىء،ثم تتبع ساحل البحر الأحمر المتلظى ثلاث ساعات. وفى أسمرة ، بأريتريا، وفى مهبط على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم تكتنفه السحب ، تستريح ، فترى الأهالى السود يحتشدون حول الطائرة .

ومن أسمرة تطير فوق بطون بحار كانت زاخرة بالماء قبل التاريخ ، وفوق دخان البراكين وبخارها ، وفوق أشد طرق العالم

تلوياً وتعرجاً. وتنفذ بعض قمم الجبال فرادى إلى السحب وتدخل فيها كأنها أصابع ضخمة مشوّهة، وترى على سطحها المستوى أسراباً لا نهاية لها من التياتل وحمر الوحش وغيرها تتفرق مذعورة حين تسمع هدر محركات الطائرة. وتطوف الطائرة بأديس أبابا — وفيها من السكان ١٨٠٠٠٠ نسمة — وهى فى قلب الهضبة الوسطى الكبيرة، وتهبط فى المطار، فتدرك أنك لقيت فى سفرك مما يحرك النفس ما لا يمكن أن يتاح فى أية رحلة جوية أخرى فى العالم.

ويحييك موظفو إدارة الهجرة بقولهم: « أهلا سيدى »، ويشيرون إلى الجمارك بابتسامة ودية، فتمرّ بها. وبعد عشرين دقيقة فى السيارة تمر بالفندق الجديد الذى سيتم بناؤه فى ١٩٤٨، فإذا تمّ ضارع خير ما فى العالم، بما فيه من أسباب الراحة وحسن الخدمة وسيجهز بكل ما يعرفه خبراء الإمبراطور السويسريون من أدوات الترف — وفى جملة ذلك حمامات للماء المعدنى الساخن فى كل غرفة.

وفى قاعة الطعام فى الفندق الإمبراطورى القديم يبدأ الطعام بالحساء، ولحم الضأن، والدجاج، والسمك النهرى اللذيذ الطرى، ثم يقدم الندل اللون الرئيسى — شريحة سميكة من اللحم مع أربع بيضات، وعلى صحن آخر خمسة أنواع من الخضر أو ستة، وفى سلة من الأعواد المجدولة نوعان من الخبز الوطنى. وبعد سلطة الخضر الشهية، تقبل عربة الفاكهة إلى المائدة وعليها كل مغر من القاوون والبطيخ والمنجة والتوتّ البرى، وتنكر عينيك حين يقدم إليك بيان الحساب، فإنه لا أكثر من ريال واحد!

وتتمشى فى الشوارع بعد العشاء — محاذراً من مركبات الخيل، والسيارات، وسيارات الأجرة القديمة، فترى المدينة غاصة بالبشر — بالجالا الشُّعْث من منطقة النيل الأزرق، والهنود المعممين، وبالعمالقة من حرس القصر فى ثيابهم العسكرية. ويقوم بالعمل فى الدكاكين المكشوفة أمهريات حافيات يرتدين قمصاناً محبوكة وقمصاناً بيضاً من القطن. ويتفق أن تكون رواية « الجو العاصف » معروضة فى قاعة السينما بالفندق، فترى الفتيات فى الدهاليز، وشعورهن على هيئة المروحة، يحدقن مفتونات فى صورة جين أوترى. وفى ملاهى الليل، يقدمون لك الشراب الوطنى المصنوع من العسل المخمر.

ويؤاتيك النوم بسهولة، وإنك لفى المنطقة الاستوائية، ولكن أديس أبابا على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم، والليالى متلألئة صافية،

وثياب الربيع الخفيفة تلبس كل يوم على مدار العام .

وفى الصباح تجوب السوق وفيها البيضة بنصف قرش ، والخروف بريالين ونصف ريال ، والقردة ، والغزلان ، والنعام الصغار ، وجلد الفهد بحفنة من القروش . ولكن ثمن أنبوبة من معجون تنظيف الأسنان خمسون قرشاً ، وجالون من دهان السيارات بثمانية جنيهات ، وعجلة سيارة النقل ٧٥ جنيها .

ويدعوك الطيار الذى جاء بك إلى الخروج معه للصيد فى يوم إجازته ، فتركب معه سيارته الجيب ، وتجتاز الشوارع المتعرجة ، وتصعد فى تل وعر ، ثم تخرج إلى أرض ليس فيها دروب ، ولكنها مرج كالبساط الناعم المحلى بالألوان البديعة ، وفيها آلاف من أنواع الزهر البرى ، وعند الأفق أشجار مبعثرة أعاليها مسطحة كأنها حاملات طائرات صغيرة ، وعلى بعد غيضة ترى نوّارها أزرق تحت أشعة الشمس .

ويقف السائق فجأة ويصيح بك : « أسرع ! فهذا هو ! »

وترى شيئاً رمادياً يتسلل بين الأعشاب ، فتشب إلى قدميك ، وترى خنزيراً برياً ضخماً هو أكبر ما رأيت من نوعه فى حياتك .

ويقول الطيار : « لم يستوف حظه من النمو بعدُ » .

وفى ساعتين تكون ملأت عيابك بخمس ضباع وورشق ، وقد تغاضيت عن آلاف لا تحصى من الدرّاج والإوز البرى والبط البرى والدجاج الحبشى .

وتمضى الأيام سراعاً فى هذا الفردوس ، تصيد السمك فى بحيرات جبلية فيروزية الماء ، تغص بالسمك الشديد المراس الذى يزن عشرة أرطال ، أو الذى يبلغ طوله خمس أقدام ، وبأنواع غريبة أخرى لا تزال مجهولة الأجناس . وتتوغل جاهداً فى جبال وعرة ، وتسبح فى الماء المتجمع فى فوهات البراكين الخامدة وهى سود كالأبنوس ، وتذهب إلى المراعى المعشوشبة الساجية الجو فى الهضبة الوسطى ، وتطوف فيها مفتوناً بالخيل الصغيرة ، والغنم الدقيقة السمينة الذيول ، والمعز السمينة وطول شعر ذُؤابتها ١٦ بوصة .

وتقصد أكسوم التى أسسها ابن حام ابن آدم لترى آثاراً مما يعتقد أنه تابوت موسى . وفى أثناء الرحلة الجوية التى تستغرق تسعين دقيقة ترى نهراً يزأر وهو يتحدر فى وادٍ عمقه ميل ، ثم يغيب ويختفى فى رمال الصحراء الظمأى . وفى يوم الأحد تمشى إلى الكنيسة القبطية المثمنة الجوانب حيث يقوم القساوسة الطوال اللحى بالقداس المسيحى بلغة جيز المندثرة .

أتريد أن تطيل الإقامة ؟ إذن استأجر بيتاً وانضم إلى الجاليــة الأجنبية المرحة . وتكاليف المعيشة لأسرة مكونة من أربعة أشخاص، بما فى ذلك الطعام وأجور الخدم، تبلغ نحو ٢٤ جنيهاً فى الشهر ، يضاف إليها أجرة البيت التى لا تكاد تذكر .

وبعد عودة هيلا سيلاسى،وضع مشروع لنظام دستورى برلمانى ، وهــذب النظام القضائى العتيق ، وحلت المستشفيات محل الأطباء السحرة ، ونظم جيش حديث من أولئك المساكين الذين كانوا يحملون بنادق من طرازسنة ١٨٧٠ يوم حاربوا موسولينى، وثبتت العملة بالريالات الأثيوبية على قاعدة الذهب ، والريال يساوى عشرة قروش .

وثلث الميزانية التى تبلغ ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه مخصص للتربية، وقد فتحت فى العاصمة مدرسة فنية حديثة يعتز بها هيلا سيلاسى ، ويتعلم الصبية الذين لا خبرة لهم إصــلاح سيارات النقل والساعات والآلات .ويوضع مشروع لإنشاء جامعة قوميـــة ، وإلى أن ينفذ هذا ، يتنافس صفوة الشباب الأثيوبى فى الدراســة على نفقة جلالته الشخصية فى جامعات إنجلترا وكندا وفرنسا وأمريكا . وقدصنعت آلة كاتبة فيها٢٤٧حرفاً أمهرياً، ومتى تمت أعفت مئــات من الكتبة كانوا وما زالوا مضطرين أن ينسخوا بأيديهم كل وثيقة فى محفوظات الحكومة . وقد قتل الإيطاليون نحو ٧٠ فى المئة من الأثيوبيين المتعلمين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقضوا على رغبة هيلا سيلاسى القوية فى تعليم أمته .

ولكن الأمر لايزال محتاجاً إلى معجزات أخرى ، فلا بد من شق الطرق حتى يتاح الوصول إلى قطعان الماشية التى لا تحصى ، وإلى الغابات التى لا يدرك مداها الخيال . ولا بد من تركيب آلاف من أطنان آلات التعدين لاســتثمار مناجم البلاتين والذهب والحديد والفحم التى لا تزال بكراً . وهناك آبار زيت يجب استغلالها . وينبغى أن تستورد الحبشــــة السيارات والمسالف والأجهزة الصناعية الثقيلة بدلا من الأقمشة القطنية والملح وهما أهم الواردات. ويجب أن يوسع نظام الشحن الجوى الذى ينقل الآن البضائع إلى جيبوتى وعــدن ، حتى يصير عشرة أمثاله .

ويعالج هيلاسيلاسى المهمة بثقة وبصيرة؛ ولا شك أن إصلاح ٣٥٠٫٠٠٠ ميل مربع وترقية ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الأنفس يستغرق وقتاً ، ولــكنه هو ومستشاروه الخبراء يتوقعون أن يكونوا قد أتموا أهبتهم لاستقبال أول فوج من الزوار فى ١٩٤٨ — سواء أكان مطلبك متعــة الإجازة أم العمل الصناعى .



ج . ب . ماك إيفوى
مختصرة من مجـلة " ذى روتيريان "

روى لى صاحبي أن خير درس تلقاه فى حياته ، كان يوم ذهبت به أمه إلى المطبخ، وأخذت رأساً من البطاطس ووضعته فى ماء مغلى ، وتركته هنيهة ، ثم أخرجته وقالت : « إليك يابنى فالتقطه ! » وقذفت إليه برأس البطاطس الساخن . فأخذ ينقله بين يديه وهو بادى الحيرة والجزع، وأمه تضحك، ثم قالت: « ويحك ، ألا تعرف ماذا تفعل به؟ »

وقال صاحبي : « وإذا بى أقذف برأس البطاطس السخن إلى أمى ، فأخذتها الدهشة على مالاح لى ، ولكنها التقطته ، وألقته ثانية فى الإناء وقالت : هذا درس ينبغى لك أن تتذكره ماعشت ، فإذا قذف إليك أحدهم برأس بطاطس سخن — فرده إليه » .

ويقول صاحبي إنه ظل سنوات لايدرك حكمة قولها ، مع أنها بينت له أن المقصود « برأس البطاطس السخن » هو كل مشكلة يشق علاجها ، أو كل سؤال تتعذر الإجابة عليه . والأغلب أن تواجه المشكلة أو يطرح عليك السؤال دون إنذار سابق . وقد قالت له أمه : « سوف تلقى حياتك رجالا على حظ وافر من الذكاء ولكنهم يؤثرون التظاهر بالبلاهة ، فلا يجيبون على أسئلة توجه إليهم بل يحيلونها إليك. أو قد يمسكون عن الكلام حتى يستدرجوك إليه محاولين أن يعرفوا ماتعرفه أنت، وأن يتبينوا كيف تعالج مسألة من المسائل — أى أن همهم منصرف إلى تبين ما عساك أن تفعل برأس البطاطس السخن الذى قذفوا به إليك . فإذا أطلت تنقيله بين يديك ، فربما برد حتى يسهل عليهم أن يأخذوه بأيديهم ، أو ربما تبينوا وأنت تنقله بين يديك ، خير وسيلة لحمله دون أن يحرق أيديهم » .

وهذه قصة تعلق بنفسك وتثير كوامن الذاكرة . وقد ذكرتنى بشىء كان أبى يقوله لى: « يابنى، إنك لتحسن صنعاً فى هذه الحياة، أن تذكر أنك إذا ما تكلمت فأنت تردد ما تعرف . أما إذا أصغيت إلى غيرك فأنت خليق أن تتعلم شيئاً جديداً » .

وقد مضى على زمن وأنا أتتبع سيرة شاب وفق فى عمله توفيقاً باهراً منذ خلع ملابس الجند . وهو فتى ضئيل الجسم هادئ الطباع ، يؤلف الشركات ويقيم المصانع ويجمع

الملايين ، فإذا وجه إليه سؤال فى اجتماع من اجتماعات مجالس الإدارة التى صار عضواً فيها أو رئيساً لها ، يحيل السؤال على آخر ، ويتبعه بكلمة إطراء فيقول : « أنت واسع العلم بهذه المسألة — فما هو رأيك أنت ؟ » .

فإذا أوفى الاجتماع على نهايته تراه قد جمع خير المقترحات ، ثم يطرح منها ما لا يوافق خطته ونهجه ، ويرتب ما يختاره ترتيباً حسناً ويضيف إليها بعض ما عنده ، ثم يعرضها عرضاً مغرياً كفيلا بقبولها ، فإذا هى طبق شهى صنعه من البطاطس السخن الذى تناقلته الأيدى حول مائدة الاجتماع .

وذكر لى أنه تعلم هذا الأسلوب من ضابط صغير فى الجيش كان يحضر اجتماع هيئة أركان الحرب ، فيصغى إلى ما يقال ويطرق برأسه أحياناً إطراقة المفكر . وكان إذا ألقى إليه سؤال يحيله فى أدب بالغ إلى ضابط كبير ، فيرتاح هذا إلى ما يراه فى الضابط الصغير من دلائل التوقير لرأيه . فإذا ما أشرف الاجتماع على الانفضاض ، سئل كل ضابط عن صفوة رأيه وما يوصى به ، فإذا هذا الشاب الهادىء يلقى على الحاضرين مجملا للبحث الذى دار ، ويضمنه خير الآراء والمقترحات .

وقال صاحبى : « فتعلمت أن اختيار الوقت الموافق له شأن عظيم . تعلمت أن أراقب ما يدور وأن أتمهل وأن أدرس وأفكر . وقد اتسع لي الوقت حتى أقذف رأس البطاطس السخن إلى رجل آخر » .

وهى حيلة صغيرة ينفعك اتباعها ، فإنك لا تدرى متى تحتاج إلى الانتفاع بها ، وينبغى لكل أم أن تلقنها لولدها . أما الفتيات فيتعلمنها بدافع من فطرتهن ، فهذا هو دأب النساء . وأحسن قصة سمعتها عن قدرة المرأة على الانتفاع بهذه الطريقة ، ما روته لى فالنتينه صانعة الأزياء المشهورة فى باريس ، قالت :

كان جاك يئن ويتأوه فى فراشه ذات ليلة فقالت له زوجته : « مابك ياجاك ؟ » فقال إنه مدين لجاره موريس بمئة ريال ينبغى أن تؤدى فى صباح الغد ، ولكنه لا يملك المبلغ لوفاء دينه ، وقد بلغ منه القلق حتى عجز عن النوم ، فما كان منها إلا أن فتحت النافذة ونادت بأعلى صوتها « موريس ، موريس ، استيقظ ! » فهب موريس من سريره كالمذعور وجاء إلى النافذة وهو يفرك عينيه وقال : « ما الخبر ؟ ماذا حدث ؟ » فأجابته زوجة جاك : « أحببت أن أخبرك أن جاك لا يستطيع أن يسد لك دينه صباح غد لأنه لا يملك المال » . ثم أقفلت النافذة والتفتت إلى زوجها وقالت : « نم الآن يا جاك ، ودع موريس للقلق والسهد » .

بدت الجريمة كأنها من الجرائم الكاملة التي يلفقها خيال الروائيين ،
وظل رجال الشرطة سنتين يقتفون المجرم مستهدين بأثر ضئيل .

بصمة إصبع



إدجر هوفر
مدير مكتب الأبحاث الجنائية بالولايات المتحدة

في الحياة ، كما يحدث في القصص ، يحدث أن يؤدي الأثر الضئيل إلى كشف سر بعض الجرائم الكبيرة . وخير مثال على ذلك هو حادث السطو والقتل في المصرف الأهلي بمدينة لامار بالولايات المتحدة .

ففي ظهر يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ دخل هـذا المصرف أربعة رجال ، وكان معظم موظفيـه قد انصرفوا إلى غدائهم ، وبقي مديره نيوتون باريش وراء شباك الصرف . فلما رأى القادمين يخرجون مسدساتهم ، سارعت يده إلى أحـد الأدراج وأخرج مسدسـاً وأطلقه ، فانبثق الدم من وجه أحد اللصوص ،وعندئذ قفز ابن المدير إلى جوار أبيـه ، فإذا بهما يسقطان صريعين تحت وابل من الرصاص .

وفاز اللصوص بغنيمـة وافرة : ربع مليون ريال من ورق النقد ، وبأسهم وسندات يسهل بيعها ، وخطفوا اثنين من موظفي البنك وحملوهما معهم في سيارتهم ، وأطار الخوف عقل أحـد الرجلين ، فقذف به اللصوص من السيارة وألقوه في عرض الطريق ، وبعـد خمس دقائق عثر عليه مسـتر ألدرمان عمدة البلدة ، وكان يطارد اللصوص بسيارته ، ولكن الرعب كان قد ألجم لسان الرجل فلم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة .

وانطلق العمدة بسيارته وراء اللصوص، فلما بلغ مفرق الطرق تريث مضطراً ليسأل عن اتجاه اللصوص ، وإذا به يلحقهم حتى لا يكاد يفصل بينه وبينهم إلا ٣٠٠ ياردة . لم يكن مع العمدة إلا مسـدس واحد ، وشرع اللصوص يطلقون عليه رصاصهم ، فعطلوا محرك سيارته وابتعدوا مسرعين حتى اختفوا .

ولم نعلم ما حدث بعد ذلك إلا بعد مرور زمن طويل، إذ تبين أن اللصوص أسرعوا بسيارتهم حتى بلغوا مسكناً ريفياً يملكه واحد منهم ، ولم يعبأوا بزميلهم الجريح الذي أخذ

يهذى من الحمى ، وأقاموا ليلتئذ احتفالا كبيراً دعوا إليه أصدقاءهم .

وظل أسيرهم الثانى مكبلا مكما فى السيارة، وضجيج المحتفلين يتعالى طول الليل ، وطلع عليه الصباح ولم يبتّ فى مصيره بشىء .

ولما استيقظ اللصوص وجدوا زميلهم الجريح يتوجع وتهدّده الأُكلة. وفى المساء التالى هبّ الطبيب وينتجر من نومه ليسمع من يقول له إن امرأة قد جرحت فى حادثة تصادم سيارة ، وطُلب إليه أن يتبع سيارة إلى مزرعة قريبة من الطريق العام، واقتيد إلى المنزل الريفىّ الآنف الذكر ، ثم سُدّد إليه مسدس، وأمر بأن يعالج اللص الجريح، فلما فرغ من عمله سئل :

« هل يشفى من جرحه ؟ »

« نعم إذا حرصتم على العلاج الذى دللتكم عليه » .

« أواثق أنت مما تقول ؟ »

« نعم » .

ولم يكد يفرغ من قوله حتى قيدوا ذراعيه وراء ظهره وساقوه إلى حافة هاوية، غير عابئين بصراخه وتضرعه ، وأطلقوا الرصاص على رأسه . ثم مال هؤلاء الأشرار بأكتافهم على سيارته وقذفوا بها إلى الهاوية.

وإذا بالأمر يخرج من أيديهم بآثار هفوة واحدة ارتكبوها ، إذ لم يفطنوا إلى أنهم تركوا لنا أثراً واحداً ، وإن كان أثراً ضئيلا لا يبدو للعين المجردة .

ثم قادوا بعد ذلك رهينتهم الباقية إلى حقل قريب ومزقوا جسده بالرصاص ، فتم بذلك قتل أربعة أشخاص فى هذا الحادث. ثم تفرق هؤلاء الأشرار وسار كل منهم متخفياً إلى سبيله .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام جريمة تعدّ خير مثال للجريمة التى يتم تدبيرها وتنفيذها بدقة وإحكام .

ولكن زميلنا ترويليجر ، وهو شرطى صغير فى مدينة صغيرة ، وقع على الأثر الضئيل الذى خلفه هؤلاء الأشرار ، إذ نزل إلى باطن الهوة حيث وجد السيارة المحطمة وبدأ يفحصها كما يفعل فى بقية الحوادث ، فوجد جدرانها المعدنية قد أزيل عنها بالمسح كل بصمات الأصابع، ولكنه كان من الشرطة المدربين المدققين ، فلم يغلبه اليأس ، وأخذ يفحص جدران السيارة بدقة حتى عثر فى آخر النهار على بقعة حائلة خلفها أحد الأشخاص بإصبعه السبابة. وكانت هذه البقعة على السطح الخارجى لزجاج باب السيارة الخلفىّ الأيمن، فانتزع ترويليجر لوح الزجاج وأخذه إلى المعمل، وعالجه ببعض المساحيق حتى بدت البصمة ، فصوّرها مكبرة مرتين ونصف مرة ، وسارع بإرسال

الصورة إلى معمل الأبحاث التابع لنا .
وكان المعـهد فى تلك الأيام لا يزال فى حداثته ، فلم يكن لدينا وقتئذ سوى مليونى بصمة ، أما اليوم فلدينا منها مئة مليون بصمة .
وثار غضبى لتلك القسـوة الغاشمة التى تجلت فى عمل هؤلاء المجرمين ، فاستدعيت جميع الموظفين وقلت لهم :
« يجب أن نذكر جميعاً دقائق هـذه البصمـة ، حتى إذا مرت بنا مرة أخرى عرفناها » .

وانصرفت همة رجال الشرطة فى البلاد كلها إلى مطاردة هؤلاء الهاربين ، وتقدم بعض الشهود يصفونهم ، فسرعان ما قبض على بعض الأشخاص ، وكانوا أربعة رجال وجدناهم متفرقين فى نواح متعددة ، وقدموا للمحاكمة فى جلسة حدد لها يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٩

وأصرّ هؤلاء الرجال على القول بأنهم أبرياء ، ولكن تطـوّع للشهادة عليهم ٦٠ شخصاً ، فلم يبق شك فى أنهم سيحكم عليهم بالإعدام ، ولكن بعض رجال الشرطة لم يؤمنوا بهذه الشهادة ، إذ الثابت أن أحد الأشرار قد جرح ، وليس فى أحد هؤلاء المتهمين أثر لجرح . وزعم بعض الناس أن الأثر قد زال بجراحة من جراحات التجميل . ومع ذلك ظل نفر غير قليل من كرام الناس يحلفون أنهم لا يخطئون فى شهادتهم . وبقيت بعـد ذلك بصمـة الإصبع ، فإنها بلا ريب ليست من أثر هؤلاء المتهمين .

وإذا بالحظ يواتينا فجـأة ، إذ قبض فى إحدى المدن على رجل متهم بالسطو على قطار ، وأخذت بصمات أصابعه وأطلق سراحه ، ووصلت أوراق التحقيق إلى مكتبنا ، وعهد بفحصها إلى ألبرت جراوند .

وكان جراوند قد فرغ فى ذلك النهار من فحص ألفى بصمة ، وكان قد مضى عام بأكمله على ذلك اليوم الذى نبهت فيه الموظفين إلى تذكر دقائق البصمة التى وجدت على السيارة المحطمة . ولم يكد جراوند يفحص البصمة الجديدة حتى وجدها غير غريبة عن ذهنه ، فبحث فى السجلات حتى عرف أن صاحبها هو جاك فليجل ، وقد سبق أن حكم عليه بالسجن فى سرقة . ولكن جراوند لم يقنع بما وصل إليه ، إذ أن ذاكرته لا تزال تربط هذه البصمة بحادثة أخرى . وفجأة ذكر السيارة المحطمة ، فسارع إلى البصمة القديمة ، فإذا بها تثبت أن صاحبها هو جاك فليجل نفسه .

ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى هب رجال الشرطة للعمل ، وأغاروا على المزرعة ، وقبض على فليجل الأب ومعه اثنان من أبنائه ، ولكنهم لم يعثروا على جاك فليجل

ولا على أخيه رالف. وكانت البينة قد اجتمعت على أنهما من مرتكبي الجناية ، وعثر رجال الشرطة على أوراق تؤيد ما لديهم من بينة ، كما عثروا على رصاص مماثل للرصاص الذى استعمل فى الحادث عند سرقة المصرف .

ثم واتانا الحظ مرة أخرى ، إذ وصلت أثناء التحقيق مع المقبوض عليهم رسالة من رالف الغائب يسأل أباه أن يرسل إليه ألفى ريال بعنوان «شباك البريد بمدينة كانكاكى» .

ولما جاء رالف إلى شباك البريد ، ألقينا القبض عليه ، فأخذ يساومنا قائلا :

« هل تعدوننى إذا اعترفت بأن أنجو من حبل المشنقة ؟ »

فأجابه المحقق : « لن نطلب من المحكمة أن تقضى عليك بالإعدام » .

وذكر رالف اسم شريكيه، فألقى القبض عليهما على الفور ، واتفقت أقوال ثلاثتهم على أن جاك فليجل هو الذى دبر الجناية ونفذها ، ولكنهم لا يعلمون أين يختبىء .

وتبين لنا بعد مرور وقت طويل أنه اختفى فى مخبأ بالجبال ، ولو أنه ظل مكانه لما وقع فى أيدينا إلى اليوم .

ولكنه بدأ فجأة يكتب الرسائل إلى الشرطة يحذرهم فيها أنه لو شُنِق أخوه وزملاؤه فإنه سينتقم لهم. ويعيث فى الأرض فساداً ، وقال تلميحا إنه قد يعترف هو أيضاً إذا ضمنت له النجاة من الموت شنقاً .

وصدر الحكم أثناء ذلك بإدانة الرجال الثلاثة، ووفى المحقق بوعده فلم يطلب الحكم بإعدام رالف دون زميليه ، ولكن المحلفين أوصوا بإعدام الثلاثة جميعاً، فماتوا كلهم شنقاً.

وخيل إلينا أن صاحب البصمة قد أفلت من أيدينا ، ثم ظهر فى صباح أحد الأيام إعلان فى إحدى الصحف يعبر فيه كاتبه عن اشتياقه لرؤية صديقه القديم جاك ، وقرأ جاك هذا الإعلان فى مخبئه ورآه موقعاً عليه بإمضاء بنكى . ولم يكن هذا الاسم غريباً عنه ، ولكنه لم يفطن إلى أن الشرطة هم الذين حملوا بنكى على أن يخون زميله فيستدرجه إلى أيديهم. وسرعان ما انتظمت الرسائل بين الصديقين ، وأخذ الرجلان يدبران معا سطواً على أحد المصارف، واتفقا على أن يتقابلا يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٠

وتتابعت الحوادث سراعاً ، ووقف جاك على رصيف المحطة فى بلدة صغيرة ليستقل القطار إلى المكان الذي اتفق هو وصديقه على اللقاء فيه . ولم يدر بخلده ولا ريب أن فى القطار القادم خمسة من رجال الشرطة فى طريقهم إلى مكان اللقاء ، وكذلك لم يدر فى خلد هؤلاء الشرطة أن جاك سيستقل القطار من محطة تلك البلدة الصغيرة ، وفوجئوا حين رأوه يدخل عربة القطار

ويسير فى ممرّها متمهّلاً ، فصرخوا به . « ارفع يديك » وامتدت يده إلى مسدسه ، فأطلق عليـه رجال الشرطة مسدساتهم ، فسقط صريعاً على أرض العربة .

أما الرجال الأربعة الذى وجهت إليهم التهمة فى أول الأمر ، فقد ألغيت محاكمتهم .

وكم كنت أود أن أقول إنهم خرجوا من قفص الاتهام فرحين ببراءتهم ، ولـكن الواقع كان غير ذلك ، فقد ثبت من سجل بصمات أصابعهم أنهم جميعـاً قد ارتكبوا حوادث سطو أخرى على المصارف ، فحكم عليهم بالسجن مدداً طويلة .

علة الأطفال !

دعت طائفة من الأمهات طبيباً مشهوراً من أطباء الأطفال ليكون ضيف الشرف فى حفلة يقمنها،ففعل . وفى أثناء الحفلة جعلن يناقشن الطبيب فى أمراض أولادهن ، وإذا إحداهنّ تسأل الطبيب : « أية علة هى فى رأيك رأس العلل التى تصيب الأطفال ؟ »

فأجاب الطبيب مصطنعاً الوقار : « أمهاتهم » ! [جاى دجان]

الآلة البشرية

يميل المهندسون إلى التفاخر دائماً بما بلغته الآلات التى يصنعونها من قدرة وكفاية . ولـكن البشر لم يصنعوا قط آلة لهـا من القدرة والـكفاية ما لجسم الإنسان منهما . فأين نستطيع أن نجد مضخة تبلغ من الـكمال مبلغ القلب البشرى ؟ فإذا أحسن صاحب هذه الآلة تعهدها ظلت قائمة على عملهـــا ٦٠٠,٠٠٠ ساعة ، تخفق فى كل ساعة ٤٣٢٠ خفقة ، وتدفع ٦٧ لتراً من الدم كل ساعة . وأى جهاز من أجهزة التلغراف يضارع جهـازنا العصبى ؟ وأى مذياع يبلغ من حسن الأداءِ ما يبلغه الصوت والأذن فى الناس ؟ وأية آلة مصورة تضارع العين البشرية فى كمالها ؟ وأى جهاز للتهوية يماثل الأنف والرئتين والجلد ؟ وأية لوحة كهربائية تضاهى النخاع الشوكى سرعة ودقة ؟ أو ليست هذه الآلة العجيبة خليقة بأقوم رعاية واحترام ؟ [فلويد بارسنز]



ڤنسنت شين

مراسل صحفى ، مؤلف " تاريخ حياتى " و " سيف ولا سلام " و " بيت منقسم على نفسه "

كان بين صديق جون وأبيه الشيخ علاقة ومودة ، هى أعمق ما عرفت من العلاقات بين رجل وأبيه . كان هذا الأب فى الثمانين من عمره ، فلو رأيت هذا الشيخ وهو لا يزال يطوف فى أرجاء مستشفاه ، ويعود أولئك المرضى الذين لا يزالون يتشبثون به على رغم علوّ سنه ، لامتلأ قلبك غبطة وابتهاجاً . وأما ولده جون ، وهو فى الخامسة والأربعين ، فكان محامياً ناجحاً .

كان كل واحد منهما يفهم صاحبه أحسن الفهم ، حتى وإن ثارت بينهما مناقشة حادة قائمة على اختلاف فى الرأى . وكثيراً ما يذكر أصحاب جون هذه العلاقة التى بينهما بشىء من الحسد أحياناً ، فيقول جون : « إن الذى بينى وبين الشيخ كأحسن ما يرام » ، ولا يكاد يزيد على هذا شيئاً . ولكن طول عشرتى لهما كشف لى عن السرّ الذى جعلهما يعيشان طول حياتهما متحابين متفاهمين .

كان جون فى الرابعة عشرة من عمره ، فكان يعيش فى بيت أبيه ضيِّقاً به غير سعيد ، وكان أبوه الطبيب يصرف كل همه إلى عمله ولا يكاد يلقى بالا إلى ولده الصغير . وكان الأب يتولى تدريس الجراحة فى إحدى كليات الطب الصغيرة ، وكانت له عيادة ناجحة ، ولكنه كان مشغولا بتجارب كثيرة يجريها بلا ملل ولا سآمة . وكان أهم ما يشغله فى ذلك الحين أمر « التخدير الموضعى » ، وكان حديث العهد يومئذ . واستحدث الأب الطبيب ضرباً من المخدرات كان يعدّه خير ما عرف من المخدرات للجراحات البسيطة .

وكان جون الصغير يحس فى دخيلة نفسه أنه شىء لا يعبأ به فى أسرته ، وأن أتفه تحسين فى تجارب أبيه كان عند أبيه أهم شأناً من ولده . فلما رأى الفتى ذلك ، ولعله رأى أيضاً أن درجاته فى امتحان المدرسة كانت قليلة ، فعندئذ عزم على الفرار من هذا البيت . وكان قد وقع فى روعه أن المرء قد يجد فى بلاد المكسيك أسرع

طريق يفضى به إلى الثروة ، فعقد عزمه على السفر إليها .

أخذ جون الصغير يجمع من بين أشيائه ما يحتاج إليه ليضعه فى الحقيبة ، فإذا بوالده يهجم على الغرفة قائلا : « أسرع يا فتى ، فالدكتور هانفورث والدكتور ماكجوفرى ينتظران فى غرفة الجراحات . وهذه فرصة لا بد من انتهازها حتى أثبت لهما أنى صدقت حين وصفت هذا المخدر بأنه أحسن المخدرات. وسأزيل لك هذا الكيس الوارم على شدقك، تعال معى » .

غلب على جون ما اعتاده من طاعة أبيه فقام وتبعه . وكان جون يعرف منذ أسابيع أن هذا الكيس الصغير الذى لا خطر له سوف يستأصل حين تأتى الفرصة المواتية لإثبات جودة هذا المخدر الجديد الذى ابتدعه أبوه. ولم يكن لجون الصغير اعتراض على ذلك، فقد أجرى له أبوه من قبل جراحة بسيطة مستعملا هذا المخدر نفسه ، ولكنه أحس أن أباه لا يكاد يعده شيئاً سوى أنه مادة يجرى عليها تجاربه .

كانت غرفة المحاضرات ومدرج الجراحات غاصاً بالناس : فمنهم جماعة من الطلاب ، ورئيس أطباء المدينة ، وطبيب من شيكاغو كان يعد من أعلم الناس بأحدث المستحضرات الطبية التى عرفها الأطباء .

وقف الأب الطبيب وقال وفى صوته نبرات تنم على فرط سروره : « أيها السادة سوف أثبت لكم الآن جودة هذا المخدر الذى ابتدعته للتخدير الموضعى . وسأجربه فى ولدى هذا ، فإن تحت أذنه اليمنى كيساً صغيراً وارماً سوف أستأصله » .

ويقول جون إنه كان مكين الثقة بأبيه فلم يساور قلبه وجل ولا خوف ، وقد أحس بوخز إبرة الحقن ولكنه كان يتوقع هذا الوخز . وما هى إلا دقائق حتى أحس جون بألم مبرّح حين جرى المبضع فى لحمه ، وكان ألماً حاداً محرقاً يتلهّب فى شدقه .

ولبث جون لحظة وهو لا يكاد يدرك سر ما حدث ، وأوشك أن يصرخ ، ولكن الأنفة غلبت عليه ومنعته من الصراخ . ثم أدرك أن خطأ قد حدث ، فقد كان للمخدر أثر ناجع فيما مضى ، أما اليوم فقد بطل هذا الأثر لأمر مّا .

كان إثبات نفع هذا المخدر جليل الشأن والخطر عند أبيه — من ناحية فنه ، ومن ناحية كرامته ، بل ربما كان جليل النفع فى زيادة مرتبه . فجمع جون شتات نفسه وصبر ، وبقى مغمضاً عينيه وهو يقول لنفسه: « ما هو إلا قليل حتى ينتهى كل شىء ، ما هو إلا قليل » . ينبغى أن يصبر حتى يرى الرائى أن المخدر قد فعل فعله على أتم

وجه ، ينبغى أن يخدع الأطباء والطلبة — بل أن يخدع أباه نفسه .

لم ينتبه أحد إلى الذى حدث ، فإن الطبيب مضى يشرح وهو هادىء النفس ، وكان الألم حاداً شديداً ، ولكن الفتى أدرك كل شىء فعزم على أن يصبر عليه ويطيقه ، حتى إنه ظل ساكناً فلم يتحرك ولم يطرف حين بدأ الطبيب فى خياطة الجرح . ثم جاءت الممرضة فأخذت بيده خارجة من غرفة الجراحات ، فلما جلس أغمض عينيه وجعل يفكر والألم آخذ منه كل مأخذ .

قال لنفسه : ينبغى أن يظل هذا سراً مكتوماً يطويه حتى عن أهله ، ولن يجدى عليه شيئاً إذا حدث أباه وعرفه بما كان ، فإنه كان شديد الزهو بهذا المخدر الذى ابتدعه . ومع ذلك فهو عن قليل سوف يفارق هذا البيت إلى غير رجعة . ثم فتح عينيه على يد وضعت على كتفه ، ثم سمع صوت أبيه يتردد فى أذنيه مفعماً بالحنان والشفقة : « لشد ما برح بك الألم يا بنى ! أليس كذلك ؟ »

فأدرك جون لساعته أن أباه قد عرف كل شىء ، ولكن الحنان البادىء فى صوت أبيه ، والشفقة المتجلية فى ضغطة يده على كتفه ، جعلت الألم أخف مما كان ، وجعلت الدمع يترقرق فى عينيه ، ثم قال لأبيه :

« أعرفت إذن ما كان يا أبتاه ؟ »

فقال الأب : « عرفت حين لم يكن لى مندوحة عن المضى فى الجراحة حتى تتم . لقد أخطأت الممرضة خطأ ما ولا ريب ، ولكن لا بأس عليك . لقد كنت بطلا يا بنى ، وإنى لفخور بك — وأشكرك . تعالى معى فسأحملك إلى البيت » .

وجاشت بين الفتى وأبيه موجة من الزهو والاحترام ، وهما يسيران معاً فى الطريق حتى صعدا السلم إلى غرفة جون . فلما أوى الفتى إلى فراشه جلس أبوه إلى جواره ، ثم نظر إلى الأشياء التى كانت معدة كى توضع فى الحقيبة ، ثم قال له متلطفاً : « أراك قد عزمت على رحلة يا بنى ، أفيسرك أن تأخذنى معك ؟ »

فنظر الفتى إلى أبيه نظرة تدل على ثقة جديدة به ثم قال :

« كنت قد عزمت على الرحلة ، ولكنى عدلت عنها الآن » .

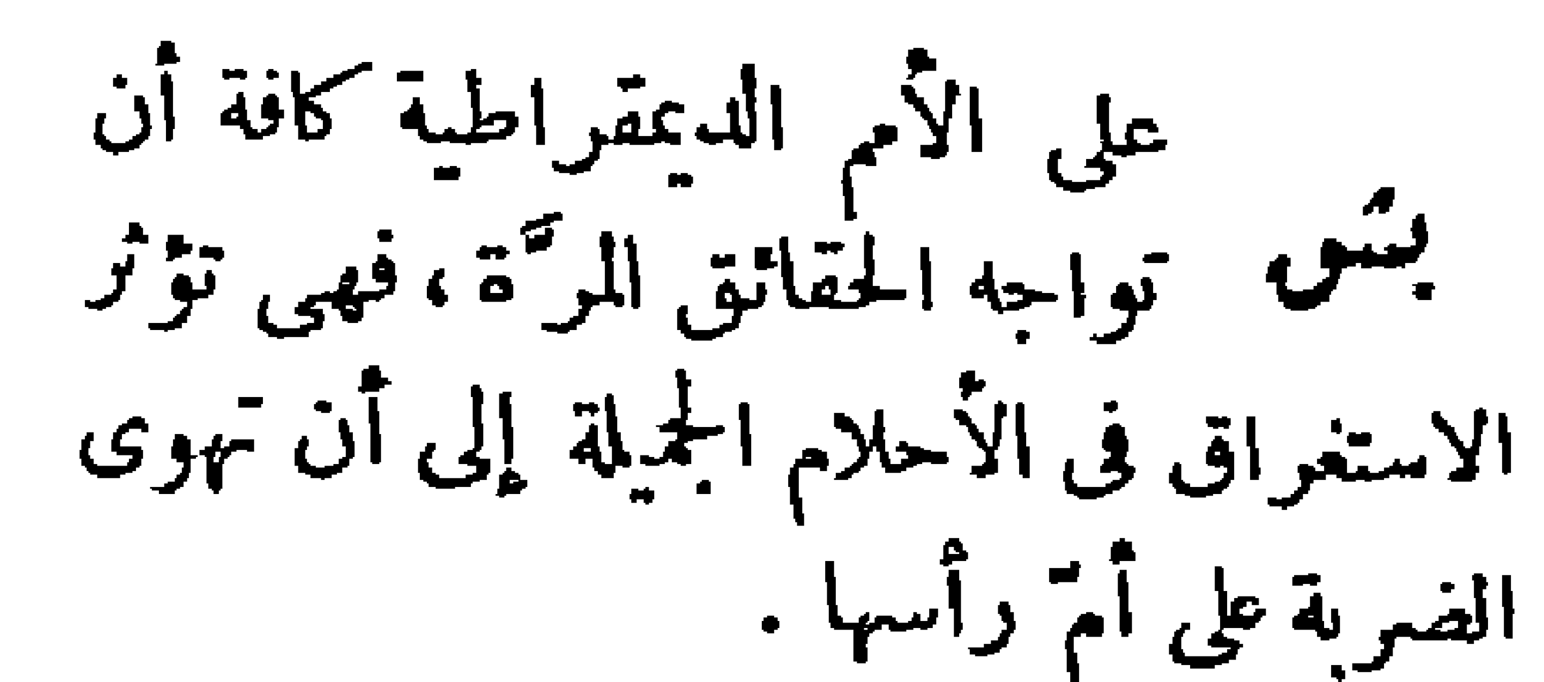
صورة لفظية : ترفقت فى دخولها كأنها شعاعة من ضياء الشمس . [وليم ثكرى]
إنه كعود الثقاب المبلول لاجدوى فيه . [إيدث وارتون]

كان سفيراً للولايات المتحدة فى روسـيا ثم فى فرنسا
ويبين هنا ما ينبغى للشعوب التى تحب الحرية أن تعرفه .





السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة



وليم بوليت

مختصرة من مجلة " أميريكان ميركيورى "

على الأمم الديمقراطية كافة أن بثو تواجه الحقائق المرّة ، فهى تؤثر الاستغراق فى الأحلام الجميلة إلى أن تهوى الضربة على أمّ رأسها .

ففى أثناء الحرب العالمية الثانية لم يغب عن بلاد القارة الأمريكية — شمالها وجنوبها — أنها مهدّدة بالخطر لو أفلح هتلر فى تنظيم أوربة وإفريقية وإعدادهما لشن الهجوم ، أو لو أفلح الرجال العسكريون فى اليابان فى تنظيم آسـية للغرض نفسه . واليوم يهدف ستالين بمفرده إلى ما كان يهدف إليه هتلر والعسكريون اليابانيون معاً . وتشفق الآن شعوب كثيرة محبة للحرية من أن ترى تضحياتها وانتصاراتها فى الحرب العالمية الثانية لا تثمر إلا وقوع أوربة والشرق الأدنى والأوسط وإفريقية تحت سيطرة السوفيت .

وسواء شاءت هذه الشعوب أو لم تشأ ، فتلك هى الحقـائق الجوهرية فى تاريخ العالم اليوم .

ولكن أى خطأ فى التقدير أفضى إلى هذه النتيجة التى تنطوى فيها جرثومة أخطار شديدة؟ الجواب واضح: فقد أخطأت حكومة الولايات المتحدة أكبر خطأ فى التاريخ يوم بدأت فى سنة ١٩٤١ تعامل الاتحاد السوفيتى معاملتها لأمة ديمقراطية محبة للسلم، لا معاملة دولة نظام الحكم فيهـا نظام جامع مطلق استبدادى ، يهدف إلى بسط سلطانه على العالم أجمع . فلم يحسب أقل حساب لأمر محتمل الوقوع — بل قل لأمر كان محقق الوقوع — وهو مجىء يوم يتبين فيه أن دكتاتورية ستالين زعيم الشيوعيـة ، لا تقل عن دكتاتورية هتلر زعيم النازية ، فى حبّ التسلط على العالم أجمع .

ولم تنقطع الدول الديمقراطية فى مؤتمرات طهران ويالتا وبوتسدام عن تلبية كل مايطلبه ستالين ، آملة أن تراه مسالماً محباً للحرية . وكان جيمس برنز — حينما تولى منصب وزير خارجية الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ —

يؤمن بقدرته على معاملة ستالين على خير وجه، ثم أدرك بعد تجربة دامت شهوراً عديدة، أن ستالين لن يتراجع مختاراً بمحض إرادته، بل لن يتراجع إلا إذا صادف معارضة قوية.

فلما تلقى برنز هذا الدرس القاسي، الذي سيتلقاه، بعد قليل أو كثير، كل الشعوب المحبة للحرية، أخذ يقاوم التوسع الروسي بشجاعة. فموقفه الحازم حين كانت روسيا توشك أن تغزو تركيا، هو الذي نجى شرق البحر الأبيض المتوسط من الخطر، كما أن تأييده البارع لحكومة إيران هو الذي أتاح لها أن تقضى على أعوان ستالين وتخليص شمال إيران من قبضتهم. وقد دل هذان الحادثان على أن ستالين غير متأهب للمغامرة بمحاربة الولايات المتحدة، لأنها اليوم أقوى من الاتحاد السوفيتي. وهذا أمر يعلمه ستالين حق العلم.

وموقف الولايات المتحدة اليوم أشبه بموقف فرنسا فى سنة ١٩٣٦، إذ كانت أقوى الدول بجيشها وسلاح طيرانها، ومع ذلك أقدم هتلر على اول فصل فى روايته، وبعث بجنوده إلى منطقة الرين. وقد تبين فيما بعد بأدلة قاطعة، أن هتلر كان يعلم أن فرنسا قادرة على سحق ألمانيا، ولذلك كان من أوامره إلى جنوده أن يتراجعوا إذا ما عبأت فرنسا جيشها. ولكن هذه التعبئة كانت تحتاج إلى نفقة كبيرة، وكانت الحكومة الفرنسية حريصة على سلامة ميزانيتها، وأكبر من ذلك أن التعبئة أمر غير محبب من الوجهة السياسية، لأنها تنتزع الرجال من أسرهم وموارد رزقهم. وزد على ذلك أن كثيراً من الفرنسيين ممن خلصت نياتهم وجهلوا الحقيقة، كانوا مؤمنين بأن هتلر لا يريد قط إلحاق الضرر بفرنسا. فلما استكمل هتلر عدته، هجم على فرنسا وسحقها. وبذلك جرت فرنسا على نفسها الخراب، لأنها أخفقت فى مواجهة الحقائق فى سنة ١٩٣٦.

وكان أسلوب هتلر فى الغزو هو أن يوهم ضحاياه بأنهم فى أمان، ثم يستولى على مواقع حربية مهمة يتخذها قاعدة للهجوم عليهم. وهذا هو بعينه أسلوب ستالين، فهو يسير على نهج هتلر : طابور خامس، ودعاية، وعقد معاهدات سرعان ما تنقض، وتهديد، ثم إرسال الجيوش. ولكن هتلر لم يفلح قط فى أن يؤلف فى البلاد التى يضمر غزوها جماعات لها تلك القوة والمقدرة على إحداث الضرر، كالتى لهذه الجماعات التى يؤلفها ستالين من الأحزاب الشيوعية وأنصارها.

وتكاد الفرصة تفلت من يد الأمم الديمقراطية، كما أفلتت من فرنسا فى سنة ١٩٣٦. فكل يوم يمضى يقرب روسيا من إعداد القنبلة الذرية. هذا وجميع قوى

الإنتاج فى الاتحاد السوفيتى مقصورة على عدد الحرب . وكل يوم يمضى يزيد من سيطرة ستالين على شرق أوربة ووسطها ، فهو الآن قادر على أن يستغل فى أغراض الحرب ، موارد رقعة مترامية من الأرض تضم ١٠٠ مليون نفس .

فقد ضم ستالين إلى بلاده كلا من أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبعض أجزاء فنلندة وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ، كما أخضع لسلطانه كل أراضى بولندة ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا والمنطقة التى يحتلها الجيش الأحمر فى ألمانيا والنمسا . وتشتد قبضته على المجر وتشيكوسلوفاكيا وفنلندة ، ويزداد إرهاقه لليونان وتركيا بحيث تعجزان عن مقاومته وحدهما بما لديهما من قوة . وبلغ من سلطان أعوانه فى فرنسا وإيطاليا أنهم أجبروا وزارات تلك البلاد القوية على قبول زعمائهم بين رجالها .

فحيثما أدرت بصرك فى العالم، وجدت أن قوات ستالين هى التى تهاجم، والديمقراطيات هى التى تتراجع ، فلا جرم إذا أصبح منع ستالين من حشد قوى أوربة وإفريقية وآسية مجتمعة لشن الهجوم ، هو الهم الشاغل للولايات المتحدة . ولا تستطيع أمريكا أن تبذل عونها لجميع الشعوب المهددة بالاستعمار السوفيتى ، ولهذا يجب عليها أن تكون دقيقة فى اختيار أولى هذه الشعوب بما تستطيع أن تسديه إليها من المعونة .

وقد قرر الرئيس ترومان ، وهو على حق فيما قرر ، أن يكون التقديم لليونان وتركيا ، إذ أن الخطر قريب منهما ، ثم تأتى بعدهما فرنسا لحرج حالتها . وسأعمد هنا إلى شرح حالة فرنسا بالتفصيل ، فهى خير مثال للمشاكل التى تواجهنا فى العالم أجمع.

إذا نجح ستالين فى السيطرة على فرنسا بفضل طابوره الخامس ، فإن الحكومة الفرنسية ستقف موقف العداء من أمريكا، وسيرغم الشعب الفرنسى على تنفيذ أوامر ستالين بفضل البوليس السرى الشيوعى ورصاص فرق الإعدام . وإذا تم ذلك لستالين أصبحت أوربة كلها شيوعية ، إذ لا تلبث إيطاليا أن تقع فى قبضة ستالين ، لأن الحزب الشيوعى فيها له قوة كبيرة . ولن تزيد منطقة الاحتلال الأمريكى البريطانى فى ألمانيا عن أن تصبح حاجزا هشا ضئيلا فى قارة شيوعية ، تمتد من الأطلسى إلى الهادى ، فلا تجد القوات البريطانية الأمريكية مفرا من الانسحاب ، ويخيم على إنجلترا خطر مهاجمتها من قواعد فى فرنسا بقنابل طائرة أشد فتكا من القنابل الألمانية. وقد تستهدف بريطانيا لما استهدفت له مالطة من التدمير بالقنابل ، ثم تخر جثية

الأمم واحدة بعد أخرى. فإذا أصبحت أوربة خاضعة للشيوعية التى تتلقى أوامرها من موسكو ، فإنها لن تكون أقل خطراً على الديمقراطيات التى يكتب لها النجاة ، من أوربة الخاضعة للنازية التى تعمل بوحى برلين .

والحزب الشيوعى فى فرنسا هو اليوم أقوى أحزابها ، ولكن حيث إن فيها أحزاباً أخرى عديدة ، فإن نسبة غير الشيوعيين من أعضاء البرلمان لا تقل عن ٧٢ فى المئة . وإذا حدث مثل هذا فى بلد ديمقراطى سليم البنيان ، قضى بإقصاء الشيوعيين عن الحكم . ولكن فرنسا تعانى عللا وأمراضاً كثيرة ، ولا تجد زعماء الأحزاب غير الشيوعية يتفقون على معالجتها بما تقتضيه هذه العلل . وقد هدد الشيوعيون بالإضراب العام ، فأجبروا الأحزاب الأخرى على أن يتخلوا لهم عن أهم مناصب الوزارة ، فأسند منصب نائب رئيس الوزراء إلى توريز الزعيم الشيوعى ، وهو من الفارّين من الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأسندت إليهم أيضاً وزارات الدفاع والعمل والصحة والتعمير ، وأصبح لهم سلطان كبير على معظم عمال سلاح الطيران الفرنسى . وكثير من ضباط الجيش هم أيضاً من الشيوعيين . هذا ، وللشيوعيين قوات عسكرية مسلحة أتم تسليح تعمل فى الخفاء ، ويزيد عدد رجالها عن الجيش النظامى نفسه . ويقول الناس علنا فى باريس : « فى إمكان ستالين أن يستولى على فرنسا متى شاء بكلمة تصدر منه بالتلفون فى موسكو » .

فإذا ما قرر زعماء أحزاب الأكثرية غير الشيوعيين فى البرلمان الفرنسى ، أن يؤلفوا وزارة قومية ، تاركين الحزب الشيوعى لمقاعد المعارضة ، كان على الأمم الديمقراطية الأخرى أن تمدهم بما يجب من تأييد يعينهم على الاحتفاظ بسلامة الحكم الديمقراطى ، كما ينبغى مساعدة فرنسا مساعدة مالية حتى تنتظم أمورها ، فالحالة المالية فى فرنسا تستند إلى أسس سليمة . وإذا غلت يد الشيوعيين ، فلن تحتاج فرنسا كى تصبح مرة أخرى دولة ديمقراطية ، إلا بعض العون من المال لتعمر ما خربت الحرب والاحتلال الألمانى من مرافقها .

وإبقاء فرنسا في حظيرة الديمقراطية ، هو أنجع وسيلة لتجميع قوى الأمم الديمقراطية الأخرى ووقوفها صفاً واحداً للدفاع عن نفسها ، لأنه إذا لم يتأتّ جمع جزء كبير من أوربة تحت نظام اتحادى واحد ، فإن أوربة كلها ستصبح اتحاداً واحداً من أمم خاضعة كلها للجبروت الروسى .

والأمر واضح فيما يخص اليونان وتركيا وفرنسا والصين ، ولكن كم عدد الدول

الأخرى التى تحتاج للمساعدة ؟ قد ينطبق الوصف على دول كثيرة غير التى ذكرت آنفاً ، وينبغى للولايات المتحدة أن تعينها على قدر طاقتها. فالوسيلة الوحيدة لمنع وقوع حرب مع روسيا ، هى أن تعمل الولايات المتحدة — حين هى اليوم أقوى من الاتحاد السوفيتى — بهمة وشجاعة وبعـد نظر ، حتى تمنع ستالين من السيطرة على المواقع الحربيـة المهمة ، ثم تتولى هى نفسها تنظيم الشعوب الحرة فى العالم لتمكنها من مقاومة الاستعمار الروسى ، وبذلك يجد الدكتاتور الروسى نفسه دائماً أمام قوة تفوقه . وينبغى أن لا تكون هذه القوة عسكرية واقتصادية فحسب ، بل قوة فكرية أيضا .

وانه ليغيب على كثير من النـاس أن يؤمنوا بأن أفراد الشعب الروسى المجيد ينساقون بأمر رؤسائهم الشيوعيين للقضاء على كل ما تعتز به الشعوب المحبة للحرية، ولكن إذا لم يقف هؤلاء المؤمنون بالديمقراطيـة فى وجه العدو منذ اليوم ، وأغمضوا أعينهم عن الحقـائق فلم يدركوا قوته وبأسه ومكره وقسوته ونكرانه للحق وخلو قلبه من الرحمة والمحبة والشفقة ، فقد أسلموا أنفسهم للتهلكة حين لامناص ولا نجاة .

مشروع ترومان وحده لا يكفى

إسلى كالبرستون • مختصرة من مجـلة « نيولـيـدر »

لم يكن هناك مع الأسف مفرٌ من وقوف الرئيس ترومان موقف التحدى من التوسع العسكرى للشيوعية ، ولكن سياسته لا تحل شيئاً من المشـاكل ، بل هى بمثابة تقوية للعزيمة فى الحالة الراهنة التى يخيم فيها على العـالم شبح القنبلة الذرية ، وتمتلىء قلوب الناس بمخاوف متبادلة . فسياســة ترومان لن تمنع حربا عالمية ثالثـة محتملة الوقوع ، ولن ترفع شبح القنبـلة الذرية عن قلوب الناس الآمنين فى مساكنهم ، ولن ترفع عن كاهل الشعوب جميعها ذلك العبء القاصم للظهر الذى يلقيه عليها تسابقها فى التسلح .

لقد كان المطلب العاجل ، إذا أريد نجاة العالم ، هو الوصول إلى سياسة فعالة أخرى بدلا من سياسة الاعتماد على القوة بين الدول الكبرى ، وينبغى التماس تلك السياسة

الجديدة لدى هيئة الأمم المتحدة . ولا أقصد هذه الهيئة كما هى اليوم عاجزة مغلولة اليد بفضل حق الاعتراض ، بل أقصد تلك الهيئة حين يشتد ساعدها ويتيح لها نظامها أن تمنع الدول الديمقراطية والاتحاد السوفيتى من أن يهدد أحدها سلامة الآخر وأمنه .

وإنه ليتيسر بلوغ هذا الهدف بإصلاح تلك الهيئة من نواح ثلاث — وهو إصلاح قد أيدته ونادت به هيئات عديدة تمثل العمال وأصحاب الأعمال ورجال الكنيسة والأحرار وقدماء المحاربين — ونواحى هذا الإصلاح هى باختصار :

الأولى : إلغاء حق الاعتراض فى مسألتين معينتين ، ١ : الغزو المسلح ، ٢ : الاستعداد للغزو المسلح (أى التسلح غير الشرعى) .

الثانية : منع تسلح الدول بالقنبلة الذرية ، وذلك بتنفيذ مقترحات باروخ ، ثم تحديد إنتاج الدول من الأسلحة الثقيلة طبقاً لبرنامج دولى .

الثالثة : إنشاء جيش لحفظ الأمن فى العالم ، مؤلف من فرقة قوية واحدة يشرف عليها مجلس الأمن (بعد إصلاحه) والمحكمة الدولية ، ومن خمس فرق أخرى ، لكل دولة كبيرة فرقة منها ، وتكون بمثابة مدد احتياطى ، ولا تخضع كل فرقة إلا للدولة التابعة لها . وينبغى تنفيذ هذه الإصلاحات بمعاونة روسيا إذا رضيت ، وإلا فبغير معاونتها إذا اقتضى الأمر .

وأهم اعتراض صادفته هذه السياسة حتى اليوم هو الخشية من معارضة روسيا لهذه الإصلاحات اللازمة ، فتنسحب من هيئة الأمم المتحدة وتخلفها منهارة . ولكن هذا الاعتراض لا محل له اليوم بعد أن وقف الرئيس ترومان موقف التحدى .

فالعرض الذى ينبغى أن نتقدم به إلى روسيا هو تحرير وثيقة زواج يكون الطلاق فيه مستحيلا طبقاً لأنظمة هيئة الأمم المتحدة بعد إصلاحها . ومن الطبيعى أن تقف الولايات المتحدة موقفها الحازم فى اليونان وتركيا ، ولكن موقفها هذا يكون أنبل وأنفع ، لو أنها أبدت مثل هذا العزم فى تأليف هيئة دولية قادرة على منع وقوع حرب عالمية ثالثة . إن سياسة كهذه تؤلف قلوب أغلب الدول حول هيئة الأمم المتحدة. وإذا ما زالت المخاوف من الاستعمار فلا يبعد أن تستدرج روسيا ، بعد فترة من الريبة والتمنع ، إلى دخول حظيرة هيئة الأمم المتحدة فى عهدها الجديد ، فإن روسيا ستجد نفسها بين طريقين واضحين كل الوضوح : إما سلام دائم يشمل روسيا أيضاً ، وإما العزلة فى عالم مؤلف من أمم محبة للحرية ، تملك من السلطة وقوة التآزر ما تصد به كل اعتداء .



إيلا دنكان

مختصرة من "نيتشر مجازين"

لما كانت ابنتى سوزى فى الثانية من عمرها، سمعت ذات يوم جرس الباب يدق ، وما كدنا نفتح الباب حتى رأت على عتبته سلة فيها بطة صغيرة جائعة ، لم تكن فى رأى العين سوى كرة من الزّغب الأصفر فيها خرزتان سوداوان هما عيناها ، ومنقاراً أسوداً كالأبنوس لا تزال تضرب به يمينا وشمالا فى كل شىء تلقاه . وطارت سوزى فرحاً حين رأت البطة الصغيرة تجاهد حتى تخرج من سلتها ثم تسعى وراءها حيثما ذهبت فى الغرفة .

أحبت البطة سوزى فلم تكن تعبأ بشىء فى الدنيا سواها ، فإذا رأتها تسير سارت وراءها ، وإذا رأتها تعدو تدحرجت فى آثارها محاولة أن تكون على مقربة منها .

وأطلقت سوزى على بطتها اسم «جارية» ، وجاء الصيف فإذا هما يقضيانه معاً فى فناء الدار كأنهما فى عالم حافل بروائع السحر ، وجعلت أرقبهما أنا وأنة الخادمة ونحن فى دهشة وعجب : فهاهما يجريان معا يطاردان الفراش ، ويبنيان قصوراً من الرمل ، ويلعبان معاً بين الأشجار .

ونمت البطة فكانت أضخم جسما من كثير من أخواتها من البط . وما كادت تمضى سنتان حتى ولد لنا ولد هو كارول ، وكانت البطة يومئذ قد بلغت أشدها وصارت قوية البدن جميلة الهيئة . ونظرت البطة إلى هذه الحشرة الصغيرة وهى فى مهدها وفحصتها فحصاً دقيقاً ، فلما فرغت جعلت تضرب بجناحيها وترسل صيحات عالية ، ثم جثمت راضية بجوار المهد .

وكانت هذه الصرخة الغريبة العالية إعلانا للدنيا بأنها قد بلغت اليوم رشدها ، وأنه قد ألقى على كاهلها أن تكون حامية لمخلوق جديد لا حول له ولا قوة . ولما جاء الخادم ليخرجها من مكانها ثارت وضجت كأنها تأبى أن تفارق مكان الحراسة .

وعلى مر الأيام وقع فى روع البطة أن ساعة حراستها التى ينبغى أن تحرص عليها هى حين يكون كارول الصغير فى مهده فى فناء الدار حيث يتشمس . فإذا جاءت تلك

الساعة رأينا البطة عند باب الفناء تنتظر ، وإذ بنا نراها تسعى جاهدةً مصممةً حتى تستقر عند المهد وعليها هيأة الحارس المتنبه اليقظ .

وامتلأ قلبي شكراً للبطة على معونتها التى تسديها إلينا فى حياطة الصغير وتربيته . فقد كان من المحال أن تتعلم سوزى ولداتها من الصغار أنه ينبغي أن يغلقن الباب وراءهن إذا خرجن ، أما الآن وهذه البطة تتولى حراسة الصغير ، فما من إنسان ولا حيوان يستطيع أن يلج عتبة الباب .

ثم جاء يوم فتفشى فى كلاب المدينة داء الكلب . وذات يوم كان الصغير كارول فى مهده فى الفناء والبطة جاثمة عنده تحرسه، فدق جرس التلفون وإذا صديق لى يقول: «رأيت الساعة كلباً يسعى فى الطريق المفضى إلى بيتك ، فإن يكن فى المدينة كلب مسعور فهو هذا الكلب ! »

فسرت قشعريرة الخوف فى بدنى ، وذكرت باب الفناء : أترى الأطفال تركوه مفتوحاً . وجريت إلى الفناء على ساقين لا تكادان تحملانى، وما كدت أبلغ منتصف الطريق إلى الفناء حتى سمعت تلك الصرخة الغريبة العالية التى لم أسمعها من البطة سوى مرة واحدة قبل ذلك ... فعرفت معناها . وجعلت أنادى أنة الخادمة ثم اندفعت نحو الفناء ،فوقع بصرى على منظر لن تفارقنى صورته ما عشتُ . رأيت على مقربةٍ من من مهد الصبىّ كلباً ضخماً أحمر الشعر ، زائغ العينين ، سائل الشدقين ، ورأيت البطة تطيرُ إليه لتلقاهُ منشورة الجناحين تضربُ بمنقارها وتطقطق به كأنه بندقية . وكنت أعلم أنّ أنّة على أثرى وفى يدها المكنسة ، وعندئذ ضل بصرى عن كل شىء إلا عن الصبىّ ولهفتى على أن أحتضن طفلى بين ذراعىّ وأعدو به حتى أبلغ به مأمنه .

وقد فعلتُ ، فإن أنة قد حمت طريقى بهذه المكنسة التى كانت فى يدها ، فلما دخلنا الدار أغلقت الباب وجرت لتستدعى الشرطىّ . وكان الضعف قد أخذ منى مأخذاً حين اتكأتُ على الباب المغلق وأنا أتسمع إلى لغط المعركة الناشبة بين البطة والكلب والمسعور ، فدلنى عواؤه المخيف وزمجرته العاتية على أن البطة تداوره فى أرجاء الفناء . كنت أسمع صوت هدّة أجسامهما وهما يصطرعان ويرتطمان بجدار الفناء ، ثم لم يمض غير قليل حتى خفت صوت خفق البطة بجناحيها وطقطقتها بمنقارها،وخفت أيضاً صرير أشداق الكلب الثائر ، وإذا بى أسمع صرخة الألم التى أرسلتها البطة .

لم يكن فى بيتى بندقية ، وكان من البعيد أن يحضر الشرطىّ فى الوقت المناسب ، فأخذت أبتهل إلى الله أن يلهم البطة فتدرك الخطر الداهم قبل نزوله ، فتطير حتى تصير بمنجاة من الكلب . وكنت على يقين من أنها لن تفعل ذلك، فإن قلبها الذكى الشجاع لن يطاوعها على ترك القتال حتى تطرد عدوّها من الفناء .

وأخذ الصراخ والنباح يقل شيئاً فشيئاً، وخف لغط الصراع أيضاً ، ثم سمعت طلقة مكتومة من مسدس، أعقبها صمت مخيف جاثم.

وأقبل شرطى فلما دنا منى قال : « تعالى فانظرى إلى مشهد لن تقع عيناك على مثله قط » .

كان كل ما فى الفناء مبعثراً فى أرجائه . كانت الكراسى ملقاة على جانبها ، والأزهار وأفنان الشجر مدهوسة ، ومهد الطفل مقــلوباً ، وعلى الرمل الذى شهد سعادة طفلة وبطتها وهما يلعبان — قطرات لونهــا أحمر قاتم . ثم نظرت إلى الباب المفتوح فرأيت جناح البطة ناشباً فى السياج — رقبتها مقصوفة متدلية ، ومنقارها الأسود قد صار أحمر قانياً .

ثم قال الشرطى وهو ينظر إلى رأس الكلب المشوّه : « أظن أننى لم أكن فى حاجة إلى إطلاق الرصاصة » .

لقد انبعثت فى قلب البطة غريزة قديمة من ماضيها البعيد ، تهيب بها أن تستميت فى قتال عدوّها وطرده من بقعة الأرض التى كانت تحبها وتقدسها .



مرة فى العمر

من الحوادث النادرة فى حياة برنارد شو أن يؤخذ على غرّة فى الحديث ، فيكون كالرجل الذى يرتدُّ كيدهُ إلى نحرهِ . وقد حدث مرة أن قضى برنارد شو بأن الرجل أصــدق من المرأة رأياً وأعلى ، ثم التفت إلى زوجته وسألهــا أن تؤيد قولهُ . فقالت : « بلا ريب يا عزيزى . والدليل على ذلك أنك اخترتنى زوجة ، وأنى رضيت بك » .



قصة رجل ولد فى الفاقة فصار اليوم يتقاضى أكبر مرتب فى العالم

أمير هوليوود غير منازع

توماس هجن

يُعد لويس ماير أعظم ممثل فى شركة مترو جولدوين ماير المشهورة بكثرة كواكبها ، ويسلم بذلك منافسوه من مخرجى هوليوود . فهو قادر على أن ينتقل انتقالا يذهلك، من تمثيل دور الأب النصوح ، إلى دور التاجر الذليق اللسان ، إلى دور الخصم العنيد الذى لا يفتأ يصيح ويضرب المائدة بجمع يده . وقد تفوق على الكثرة من ممثلى شركته فى تمثيل روائع الحياة يوماً بعد يوم .

فقد ذهب إليه روبرت تايلور منذ عهد قريب ، فدخل مكتبه فى ثورة من الحماسة ليطلب زيادة مرتبه ، وأوصد تايلور الباب وراءه ، ولكن نبرات صوته الثائر ظلت تدوّى بضع دقائق حتى سمعها من فى المكاتب المجاورة .

ثم حل محلها صوت ماير الهادىء العذب ، وبعد ساعة أو نحوها خرج تايلور والدموع تترقرق فى عينيه .

فسأله فضولىٌّ من سكرتيرى ماير : « ماذا قال لك ؟ »

فقال تايلور والعبرات تكاد تخنقه: «قال لى إنه يتمنى لو كان له ولدٌ مثلى »

فقال السكرتير : « ولكن ماذا قال لك فى شأن المرتب ؟ »



إن له حساً لطيفاً يكشف له سرّ الفلم الجيد الموفق

فقال تايلور : « لم نتحدث فى هذا الشأن »

ولما اقترح ماير على جرير جارسون أن تمثل دور مسز منيفر فى فلم « مسز منيفر » رفضت وأصرت على رفضها زمناً ، وقد كان رأيها أنها مثلت فى الأفلام الثلاثة الأخيرة دور سيدة نَصَف ،

وهذا كاف كل الكفاية، وإلا فإنه إذا عهد إليها في فلم مقبل بتمثيل دور فتاة غريرة لنالت سخرية المتفرجين. فبذل ماير كل حيلة في جعبته حتى يقنعها بقبول ما عرضه عليها، فهو تارة يناشدها أن تقبل وتارة يحاول أن يقنعها بالمنطق، وأخرى يعمد إلى تمثيل دور الساخر أو المغيظ المستاء، ولكنها تشبثت برأيها كالصخرة لا تزحزحها الرياح.

وإذا ماير قد أخذ القصة بيديه وجعل يقرؤها بصوت عال، وما كاد يفعل حتى أخذت جدران المكتب تنشقّ من حوله رويداً رويداً، فصار كأنه واقف وحده بين أنقاض لندن — والقنابل تتساقط من حوله، وهو يواصل جهاده من أجل خلاص الإنسانية. وقد استطاع ماير أن يمثل كل هذا وهو يقرأ سطوراً على ورق، لأن ممثلة عنيدة أبت أن تمثل دوراً يصلح لها وتصلح له، وقد ظل يومين متواليين، لا يتوقف عن القراءة والتمثيل إلا على رغمه ليأخذ نصيباً من الطعام — وقد نسي أنه ماير، فصار مسز منيفر نفسها، وصار أيضاً مدينة لندن التي ضرب الألمان عليها حصارهم من الفضاء. وفي نهاية اليوم الثاني طرحت جارسون عنادها وقبلت. ولم تكد تخرج من مكتبه وقد غلبها على رأيها ما رأته من براعته، حتى ضغط زراً وأمر بأن يدخلوا عليه زائره التالي.

وماير اليوم في الثانية والستين من عمره وهو ربعة بدين زاخر النشاط شديد الدهاء، ويعدّ أمير هوليوود غير منازع، وحين تطلب كشف الكبار من مديري الشركة فلن تجد اسمه بين أسمائهم، وكل ما تجده أنه « مشرف على الإنتاج »، ومع ذلك فلن ترى أحداً يساوره شك في أن اليد التي تدير ستوديو مترو جولدوين ماير إنما هي يده. وشركة مترو جولدوين ماير هي أغنى شركات السينما في أمريكا، ولكنها على ضخامتها لا تستغرق كل نشاطه، فهو في منزلة السفير المفوض لجميع شركات السينما، والحكم الذي ترضى حكومته في شئون الأجور وطول ثياب السيدات. وإذا نزل بهوليوود ملك أو أمير أو كبير من الكبراء كان ماير هو الذي يستقبله ويحتفي به ويقدم إليه لانا ترنر أو ريتا هايورث. ثم هو أول أمير من أمراء السينما نزل ضيفاً على البيت الأبيض، وقد كان صديقاً حميماً للمستر هربرت هوفر، فلما تولى هوفر الرياسة عرض عليه أن يعينه سفير أمريكا في تركيا، فطلب أن يعفى.

وقد ظل ماير بضع سنوات يتقاضى أعظم مرتب في الولايات المتحدة، ومرتبه اليوم في حدود نصف مليون ريال في السنة. ويندر بين رجال الشركة من يرتاب في أن ماير يستحق كل قرش من هذا المرتب الضخم. وليس ثمة

ريب في أن ماير هو القوة التي رفعت ستوديو شركته من مبانيه الرثة القديمة ، إلى ملك ضخم يشغل مئة وسبعين فداناً .

وتسأل الرجال الذين يشتغلون معه فيقولون: « إن ماير هو أعظم رجل كشف له الحجاب عن سر عرض الأشياء التي تسلي الناس ، فكأن له حسًّا خفياً يكشف له العناصر التي لابد منها لصنع فلم جيد موفق».

أما ماير فله رأي آخر في سر نجاح شركته فيقول : « لو لم يكن رأى ٧٥ في المئة من الناس في الأسرة كرأيي أنا فيها ، لما قدّر لنا أي نجاح ». والأفلام التي تخرجها شركة مترو جولدوين ماير مطبوعة بطابع ماير في حداثته ، فقد كان يحب أمه حبا كالعبادة ، ولعل أكبر جرم يستطيع أحد من الناس أن يقترفه أمام ماير هو أن يحقر الأمومة والبيت على مسمع منه .

وهو يعدّ سلسلة أفلام «آندي هاردي» تكريماً قدّمه إلى بنيان الأسرة في الاجتماع البشري . وقد حضر منذ سنوات عرض أحد هذه الأفلام قبل توزيعه ، فرأى فيه آندي شارد الذهن لنزاع وقع بينه وبين حبيبته بولي بنديكت ، فلما جلس إلى العشاء نبذ آندي الطعام الذي قدمته له أمه بإشارة تدل على الاحتقار والازدراء . فدعى مخرج الفلم في صباح اليوم التالي إلى مكتب ماير، فبادر ماير صاحبه بتحية لطيفة تخفي وراءها نار سخطه المتأججة وقال : «تؤسفني حالك ياصاحبي ، فلم أكن أعلم أن ليس لك أم ». فدهش المخرج وقال إن له أما .

وإذا ماير ينفجر غضباً ويقول : « هل كنت تقذف في وجهها الطعام الذي تقدمه لك ؟ أكنت تقول لها: خذي هذه النفاية من أمامي . أيّ ولد مهما بلغ به العقوق يجرؤ أن يفعل هذا بأمه ؟» ، فلما وزع ذلك الفلم رأى الناس في مشهد العشاء الفتى يمتنع عن العشاء ، ولكنه يعتذر عن امتناعه بكلمة رقيقة : « عفوك ياأماه ، فلست جائعاً » .

نشأ ماير في مدينة سان جون في مقاطعة برنزويك في كندا في أحوال أدنى ما تكون إلى الفاقة ــ وقد ثأر لنفسه من فقره في صباه بإخراج أحفل الأفلام بمظاهر الثروة والترف . فهو يحوّل حانة الرقص الزرية إلى مكان يشبه بلاط فرساي ، وسباق الخيل العادي إلى أعظم سباق وأروعه ، ولا يرضى عن فندق يكون دون فندق والدورف أستوريا فخامةً وجمالا . ولن تجد في أفلام ماير إلا مشاهد تفوق ما يماثلها في الحياة ضخامة وروعة .

وقد جاءه أحد المنتجين ذات يوم ليطلعه على ما انتهت إليه مفاوضاته مع أحد المؤلفين من أجل شراء روايته لصنع فلم منها ، فقال له : « إن الرواية تصلح لإخراج فلم عظيم،

ولكن لاسبيل إلى شرائها. فمؤلفها يطلب مئة وخمسين ألف ريال، وأنا أرى أنها لا تساوي أكثر من مئة ألف ريال».

فقال له ماير: «أتعني أن الرواية تصلح لإخراج فلم عظيم إذا اشتريتها بمئة ألف ريال، ولا تكون كذلك إذا كانت بمئة وخمسين ألف ريال. اسمع ياصاحبي، إن الفلم العظيم فلم عظيم، وإذا كان فلما جيـــداً أدرّ عشرة ملايين ريال. وليت شعرى، ما قيمة خمسين ألف ريال؟»

كان ماير فى الحادية والعشرين من عمره يوم هجر سان جون إلى بوسطن، بعد أن ادخر بعض المال من العمل فى تجارة أبيه. وكان المسرح فى بوسطن قد استهواه فى رحلاته السابقة إليها، أما اليوم فقد اشترى مسرحاً قديماً رثاً للملاهى الغنائية كان يعرف باسم الجوهرة، ودفع ٦٠٠ ريال من أصل ثمنه، فنظفه وطلى جدرانه القذرة بالبياض، وأنشأ له فرقة موسيقية من السيدات للعزف فيه، واختار بعضهن من سيدات الطبقة الراقية، وأعد لحفلة الافتتاح فلم «صلب الأكلام»، فبيع كل مقعد فى الدار.

اليوم الثم ماير منذ ذلك اليوم. فى طريق ولم تتلكأ يلوى على شىء، كأنه سيارة قوية رائعة فى طريق منحـــدر، وسرعان ما أعقب نجاحه الأول فى مسرح «الجوهرة» من شراء طائفة من المسارح لعرض الأفلام، وما كسبه من هـــذه المسارح أتاح له أن يشترى وكالة لتوزيع أفلام السنما.

وفى سنة ١٩١٧ زحف ماير على هوليوود تصحبه آنيتـا ستيوارت، وفى جيبه عقد اتفاق معها، فكانت أفلامه الأول موفقة، دون أن تكون رائعة. ولكنه لم يكد يبدأ العمل فى صناعة السنما حتى وفق إلى نجاح باهر، فقد استأجر من كارل ليمل مخرجاً شابا فى الثالثة والعشرين من عمره اسمه إرفنج تالبرج، وسرعان ماثبت أن تالبرج لا يشق له غبار فى صناعة السنما. وقد أجدت براعته الفنية على ماير ربحاً عظيما، فظلا شريكين مدة اثنتى عشرة سنة أخرجا فى بحرها طائفة من أبقى الأفلام ذكراً، منها «العرض العظيم» و«تريد رهورن» و«الفندق الكبير» و«ثورة على السفينة بونتى».

وفى سنة ١٩٢٤ رأى ماركوس لو، وكان يملك طائفة من مسارح السنما وشركتى مترو وجولدوين، أنه فى حاجة إلى ستوديو آخر حتى يستطيع أن يسد حاجة مسارحه إلى الأفلام، فتقدم ماير وعرض عليـه عرض الكريم وسـائل الإنتاج التى أقامها، ولم يطلب منه فى مقابل ذلك سوى حصة فيما يصيبه من ربح الإنتاج. فرأى «لو» أن هذا طلب معتدل، فاندمجت

الشركات الثلاث : مترو — جولدوين — ماير . وقد بلغ ما تقاضاه من الشركة وفقاً لهذا الاتفاق ملايين كثيرة من الريالات .

ومن الروايات التى ورثتها الشركة الجديدة من شركة جولدوين رواية « بن هور » ، التى لم يتم إخراجها ، وكانت قد كلفت مليون ريال أو نحوه ، ولم يصنع منها سوى فلم طوله بضعة آلاف قدم ، لا يعد شيئاً مذكوراً . وما كان أحد يعلم يومئذ أين مكان الجماعة التى تخرج ذلك الفلم ، ولكن كان الغالب على الظن أنها فى إيطاليا تصور مشهد سباق المركبات الهائل فى ميدان مكسيموس برومة . وكان الرأى أن مشروع هذا الفلم صائر إلى الإخفاق — وأن الخير فى العدول عنه .

بيد أن ماير أرسل مخرجاً إلى إيطاليا ليبحث عن مقر الجماعة ويعود بها ، وشيد فى أرض الشركة بمدينة كلفر ميداناً كميدان مكسيموس كلفه مالا كثيراً ، ولكنه أنجز الفلم ، فاستغرق إنجازه سنة أخرى ومليوناً ثانيا من الريالات . وقد بلغ مجمل دخل « بن هور » عشرة ملايين ريال ، ولا يزال يعدمن أجدى الأفلام على صانعها .

ولم يزل ماير منذ اندمج فى شركة متروجولدوين ماير ، أبرع رجالها فى استكشاف مواهب الذين يصلحون للتمثيل فى السنما .

وأكثر الكواكب الذين بنت لهم هذه الشركة مجداً عالياً فى عالم السنما ، لم ينالوا ما نالوه إلا بفطنته ودقة حسه . فقد رأى فى سنة ١٩٢٠ ممثلة شقراء تعمل فى ستوديو بمدينة برلين ، وكانت أقرب إلى اللاعبة الرياضية منها إلى الممثلة الرشيقة ، فقال لصحبه : « أتدرون أن هذه الفتاة تنطوى على شىء عظيم ؟ »

فكان الرد الساخر : « وذلك الشىء هو عضلاتها ، فهى أشبه ببطل المصارعة » .

ولكن ماير أصر على رأيه ، وقال : « سأعقد معها اتفاقاً » وفعل ، ثم أمرها أن تلزم نظاماً دقيقاً فى أكلها ، وسافر بها إلى أمريكا ، وعلمها الإنجليزية ثم جعلها تمثل فى فلم « الشيطان والجسد » وسرعان ما وافقه كثير من الناس على أن جريتا جاربو تنطوى على « شىء عظيم » .

وماير أيضاً هو الذى اختار ممثلا ضخم الجثة كان يعهد إليه بدور الشرير فى الأفلام وجعل منه كوكباً تخفق له القلوب ، فصار أجلب الكواكب للربح فى صناعة السنما — ذلك هو كلارك جيبل . واطلع ذات يوم على صور ممثلة عجوز مضى زمنها ، وكانت تعيش عيشة الضنك فى إحدى ضواحى نيويورك ، فأرسل يستدعيها وحولها إلى التمثيل فى السنما ، فإذا هى مارى درسلر . وفى سنة ١٩٣٤ سمع فتاة صغيرة نحيلة لا شىء من الرشاقة فى

حركاتها، وكانت تغنى فى مسرح، وكان صوتها رخيما، ولكنها كانت تبدو بعيدة البعد كله عن النجاح فى السنما. فظل ماير يدربها سنتين كاملتين، وخلع عليها الثياب الجميلة، وأمر بتصنيعها حتى صارت جميلة، وطمأنها حتى صارت تثق بنفسها - فإذا هى جودى جارلند.

وقد اشتهر ماير بعنف غضبه، ويعزو أطباؤه ما يستمتع به الآن من عافية الشباب ونشاطهم إلى فورات غضبه. والحق أن نشاطه العجيب يضنى جماعة الرجال الأشداء الذين يعملون معه، وقد ظل يسوق سيارته بنفسه حتى صرفه عن ذلك فريق من أصدقائه الذين يحبون الخير العام. وهو رجل مضياف ولكن حسن الضيافة فى نظره هو أن يدعو صديقاً إلى الفطور معه فى الساعة السادسة صباحا، ثم يمضى به فى سيارته يسوقها بسرعة مخيفة. أما اليوم فقد صار له سائق يسوق سيارته، ولكنه لا يزال يبدأ يومه فى الساعة السادسة صباحاً. فإذا كانت التاسعة والنصف كان فى مكتبه فى الاستوديو فيكب على عمله كأنه قطار مندفع حتى الساعة السادسة مساء. ويعنى بمشاهدة فلم أو فلمين، ثم يذهب إلى مرقص، وقد بدأ يتعلم الرقص منذ سنوات. علاجاً من الأرق، فصار اليوم من أبرع راقصى الرومبا فى هوليوود، وكثيراً ما يرقصها ساعتين متواليتين، فإذا توقفت الفرقة عن العزف غضب غضباً شديداً.

ومنذ سنتين سقط ماير عن جواده فكسر عظم الحوض، فظل نشاطه الفوّار معتقلا فى الفراش عدة أشهر. فلما أبلّ وعاد إلى الاستوديو، لاحظ شركاؤه تغيراً هالهم أمره، فقد كان برغم عافيته هادئاً ساكناً، وكان لا يرفع صوته فى وجوه الممثلين كما ألفوه. وكان زملاؤه يرون أن هناك صلة وثيقة بين نجاح الشركة وفورات غضبه، فظنوا أن نفسه قد فترت، وأن اهتمامه بالعمل قد ضعف.

ولكن محرجاً من منافسيه أعاد الرجل إلى ما كان عليه. فقد حدثه بالتلفون ذات يوم يريد أن يأخذ كوكبين من كواكب مترو جولدوين ماير للتمثيل فى فلم يعنى بصنعه، وبدأ حديثه بكلمة رقيقة فيها ثناء على ماير فقال: « أنت تعرف ياصاحبى أنك رجل عظيم، والعظماء نوادر، فمن حقنا عليك أن تعنى بنفسك وبصحتك». ثم ذكر مايريد وكأنه يعتذر. وإذا ماير ينفجر غضباً، وبلغ غايته فى تخير ألفاظ السب والشتم التى انهال بها على محدثه، وكان صوته نخماً رناناً يدوى فى أرجاء البناء، فتجمع الموظفون فى الدهاليز، وكف الكتبة وسائر المديرين عن عملهم - وجعلوا يصغون ويبتسمون - لقد عاد ماير إلى ما كان عليه، وإذن فشركة مترو جولدوين ماير لا تزال بخير!



باتريشا لوكريدج

مختصرة من مجلة
"وومانز هوم كومبانيون"

سوف يودي الإجهاض فى هذا العام بمئات من النساء ، ويدع ألوفاً سواهن نساء عواقر ، أو مصابات بداء لا برء منه . والإجهاض فى ثلثهن جميعاً يجيء من تلقاء نفسه ، أو يكون علاجاً يقتضيه الطب ، ولكن سائرهن يجهضن بمحض اختيارهن ، سواء فى ذلك من تصنع شيئاً لتحدث الإجهاض ، أو تلجأ إلى من يجهضها إجهاضاً يحرمه القانون .

وثمة عشرات من المصانع تبيع كل سنة من العقاقير المجهضة ما يقوّم ثمنه بملايين من الجنيهات ، فلذلك ترى أصحاب مصانع العقاقير المرخص لها ، ترحب أحسن ترحيب بحملة تشنها الحكومات على مصانع العقاقير المجهضة ، بعد أن طال أمد تهاونها .

إن ٩٠ فى المئة من أعمال الإجهاض التى يحرمها القانون ، تقترفها نساء متزوجات تتفاوت أعمارهن بين ٢٥ سنة و ٣٥ سنة ، ممن أنجبن ولدين أو ثلاثة أولاد . فالسيدة س مثلا أمّ ثلاثة ، فلما حملت بالرابع عزمت لأسباب اقتصادية أن لا يكون لها ولد رابع ، فأشارت عليها جارة لها : « اذهبي إلى الصيدلية واشتري بعضاً من حبوب الإرجوت والكينا ، فهى كفيلة بما تريدين » . وقد أوحت الجارة إلى السيدة س فيما قالته لها أن هذه طريقة لا تخطىء ، وأنها مأمونة المغبة ، فماتت السيدة س بعد أسبوع .

وقد قص علي الدكتور توماس لينارد ، الطبيب سابقاً فى مستشفى جالينجر البلدى فى مدينة وشنطن ، قصة امرأة أخرى كانت فى أوائل حملها ، فجيء بها إلى المستشفى مصابة بالتسمم من حبوب الإرجوت . وكانت فى غشية ، تنفث الدم من فمها ، وتوشك أن تصاب بالأكلة (الغنغرينا) وهى النتيجة المخوفة لتسمم الإرجوت . وقد تبين الطبيب فيما بعد أنها دأبت على أخذ الإرجوت والكينا كل يوم منذ أربعة أسابيع ، ومرت الأيام ولم تجهض ، فألح عليها اليأس فضاعفت مقدار ما تأخذه من العقّارين ثم جعلته ثلاثة أضعاف حتى ساءت حالها ، فلم ينقذها من الهلاك سوى معجزة طبية .

وقد أجمع كبار أطباء الولادة وأمراض النساء على أنك لا تجد عقاراً ولا مجموعة

من العقاقير التى تؤخذ بالفم ، تستطيع أن تحدث الإجهاض . وتصديق هذا الرأى والأخذ به ، كفيل بإنقاذ ألوف من النساء كل سنة من الهلاك .

وقد قال لى الدكتور جوردن جرينجر ، طبيب أمراض النساء فى إدارة الطعام والعقاقير فى أمريكا ما يلى : « إن ذيوع شهرة العقاقير المجهضة مردُّه إلى أنها تعيد الحيض إلى نساء يحسبن أنهنّ حوامل ، ولكنهنّ لسن حوامل ، وكلُّ ما بهن أن أبطأ الطمثُ عليهن بتأثير الهم وتعب الأعصاب . فيأخذن الحبة ، وتمر الأيام فتستقيم أمورهن ، ويزول ما يعانينهُ من متاعب الحيض . وقد كانت خليقة أن تستقيم سواء أخذن هذه الحبوب أو لم يأخذنها . ولكنهن ينسبن هذا النجاح إلى أثر العقار ، فتكبر هذه الخرافة وتذيع » .

ومنذ سنوات صنع مصنع ألمانى للعقاقير يدعى ميرز وشركاؤه فى مدينة فرانكفورت دواء مجهضاً بدأ يبيعه فى الولايات المتحدة ، وكان القانون فى ألمانيا قد حرَّم هذا الدواء لأنه أودى بحياة كثيرين من النساء أو أورثهن آفات لا تبرأ . وأنشأت شركة ميرز مصنعاً فى ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة ، فباعت فى الأشهر الأولى من هذا العقار ما يقوَّم بأربعين ألف جنيه . وأدرك اثنان من رجالها يسْرَ صنع هذه المادة ، فتركا الشركة وأخذ كلٌّ منهما يصنع هذا الدواء لحسابه الخاص .

وهذا الدواء حين يحدث الإجهاض غير الطبيعى ، يصل إلى دورة الدم فتنطلق منه مواد سامَّة ، يعقبها موت عاجل لا يغنى الطبُّ شيئاً فى ردِّه ، ففى بحر ثلاث ساعات أو أربع ساعات يسكت القلب . وليس ثمة وسيلة تعين على تقدير أثر هذا الدواء : أهو الإجهاض أم الموت . وقد جعل المجهضون غير الشرعيين يستعملونه لأنه يختلف عن عملية الكحت فى أنه لا يترك أثراً بعد الوفاة . بل بلغ الأمر من شركة ميرز أن نصحت باستعماله فى إجهاض يقتضيه العلاج .

وقد اشتراه كثيرون من أطباء الريف وهم يجهلون أخطاره ، وقد استعمله طبيب حسن النية فى ولاية إلينوى فى إجهاض أراد به علاج مريضته ، فخارت قوة المرأة فى عيادته وازرق وجهها وانقطع نفسها ، فهرع بها إلى المستشفى حيث أسعفت بالأكسجين لساعتها ، ولو لم يفعلوا لهلكت ، بيد أنها سوف تبقى سقيمة بقية حياتها .

وقد تبيَّن المحققون أن صنع هذا الدواء قد انقطع ، ولكن الوفاة من جرائه لم تنقطع ، ذلك بأن اثنين من الذين يصنعونه أغلقت مصانعهما وسجنا ، ولكنهما أبرقا

قبيل ذلك إلى زبائنهما أن يخزنا منه مايستطيعان ، والرأى أن كثيرين من المجهضين اشتروا منه مقداراً كبيراً .

والحكومة ماضية فى كفاحه ، ولكنها تحتاج إلى مؤازرة النساء . والغرض الأول ولا ريب ، هو مكافحة فكرة الإجهاض نفسها ، ولا يقلُّ عنها شأناً أن تصمت الألسن التى تتحدث عن الإجهاض الهين المأمون . وينبغى لأساتذة المدارس التى تدرَّس فيها المسائل الجنسية ، أن يوضحوا مخاطر الإجهاض الذى تحاول المرأة أن تحدثه بنفسها . إن كلة الإجهاض كلة بشعة ، بيد أن كلمتى الإهمال وقلة المبالاة ليستا أقلّ منها بشاعة .

كانت جماعة من الطيَّارين الأمريكيين تقضى أيام النقاهة فى مستشفى بإنجلترا ، وكان أحدهم « جم ديفس » بادى الهم ، فزوجته سوزان فى أمريكا وقد دنا موعد وضعها وفات دون أن يتلق كلة من أهله عنها ، فاستبدَّ به الخوف أن يكون الأمر على غير ما يرام ، وأن أهله يحاولون جهدهم أن يرجئوا إطلاعه على الحقيقة .

وإذا طيار لا يعرفه من جناح آخر فى المستشفى قد دخل علينا فجأة وهو يلوِّح بورقة فى يده ، وصاح : « أبينكم أحدٌ اسمه جم ديفس » ، فنهض صاحبنا جم والخوف يقعده ، فأقبل عليه الطارىء وأعطاه الورقة وقال: « أهنئك يا أخى » .

فقرأ جم البرقية بصوت يرتعش فإذا هى : « الأم والابنة فى حالة جيدة . رسالة بالبريد » . فطارت نفسه فرحاً وأمسك بالذى حمل النبأ إليه وصارا يرقصان وهو يصيح : « يسرنى أن أراك يا أخى . أهلا ! أهلا ! » . ولكن الشيء الغريب الذى استوقف نظرنا هو أن الرجل الآخر كان أيضاً مبتهجاً ، فجعل يصيح : « وأنا أيضاً يسرُّنى أن أراك » ..

فقال جم مستريباً : « وما سبب فرحك ؟ »

فقال : « لأنى وجدت هنا رجلا آخر اسمه كاسمى ، فقد تلقيت هذه البرقية اللعينة منذ يومين — وأنا يا أخى لم أعد إلى بيتى منذ سنتين ! » .

[فرنسيس ريدر]

فن الحياة

لن يوتانج

مقتطفات من كتاب هذا الفيلسوف الصيني المعاصر

سوف أقدم بين يديك رأياً فى الحياة كما انتهت إليه ألطف العقول الصينية وأحسنها حكمة . فنحن معشر أهل الصين لا نرى الحياة ميدان جهاد ، بل هى عندنا مؤلفة من أعمالنا فى كل يوم : من مأكل ومشرب ونوم ، ومن لقاء ووداع لأصدقائنا ، ومن اجتماع وافتراق ، ومن ضحك وبكاء ، ومن سقى زهرة ناضرة ومشهد مصرع جار قد سقط من سطح داره . وقد أدرك أهل الصين هذا أحسن إدراك ، فمن أجل ذلك نشأت لهم فى فهم الحياة فلسفة لطيفة ، وأكاد أقول مرحة .

والمشكلة الوحيدة التى يرى لها الفيلسوف الصينى شيئاً من خطر الشأن هى : كيف نستمتع بالحياة ؟ وهو يقدم على بحث هذه المشكلة غير حريص على التماس الكمال ، ولا كادح فى طلب المحال ، بل ينظر إلى هذا الإنسان الضعيف الفانى كما هو ، ولا يزيد على أن يسأل نفسه : كيف نستطيع أن ندبر أمور حياتنا حتى يُتاح لنا أن نعمل فى أمن وسلام ، وأن نصبر على البلوى فى نُبل ، وأن نقضى أيامنا فى سعادة ؟

والعالم ، فيما أرى ، محتاج إلى هذا الرأى الحكيم المبتهج فى نظرته إلى الحياة . فالإنسان فى زمننا هذا قد أصبح متزمتاً مغالياً فى الجد ، ومن أجل ذلك امتلأت دنياه بالقلاقل والمتاعب .

فن الكسل

الثقافة بنت الفراغ والراحة . وأهل الصين يرون أن أحسن الناس ممارسة للكسل هو أحسنهم ثقافة ، ويبدو لهم أن هناك تناقضاً بين كثرة العمل والحكمة ، فالرجل الحكيم لا يتأتّى له أن يكون كثير العمل ، والرجل الكثير العمل لا يتيسر له أن يكون حكيماً .

ورذائل أهل أمريكا هى عند أهل الصين : قدرتهم على العمل ، ودقتهم فى أدائه ، وشدة حرصهم على النجاح . وهذه الثلاثة هى التى تجعل أهل أمريكا على هذه الحال

من الشقاء وحدة الطباع ، وهي التي تسلب أهل أمريكا حقهم الطبيعي في ممارسة الكسل ، وتخدعهم عن أيام كثيرة فتسرق منها ساعات الأصيل الحافلة بالراحة والجمال .

والفن الجميل الذي تعرف به كيف تنجز الأعمال ، يقابله فن جميل آخر تعرف به كيف تدع الأعمال فلا تنجزها . وأحكم الحكمة في الحياة أن تعرف كيف تصرف وجهك عن كل شيء لا ضرورة له . فأنت إذا حرصت على المبادرة في الردّ على الرسائل التي تتلقاها ، أو حرصت على أن تدع هذه الرسائل ولا تكلف نفسك مؤونة الرد عليها البتة ، فعاقبة الأمرين سواء على وجه العموم . ولو أنت تركت هذه الرسائل في درج مكتبك ثلاثة أشهر ، ثم فضضتها وقرأتها ، لاستيقنت عندئذ أنك لو كنت رددت عليها لما كان الذي فعلت سوى إضاعة وقت لا جدوى منها .

ومن أغرب الإعلانات الأمريكية التي قرأتها وأدلها على طباع الأمريكيين ، هذا الإعلان الذي نشرته إحدى شركات الهندسة « مقاربة الإتقان ليست بكافية » . أما الصيني فعنده أن مقاربة الإتقان كافية كل الكفاية . ونحن نعتقد أن القدرة على العمل لا تدع لأحدنا فراغاً يروّح فيه عن نفسه ، وأنها ترهقه شططاً بحرصه على إتقان الشيء الذي يعمله . خذ مثلا محرر مجلة أمريكية ، فهو يقتل نفسه حرصاً على أن لا تظهر في مجلته أخطاء مطبعية ، ثم انظر إلى المحرر الصيني فهو أحكم منه رأياً . إنه ليسره أن يتيح لقرائه أن يستمتعوا بالرضى عن أنفسهم حين يعثرون على بضعة أخطاء يهتدون إليها بأنفسهم . وأعظم من ذلك أن المجلة الصينية تستطيع أن تبدأ في نشر قصة مسلسلة ، ثم لا تكاد تبلغ منتصف القصة حتى تسقطها من حسابها كأن لم تكن . ولو حدث مثل ذلك في أمريكا لكان بلاء ماحقاً على المحرر ، أما في الصين فذلك « أمر هين » ، لا لشيء إلا لأنه « أمر هين » .

والمهندس الأمريكي يحرص أشد الحرص حين يحفر نفقاً في جبل مثلا ، أن يلتقي الحفر من هنا والحفر من هناك بحساب لا يخطىء عشر معشار بوصة . أما في الصين ، فلو بدأ رجلان يحفران نفقاً في جبل ، هذا من ناحية وذلك من الناحية الأخرى ، فأكبر الظن أن ينتهي هذا في مكان ، وينتهي الآخر إلى مكان بعيد عنه . والشركة الهندسية الصينية التي تتولى الحفر تعتقد أن هذا « أمر هين » ، ما دام النفق قد تم حفره . وفيم الغضب وقد ظفرنا بنفقين صالحين مكان نفق واحد ؟

إن التوقيت الدقيق في الحياة الأمريكية

يحيل الإنسان إلى ساعة دوّارة ، وهذا هو السر الذى يجعل الحياة فيها كأنها حمى. فالرجل الذى يحرص على أن يكون فى مكان مّا فى الساعة الخامسة تماما ، لا ينتفع البتّة بوقته ما بين الواحدة إلى الخامسة ، فهو وقت يدمّره هذا الحرص على التوقيت ، وكل رجل فى أمريكا يقسّم أوقاته كأنه طفل فى مدرسة — الساعة الثالثة لكذا ، والساعة الخامسة لذاك ، والسادسة والنصف لتغيير ثيابه ، وفى الساعة السادسة وخمسين دقيقة يكون فى سيارته ، وفى الساعة السابعة تطأ قدمه أرض المكان الذى فيه ميعاده . ولا ثمرة لكل هذا إلا أن تصير حياة المرء سخيفة لا تستحقّ منه أن يحياها .

وقد بلغ الأمريكيون بذلك مبلغاً يستحق الرثاء والشفقة ، فكل امرىء منهم مقيّد بمواعيد — لا فى غده فحسب ، بل فى شهر كامل يستقبله . أما فى الصين فالمواعيد المضروبة لأجل بعيد شىء غير معروف عندنا . وإذا تلقى الصينى بطاقة دعوة إلى مأدبة مثلا ، فليس فرضاً عليه أن يجيب بقبول أو رفض ، بل غاية ما عليه أن يكتب على البطاقة « عرفت » ، فذلك دليل على أنه عرف خبر الدعوة ، غير مصرّح بنية أو وعد .

وإنه ليسرنى أحياناً أن أتخيل يوما أرى فيه مدينة نيويورك وقد هدأت وآثرت بطء الحركة ، فأرى الأمريكى المسرع العجلان فى طلب ما يريد ، قد انقلب صينياً مكسالا ، وأرى رجل الشرطة واقفاً يحيي أحد المارة فى الطريق ، وسائق السيارة يقف سيارته ليحيي زميلا له ويجاذبه بعض الحديث عن الطير والأزهار ، وأرى الرجل أمامه كأس من البرتقال فيقضى فى شربه نصف ساعة لا بضع ثوان وحسب .

وإنه ليحزننى أن أعلم أن هذا الحلم لن يتحقق قط فى مدينة نيويورك ، وأن الأمريكى سوف يظل محروماً من التمتع بالأصيل يقضيه خالى البال متلذّذاً بساعات من الكسل .

النهر الخالد

يقوم بناء الأسرة الصينية على مذهب فى الحياة أستطيع أن أسميه مذهب « نهر الحياة » ، وهو مذهب يجعل الخلود شيئاً تكاد تراه بعينك وتحسه بيدك . فكل جدّ من رجالنا يحس ، حين يرى أحفاده وهم فى طريقهم إلى المدرسة ، أنه قد ارتدّ حقاً إلى حياة الطفولة مرة أخرى ، وأن حياته هو ليست سوى جزء من حياة أسرته التى تتدفق فى نهر الحياة إلى أبد الآبدين .

وتصوُّر الحياة على هذا النهج يجعل نظرة

المرء إلى كل شيء نظرة ممتدة إلى آفاق بعيدة ، فإنه لم يعد ينظر إلى الحياة على أنها شيء يبدأ وينتهي بمولد الفرد ثم موته . ومن أجل ذلك صار للنجاح في الحياة عند أهل الصين معنى غير معناه عند أهل أمريكا. فالمثل الأعلى عند الصيني هو أن يعيش عيشة لا تجلب العار على أسلافه ، وأن ينجب أبناء لا يجد في نسبتهم إليه عاراً يشينه .

وقد بذلتّ جهوداً لا تكل في المقارنة بين حياة الشرق وحياة الغرب ، فلم أجد فرقا أشد جلاءً وظهوراً من نظرة كل منهما إلى كبر السن . وعلى طول ما عشت في بلاد الغرب لا أزال أجدني في دهشة من نظرة الغربيين إلى كبر السن . وقد سمعت مرة سيدة عجوزاً تذكر أنه قد ولد لها عدة أحفاد ولكن : « الشعور بالنكبة لا تكون إلا عند مولد الحفيد الأول » . ومع علمي أن الأمريكي يمقت أن يكون عند أحد من الناس إنساناً كبرت سنه ، إلا أنني لم أكن أتوقع أن يعبر أحد عن هذا المقت بمثل هذه الكلمة النابية التي جرت على لسان هـذه السـيدة . أما عندنا فالمرء إذا بلغ الحادية والخمسين فذلك يوم فرح عظيم وابتهاج ، فإذا انتهى إلى الحادية والستين والحادية والسبعين فذلك عيد من أسعد الأعياد وأجلها شأناً ، فإذا أفضى إلى الحادية والثمانين من عمره فهو يومئذ رجل مقدّس محبوب عند الأرباب .

لماذا لا نستمتع بالحياة ؟

كل فلسفة صادقة صالحة للتطبيق في الحياة ، فلا بد من أن تدرك قيمة المعدة في حياة الإنسان . انظر كيف تشرق نفس الصيني إشراقاً إذا جلس إلى مائدة فيها طيبات الطعام؟ إن الصينيّ يعتمد على الفطرة ، والفطرة تقول له : إذا صلحت المعدة صلح كل شيء في الحياة . فمن أجل ذلك ترى الصينيين لا يتكلفون الحشمة والحياة في إبداء تلذّذهم بالمأكل والمشرب . فهذه الأشياء التي يسمونها آداب المائدة هي التي تلقي بالطفل الغربي في سراديب الأحزان منذ اليوم الذي تنهاه فيه أمه عن إبداء تلذّذه بطعامه بمص فمه ولحس شفتيه . وهكذا طبيعة البشر ، فالمرء إذا كف عن إبداء فرحه وسروره ، لم يلبث أن يفقد الشعور بالفرح والسرور ، وعاقبة ذلك أن تستبدّ به الكآبة والأحزان . وفيم كل هذا الشقاء وكل هذا الوقار الذي يبدو في أسارير الأمريكي وهو يأكل ؟ أليس الأجدر به أن يقلد الفرنسي ويزمزم تلك الزمزمة الفطرية « أوه » حين يذوق طعاما لذيذاً مستطابا جيد الطبخ ؟ وأي عار في تلذّذ

المرء بطعامه ، وفى أن تكون له شهية طبيعية تنم على الصحة والعافية ؟ ألا إن الصينى لا يحسن أدب المائدة ، ولكن حسبه أن يحسن الاستمتاع بما يأكل على المائدة .

ولأهل الصين أيضاً فلسفة فى الاضطجاع على الكراسي كسلاً وراحة . فالمرء إنما يجلس على كرسى لكى يستريح ، وإذن فكلما اشتد حرص المرء على أن تكون جلسته مريحة فى الكرسى الذى يجلس عليه فى بيت صديقه ، كان ذلك حرصاً منه على أن يبدى لصديقه أقصى الاحترام والتقدير . وفضلا عن ذلك ، فإن حرص المرء على أن يرفع التكليف ويبدى أنه مستريح « فى بيت الصديق » الذى أضافه ، معونة منه يسديها إلى صديقه فى تخفيف الجهد الشاق الذى يقتضيه إكرام الضيف . وكم من ربة بيت تغّص عليها الخوفُ ليلتها ، لأن ضيوفها أبوا أن يرفعوا التكليف وأن يكونوا على سجيتهم وهم فى ضيافتها . ومن دأبى أنا أن أعين ربَّ البيت وربته على حسن الضيافة ، بأن أمدّ رجلىّ أو أضعهما على أى شيء ألقاه أمامى من منضدة أو سواها .

مشكلة السعادة

لست أرتاب فى أن سعادة البشر سعادة حسية ، ولذلك ينبغى أن تكون غاية الفلسفة هى أن تقوّى ثقتنا بهذا الجهاز المستقبل الدقيق الذى نسميه « البدن » ، بما أودع الله فيه من حواس الشم والذوق واللمس والبصر والسمع ، فعلينا أن نكون كما شاء الله لنا أن نكون .

ولا ريب فى أن أول نقد يوجه إلى هذا الرأى هو أنه رأى خال من الشعور بالتبعة الاجتماعية ، وأنه يزين للإنسان أن لا يبالى بشيء إلا بما يجد فيه متاعاً لنفسه . وأصحاب هذا الأسلوب فى النقد ، يجهلون ماينطوى عليه قلب من يحب الحياة حباً صادقاً من رقة الطبع ولطف الإحساس . وينبغى أن لا نجعل حب الإنسان لأخيه الإنسان مسألة من مسائل العقل تتطلب الإقناع بالبرهان ، بل ينبغى أن تكون إحساساً مجرداً يتدفق من نفس صحيحة تحب الطبيعة وتعيش فى كنفها . ولن تجد رجلا يحب الشجر حباً خالصاً ، يستطيع أن يؤذى بقسوته حيواناً أو إنساناً من بنى جلدته . والطبيعة هى الطب الأعظم ، ففى هذه الأشجار الباسقة والصخور الساكنة الصامتة ، خواصُّ تبرىء البدن من الشهوات ، وتشفى النفس من أمراضها — من الأثرة والضجر والحقد والبغضاء وسائر مساوىء الأخلاق . ورقة الطباع شيء طبيعى غير متكلف فى النفس الصحيحة الكاملة .

أنت على صواب دائما ؟

حبّ الإنصاف فيما أرى هو غاية الثقافة ومطمح الإنسان المثقف . وليس فى الناس إنسان كامل ، وكل ما يستطيعه المرء هو أن يسعى إلى أن يكون مخلوقاً لطيفاً منصفاً . وإنه ليعجزنا أن نتخيل أزواجاً كاملين وزوجات كاملات لا يقع بينهم شجار قط . وكل ما نستطيع أن نتصوره هو أزواج وزوجات من أهل الإنصاف ، يتشاجرون ثم يتصالحون على أساس من الإنصاف . والرجل الحريص على اتباع المنطق فى تفكيره رجل مستبد برأيه دائماً ، فهو إذن شاذ عن طبيعة البشر ، فهو من أجل ذلك حليف الخطأ . أما الرجل المحب للإنصاف فهو يتهم نفسه ويخشى أن يكون مخطئاً فيما يقول أو يفعل ، فهو من أجل ذلك حليف الصواب . والمفكر اللطيف المفكر هو الرجل الذى تراه يفيض فى الجدال عن رأى من الآراء بإصرار وعناد ، ثم لا يلبث حتى يهجس فى نفسه خاطر يهديه ، فيدفعه حسن فطنته إلى الكفّ عن هذا الجدال مرة واحدة ، ويسلم لخصمه بأنه مخطىء فيما كان يقول :

كان « تسى سى » حفيد كونفوشيوس حكيم الصين ، يدعو الناس إلى حياة يسودها جمال الإنصاف ، أى إلى مذهب « الاعتدال » فى الحياة . وفلسفته قائمة على أن المثل الأعلى للإنسان هو الرجل الذى يعيش بقسط من ذيوع الصيت يعادله قسط مثله من خمول الذكر ؛ رجل لا يبلغ به الفقر أن يعجز عن دفع أجرة منزله ، ولا يبلغ به غناه أن يستغنى عن العمل ؛ رجل يحسن الضرب على البيان ، ولكنه يحسن من ذلك قدراً يكفيه أن ينال من أصدقائه المقربين حسن الإصغاء ، وأن يكون ذلك سبباً فى رضاه عن نفسه ؛ رجل يستكثر من العلم والمعرفة ولكن دون أن يفضى به حرصه على العلم أن يصبح متخصصاً فى علم بعينه .

وأنا أؤيد كل التأييد أن يكون الفرد فى كل شىء مستقلا بنفسه وهاوياً له غير ممارس . فأنا أحب الفيلسوف الهاوى ، والشاعر الهاوى ، والمصور الهاوى ، والساحر الهاوى . وسرورى حين أسمع صديقاً هاوياً يعزف شيئاً من الموسيقى غير مكترث ولا عابىء ، كسرورى حين أسمع فرقة من أئمة الموسيقى وهم يعزفون عزفاً دقيقاً متقناً . ورأيى أن الفن ينبغى أن يكون فيضاً من نشاط البدن والعقل ، وأن يكون مرسلاً طليقاً لا يعوقه عائق ، وأن يكون فناً من أجل الفن وحده . وأفضل الرأيين عندى هو أن يكون الفن تسلية

ولهواً محضاً من لهو النفس الإنسانية .ولن يتيسر لروح الفن الخالص أن تسود المجتمع وتتغلغل فيه ، إلا إذا أتيح لطائفة كبيرة من أهله أن يستمتعوا بالفن على أنه تزجية فراغ غير ناظرين أو طالبين لخلود الذكر. وكان أحب إلى نفسى أن أرى الناس يتهادون فى أعيادهم بطاقات مزينة برسوم من صنع أيديهم ، مهما بلغ من سوء رسمها ، من أن أرى جماعة قليلة من الرسامين المجيدين المحترفين يرتزقون بتزيين هذه البطاقات للناس .

ومن ألطف خصائص العقل الإنسانى ما يعرض له من نسيان وطيش وتقلب . تصوّر عالماً لا ترى فيه مَلِكاً يتخلى عن عرشه من أجل امرأة يحبها ، ولا رجلا يغير رأياً يراه بل يظل حريصاً أدق الحرص على نهج اختطه لنفسه بوحى من المنطق منذ كان فى العاشرة من عمره — ولو كان ذلك لفقدت الحياة كل بهجتها وروعتها ، بل لن تجد فى مثل هذا العالم يومئذ أدباً ولا فناً ، لأنه عالم خلا من ضعف الإنسان ، ومن العاطفة الجامحة ، وشرٌّ من ذلك كله أنه خلا من المفاجأة التى تثير الدهشة . وإن أخطاء البشر لهى زينة هذه الحياة الدنيا وبهجتها ، فلو كان البشر جميعاً ذوى عقل كامل سليم ، لانقلبوا إلى آلات دقيقة ، ولصار العقل الإنسانى آلة تسجل آثار ما يعرض لها بدقة كدقة عدّاد الكهرباء .

ولست أعتقد بأن ثمة حضارة يمكن أن تسمى حضارة كاملة ، إلا إذا استمدّت حياتها من البساطة فى العيش. وحكمة الحياة فى هذه الدنيا هى نبذ ما لا ضرورة له ، والرضى بالأشياء التى هى أقرب إلينا من سواها — أى أن نستمتع بالبيت ، وبحياتنا اليومية ، وبالطبيعة التى تكتنفنا . وأنا على يقين من أن تحت هذا الصخب الذى يغشى الحياة الأمريكية ، شوقاً عظيما يجعل الأمريكى يتوق إلى أن ينزل بقعة من الأرض خضراء معشبة تحت شجرة جميلة ناعمة الظلال ، ثم يبقى فى ظلالها لا يعمل شيئاً . والأمريكى يأنف أنفة ظاهرة من كلمة « الكسل » ، ولكنه فى مثل تلك الساعات وحدها يسمع صوتاً فى قلبه يقول : « ما أجمل الحياة ! »

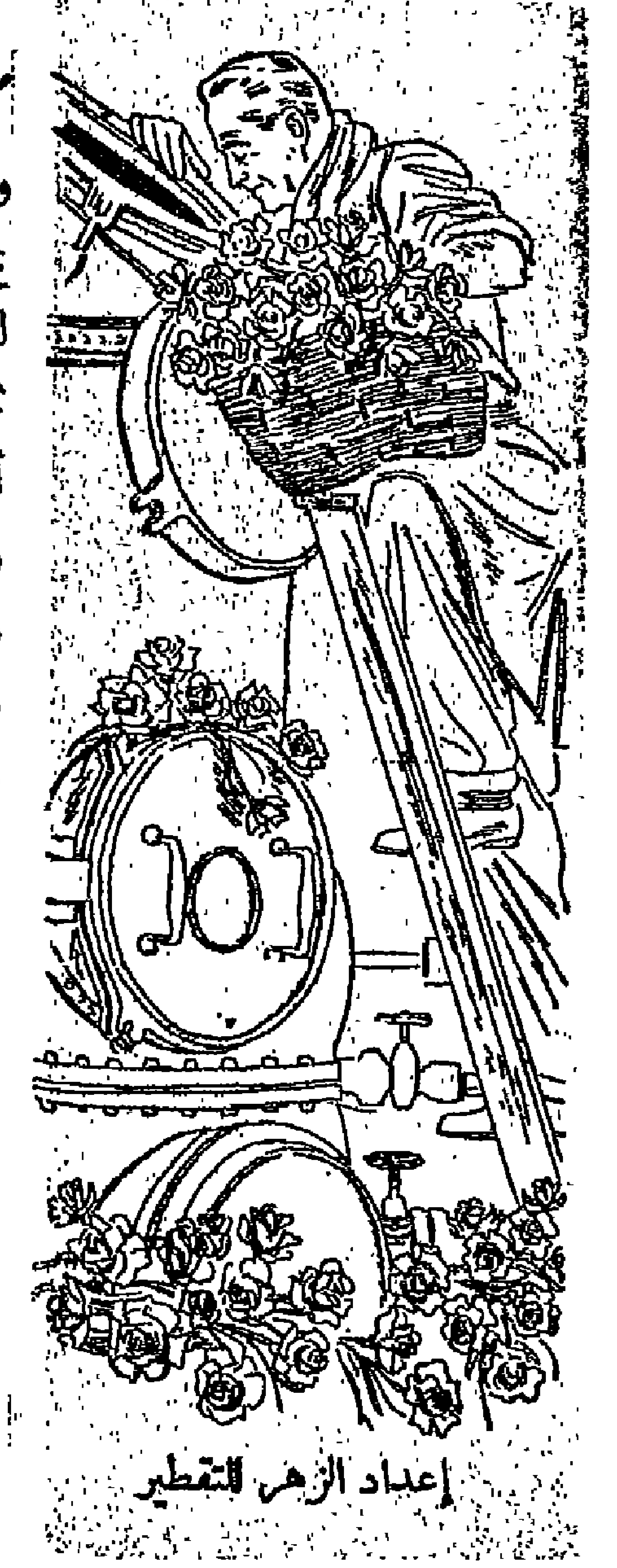


صورة لفظية : ليلٌ صافٍ كقلب الطفل الوليد

هذه مدينة جراس ، عاصمة صناعة العطور فى العالم

و . ب . كورتنى

مختصرة من مجلة "كوليرز"



إعداد الزهر للتقطير

أفخر الألقاب التى تخلع على من يشتغل بصناعة العطور ، أنهم يسمونه « أنفاً » لجودة شمه . وينبغى لمن يظفر بهذا اللقب أن يكون قادراً على أن يميز سبعة آلاف نوع من الروائح المختلفة ، وينبغى له أيضاً أن ينال أعلى درجات الجامعة فى علم الكيمياء ، ثم يقضى خمسة عشر عاماً يتدرب على عمله ، ولا يمكن أن يعرف هل هو جدير بلقب «الأنف» إلا بعدها. ولعلك لا تجد فى العالم كله سوى عشرة أو نحو ذلك من هؤلاء « الأنوف » الجديرة بهذا الاسم . ومعظم هؤلاء يعيش بين الأزهار وأوانى العطور فى مدينة جراس بجنوب فرنسا ، ويسعدهم أن يستنشقوا شذاها .

تقوم مدينة جراس على منحدر جبل على ارتفاع ١٢٠٠ قدم فوق سطح البحر الأبيض المتوسط ، وهى عاصمة صناعة العطور العالمية . وليس فى العالم كله بقعة مثلها يكثر فيها أعطر ما يعرف من أنواع الأزهار ، وهى تزرع جميعاً من أجل عطرها . وترى المتخصصين فى جراس لا يكفون عن جوب القارات ، يبحثون عن أزهار لها شذى غير معروف ، يستقطرونه حتى تتطيب به النساء .

والشمس هى أعظم مقطر للعطور ، فتطلق مع الرياح أريج الأزهار والمروج وعبير الغابات والحدائق ،

ولكن صانع العطور يعجز عن اقتناص ما تقطره الشمس وتطلقه فى الهواء ، فترى أهل جراس يبادرون إلى قطف الأزهار فى اللحظة التى يتمّ فيها اكتمال أرجها ، حتى يسبقوا الشمس إليه . وهذه اللحظة تختلف باختلاف ضروب الزهر : فزهر القرنفل مثلا ينبغى أن يقطف بعد تعرّضه للشمس ثلاث ساعات متوالية . أما الياسمين — وهو زهرة جراس — فحسبه أن تقع عليه أشعة الشمس يوم يتم أرجه ، حتى يفقد ٢٠ فى المئة أو أكثر من زيته العطرى الثمين فى نقله من الحديقة إلى المصنع .

ومن محاسن المصادفات أن موقع جراس هو الذى يعين مصانع العطور على سبق الشمس إلى جنى عطره فى إبانه . فالمدينة واقعة فى وادٍ طوله ٢٠ ميلا تحف به تلال على الجانبين ، فإذا انتصف الليل هب عليه من البحر هواء عليل حاملا سحابة مثقلة بماء البحر . وتحت هذه السحابة تغشى الأرض رطوبة طبيعية كمثل الرطوبة التى تكون فى البيوت التى تتخذ لتربية النبات والزهر ، فتعين براعم الياسمين على أن تتفتح أحسن ما تتفتح فى الساعة التى تسبق الفجر . فإذا ما تقشعت السحابة مع الشمس الطالعة ، رأيت ما قطف من زهر الياسمين أكواماً ملقاة على أرض المصانع العظيمة .

و « الأنوف » فى مدينة جراس هم كبار أهلها ، ولا يندر أن ترى العمال يتشاجرون . وهم يفاضلون بين « أنوف » المصانع التى يعملون فيها . وكل فتى من أبناء جراس يؤثر أن يصير «أنفاً» على أن يصير مهندساً لأكبر السكك الحديدية فى فرنسا .

بيد أن «الأنوف» جميعاً يصابون بمرض خاص بصناعتهم — مرض الكبد — ويذهب كل منهم إلى فيشى مرة أو مرتين فى السنة ليستشفى بشرب مائها . فهم فى عرف الطب كالذين أدمنوا الخمر ، مع أن معظمهم لا يذوق الخمر أبداً ، ولكنهم يشمون العطور والمركبات الذائبة فى الكحول ، فيدخل الكحول إلى أبدانهم من أنوفهم .

وصناعة «الأنف» وراثية على الأكثر ، تنحدر فى الأسر من الآباء إلى ذكورهم — دون البنات . ولا تجد فى جراس ذكر امرأة ما استطاعت أن تصير «أنفاً» حقاً ، لأن النساء لا يستطعن أن يميزن الروائح العطرية كما يستطيع « الأنف » الحق أن يفعل . وإذا أراد «الأنف» أن يستنبط عطراً جديداً مزج فى أنفه روائح مختلفة كما يمزج المصوّر أدهانه .

والحق أن لكل زهرة معروفة ضرباً من العطر ، وقد تختلف رائحة الزهر

فى الضرب الواحد باختلاف المكان الذى شمو فيه أو باختلاف لون الزهر . وفى وسع « الأنف » أن يشم زهرة فى الظلام ثم يقول لك ما لونها .

وشذا الأزهار مادة لا ريب فيها ، وفى وسعك أن تصوّرها وأن تزنها . وقد صوّرت منذ عهد قريب فى تجارب أجريت فى الولايات المتحدة ، فإذا هو ضرب من الإكتوبلازم لا تراه العين ، ثم يصعد من قطرات صغيرة من الزيت توجد فى الزهرة وأوراق النبات وجذوعه وجذوره وبذوره وثماره ولحائه وسُوقه .

وليس لصناعة العطور غنى عن زهر الورد والياسمين ، فكلُّ عطر جيّد يحتوى على قدر من إحدى الزهرتين أو من كلتيهما . وفى وسع « الأنف » أن يستعين بإحدى الرائحتين ، فيصنع رائحة أية زهرة يريد . بيد أن تقليد شذا الورد أو الياسمين بالتركيب الكيميائى أمر مستحيل .

وصنع المواد التى تتخذ قاعدة لعطر من العطور لا يقتصر على شذا الأزهار وحسب ، بل يشمل رائحة مواد كثيرة — الدريس والزنجبيل والكافور والفلفل والقرفة والراتنج والعرعر والفانيلا . وقد تستنشق نفحة من عطر السرو تفوح فى الليل ، فلا يخطر لك أن فيه أثراً من رائحة الطباق ، ولكن هذه الرائحة قوية فى بعض العطور فلا تخفى عليك . ويقول « الأنوف » إنهم استنبطوا هذه العطور للنساء المطلقات ، حتى يستطعن أن ينصبنها شراكاً لتصيُّد الأزواج بعد أن تقدمت بهن السن .

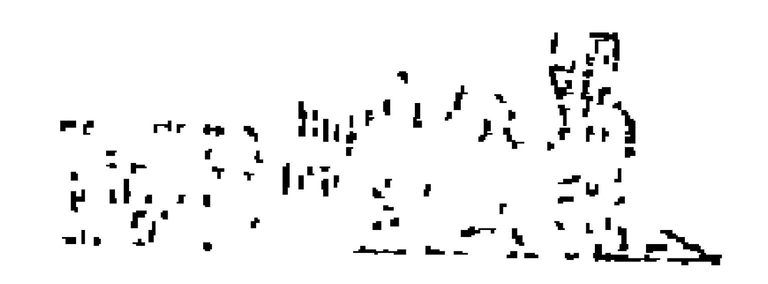
وفى أواسط أوربة ضرب من الشجر تستخرج من لحائه رائحة تدخل فى صنع طائفة من العطور تعرف بما يفوح منها من رائحة « الجلد الروسى » . وكذلك يؤخذ الطحلب النامى على شجر فى بلاد التيرول ، فيدخل فى صنع طائفة العطور المعروفة باسم « شيبر » . وقد يدهشك أن تعلم أن زيت الخروع أهم عنصر فى تركيب عطر ذائع الشهرة .

وهناك أساليب كثيرة لاستخراج الزيوت العطرة من الأزهار ، وأقدمها أسلوب « امتصاص الرائحة » ، فتوضع الأزهار على طبقة من دهن الضأن أو الخنزير ، فيمتص الدهن شذا الأزهار . فإذا تشبع الدهن بالشذا صار « مرهما » ، ثم يغسل بالكحول أو يستقطر فيستخرج منه الزيت العطر . وثمة أسلوب قديم آخر هو التقطير بإمرار البخار على الزهر ، فإذا تكثف البخار وصار ماء ، فصل الزيت العطر من الماء بطريقة معقدة من الأنابيب ، يعتمد فيها على أن الزيت يطفو على سطح الماء .

وأحدث الأساليب أسلوب استخراج الزيت العطر بالبترول ، فيؤخذ بخار الأثير المستخرج من ضرب خاص من البنزين ، ويمرُّ فى دنان مختومة وضعت فيها الأزهار، فيمتصُّ الغاز عطرها ، ثم يفصل العطر من الغاز بالتقطير .

ويقتل صناع العطور عدداً لا يحصى من الحيوانات طلباً للعنبر أو الزباد أو المسك — وهى ثلاثة طيوب تنفح فى العطر «حياة» ، ولا تجاريها فى ذلك أية مادة أخرى صناعية أو طبيعية . والعنبر يستخرج من ضرب من الحيتان، وليس يُعرف كنهه على التحقيق وهل يخرج من فم الحوت أو من مكان إفرازه . أما الزباد فأكبر مصادره بلاد الحبشة وهو يستخرج من إفراز تفرزه قطط الزباد الكبيرة. وهى تحبس ثم يأخذون إفرازها مرة كل أسبوعين . أما المسك فيؤخذ من أكياس جافة فى ذكر غزال المسك ، الذى يولع أهل التبت بصيده حتى صار يخشى عليه أن ينقرض .

ويتم تركيب العطور وفقاً لوصفات يحرص أصحابها على كتمانها . وأهل جراس يعرفون كيف ينتفعون بها ، حتى صار رجال هذه المدينة من أغنى رجال المدن الفرنسية .



على رخام القبور

هنا يرقد بيير ڤكتور فورنييه ، « مخترع المصباح الخالد » الذى لا يستهلك إلا قدر مليم من الزيت فى الساعة . كان ابناً باراً وأباً صالحاً وزوجاً كريماً . إن أرملته التى لا تتعزَّى عنه فقده تواصل عمله فى « رى ده ترِوا » والبضائع ترسل إلى جميع أحياء المدينة . خذوا حذركم من الدكان المقابل .
[من مقبرة فى باريس]

أقيم لذكرى جيمز راندوم ، الذى توفى فى ٦ أغسطس ١٨٠٠ . إن أرملته الحزينة على موته حزناً يتطلّب السلوان ، عمرها ٢٤ سنة . وهى متصفة بجميع الأخلاق التى تؤهلها أن تكون زوجة صالحة ، وتسكن فى ٤ شارع شرش من هذه القرية . [من مقبرة فى ولاية ماساشوستس بأمريكا]

قصة مدارس برلتز و « طريقتها » التي نشأت عن ضرورة طارئة فصارت اليوم معهداً عالمياً عظيما .

هنا يتحدثون بجميع اللغات

روبرت سلمر

مختصرة من مجلة "لايف"



وقعت في يد الشيخ البدين « جاك سترومبين داري » مقالات عن كلب يستطيع أن يقول كلمة : « أريدها » بصوت واضح مرتفع ، ولم يكد يقرأها حتى ابتسم . وقد كان هذا الشيخ مدير مدارس برلتز لتعليم اللغات ، وكان سبب ابتسامه أن الكلب قد تعلم الكلام بطريقة هي في حقيقتها طريقة مدارس برلتز نفسها .

ويكاد يكون اسم برلتز مرادفاً لتعلم اللغات الأجنبية . وأنت ترى في كل سنة ٢٥ ألف طالب وطالبة في الولايات المتحدة، يؤمّون ١٨ مدرسة من مدارس برلتز ، ويؤدون إلى خزينتها نحو أربعة ملايين ريال عن تعليمهم . ويسرّهم أن يدفعوا أجراً يتفاوت من نحو ٥٠ قرشاً إلى ١٥٠ قرشاً عن كل ساعة، لأنه سمعوا شيئاً كثيراً عن أثمن شيء في مدارس برلتز — طريقتها في التعليم .

وأساس هذه الطريقة غاية في البساطة : إن الطريقة الوحيدة المعقولة لتعليم لغة أجنبية ، هي في رأي برلتز ، أن تتعلمها كما يتعلم الطفل لغة أمه وأبيه ، أي بالاستماع إليها وتكرار ألفاظها دون الاعتماد على أية لغة أخرى للتفاهم بين الطالب والمدرّس . والسرّ في هذه الطريقة إنما هو في تطبيق أساليب الأطفال على الكبار من الناس ، الذين ثبتت فيهم عادات الكلام التي ألفوها ، والذين لا تسمح لهم مطالب حياتهم أن ينفقوا كل ساعات يقظتهم على تعلم اللغة الجديدة كما يفعل الطفل الصغير . فكل طالب يتوقع أن يتعلم لغة أجنبية بمثل السهولة التي وجدها حين بدأ يثرثر بلغة أمه وأبيه ، عرضة لخيبة الأمل .

في اليوم الأول يدخل الطالب ومعه مدرّسه حجرة فيها مائدة وبضعة مقاعد وساعة وصندوق فيه ورق كثير وأقلام حبر

وأقلام رصاص ومساطر من ألوان مختلفة . ويشير المدرّس إلى قطعة من الورق ويقول « كامى » إذا كان الطالب قد طلب أن يتعلم اليابانية ، ثم ينظر إلى الطالب نظرة السائل الفاحص ، ولا تنقضى ساعة الدرس الأول حتى يكون فى وسع هذا الطالب أن يشير إلى قلم أخضر وهو يقول باليابانية: «ميدورى — إيروإنيبيتسو ديسو » .

ولا تكاد تنقضى ثلاثة دروس أو أربعة دروس على هذا المنوال حتى يكون الطالب قد تعلم بضعة أفعال ، وصار قادراً أن يؤلف عبارات كهذه العبارة : « وضعت القلم الأحمر على الكتاب الأخضر » . ثم تبدأ متاعبه ، فالأفعال التى من قبيل الفعلين « مشى » و « ذهب » تبدو متشابهة حين يحاول المعلم أن يمثل له معنى الفعلين. وترتيب الألفاظ على نمطٍ خاصٍ فى الجملة اليابانية يرهق الطالب فى تبين الفرق بين: «المسطرة على المائدة » و « المائدة تحت المسطرة » . وقد يستغرق منه فهم الفرق نصف ساعة .

ولو أذن للمعلم أن يفسر للطالب بلغته مسألة دقت على فهمه ، لكان ذلك حسبهما لتوضيح المسألة فى بضع ثوان ، ولكنّ طريقة برلتز تنهى عن ذلك نهياً قاطعاً . وقد ترى على جدران بعض حجرات التعليم أجهزة تضخيم الصوت ، فيستعين بها المراقبون فى الحين بعد الحين على الاستيثاق من أن الطريقة متبعة بحذافيرها . وهذا يمنع المعلم من التحول إلى تفسير ما يريده الطالب باللغة التى يفهمها ، مهما تكن حالة الطالب أو حاجته . وبعد عشرين درساً على هذا المنوال ينتقل الطالب إلى اللغة المكتوبة معتمداً على كتب الدراسة التى وضعها برلتز لذلك خاصة .

والمدرسون الذين يعهد إليهم بتطبيق طريقة برلتز ، ينبغى أن يكونوا من أبناء الأمة التى يتولون تدريس لغتها . ومن مشاهير الناس الذين تولوا التدريس فى مدارس برلتز : ليون تروتسكى الزعيم الشيوعى، وجيمس جويس الأديب القصصى الإرلندى .

ويرى الشيخ « سترومبين دارى » أن الطالب الذى يريد أن يجيد التكلم بلغة أجنبية ، ينبغى له أن يخصص لدراستها ما بين ٣٠٠ ساعة إلى ٤٠٠ ساعة، ولكن الطالب الوسط ينفق ٧٥ ساعة إلى ١٠٠ ساعة ، وفى وسعه أن يلم إلماماً صحيحاً بلغة من اللغات فى بحر هذه المدة .

وقد أنشأ هذه المدارس رجل يدعى مكسيمليان د . برلتز هاجر إلى الولايات المتحدة من ألمانيا فى سنة ١٨٧٢ ، وجعل يدرّس اللغتين الفرنسية والألمانية فى المعهد

المدينى فى ولاية رودأيلند ، ثم فتح مدرسة خاصة به فى سنة ١٨٧٨ . ثم احتاج إلى من يساعده ، فاستعان بعالم فرنسى اسمه نيقولا جولى ، هاجر إلى الولايات المتحـدة عسى أن يجمع فيها ثروة ، ولكنه كان يوم اتفق مع برلتز عامل المصعد فى أحـد فنادق نيويورك. وكانت ذخيرة جولى من الكلمات الإنجليزية لاتتجاوز معرفة الأرقام من واحد إلى ثمانية ، ولفظى « فوق » و « تحت » ، وهى كل ما يحتاج إليـه فى تسيير المصعد . وظل برلتز يبحث عن وسيلة تمكنه من الانتفاع بهذا الرجل ، حتى فتقت له حيلته أن يقول له أن يدل على الأشياء وهو يسميها ، وأن يبين الأفعال على خير وجه يستطيعه بحركة يأتيها .

وساءت صحة برلتز يومئذ ، فقضى الأسابيع الستة التاليـة وهو طريح الفراش تعذبه أشباح الطلبة الذين برموا بمدرسته فى غيبته ، ويقلقه الخوف على مصيرها ومصيره . فلما أبل وصار قادراً أن يتحامل على نفسه ، ذهب إلى المدرسة ، فوجد الطلبة قد أصابوا من التقـدم فى أثناء غيابه قسطاً أعظم كثيراً مما أصابوه حين كان هو يتولى تدريسهم . ويؤمئذ صارت الطريقة التى اتبعتها المدرسة لضرورة طارئة ، هى « الطريقـة » التى اشتهرت بها مدارس برلتز .

وقد فتح برلتز مدارس فى بوسطن ونيويورك ، فحفزه نجاحها إلى تجربة حظه فى أوربة . فما وافت سنة ١٩١٤ حتى صار عدد مدارس برلتز ٣٣٩ مدرسة موزّعة فى جميع أرجاء العالم. وأنشئت ٣٠٠ مدرسة أخرى بعد الحرب العالميـة الأولى . وباع برلتز قبيل وفاته جميع مدارسـه فى غير أمريكا الشماليـة والوسطى ، إلى نقابة من مديرى المدارس الأوربيـة .

وأنت تجد اليوم أن الإقبال على دراسة اللغة الإسبانية فى مدارس برلتز بالولايات المتحدة ، يفوق الإقبال على دراسة أية لغة أخرى . وقد زاد عدد الذين يدرسونها حتى صار عشرة أضعاف عددهم فى سنة ١٩٣٩ ، وزاد عدد الذين يدرسـون اللغة الروسية ثلاثة أضعاف . وقد كانت اللغة الفرنسية فى الطليعة منذ سنين ، فصارت اليوم إلى المرتبة الثانية ، وتجىء الألمانية والروسية والإنجليزية فى المرتبة الثالثة ، وتليها الإيطالية فالبرتغالية فالبولندية فالهولندية فالصينية فالتشكية فالعربية فالسويدية فاليونانية فاليوغسلافية فاليابانية فالهندستانية فالملاوية فالأيسلندية . أما كتب برلتز الدراسية فقد طبعت فى ست وعشرين لغـة . ولم تتلقّ مدارس برلتز فى نيويورك سـوى ثلاثة طلبات أعجزها أن تلبيها ، وقد كانت من أناس طلبوا

أن يتعلموا لغة الهوتنتوت ، ولغة سيام ، ولغة برما . وقد جاءها رجل يتأهب للعمل فى الشرق الأوسط وأقام يتعلم اللغة العربية فى منهج يستغرق ٤٠٠ ساعة ، فهاله يوم وصل إلى الشرق الأوسط أن يعلم أن اللغة التى كان عليه أن يتعلمها كانت اللغة الإيرانية لا العربية .

وتتولى مدارس برلتز أعمال الترجمة التى يعدُّها مديرها سترومبين دارى مجلبة للمتاعب ، ولكنه يحتفظ بها على أنها فرع لا بدَّ منه يعود على المدارس بالشهرة وعلو المنزلة . فتتقدم إليها الشركات التجارية لتتولى عنها ترجمة الرسائل من اللغة الإنجليزية أو إليها ، ويتوالى عليها طلب لا ينقطع لترجمة بطاقات الأعياد فى عشرين لغة أو ثلاثين لغة . وكثيراً ماتذهب النساء إليها ليترجم المترجمون لهنَّ كتابات عربية أو صينية أو يابانية منقوشة على الأساور أو الأطباق أو منسوجة على الثياب .

ولمدارس برلتز قسم لنشر الكتب يتولاه ڤيكتور حفيد برلتز الأول ، وهو يصدر كلَّ سنة ألوفاً من الكتب الدراسية ، وقد بلغ عدد ما بيع من هذه الكتب ٢٦٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة منذ تأسست المدارس .

ولبرلتز الأول حفيد آخر اسمه تشارلز يعنى الآن بتجديد كتب الدراسة . وهو رجل يجيد اللغات إجادة مدهشة ، وقد أراد أهله أن يجربوا عليه وهو طفل بعض وجوه التعديل فى « الطريقة » المتبعة فى المدارس ، فغطيت جدران الحجرة التى يلعب فيها برسوم وخرائط عن مدارس برلتز ، فلما صار قادراً على الكلام كانت أمه تحدثه بالفرنسية دون غيرها ، ويحدثه جدُّه بالألمانية دون غيرها ، وابن عمه بالإسبانية ، ومربيته بالإنجليزية . فلما صار فى الثالثة من عمره ، كان يجيد اللغات الأربع ، ويظنُّ أيضاً أن كل واحد من هؤلاء يتكلم لغة تختلف عن لغة الآخر .

ويحرص سترومبين دارى على أن يبين لك أن الأجر الذى تتقاضاه مدارس برلتز يتيح لها أن تربح ربحاً قليلا . ثم يقول : « يبدو أن نصيبنا من الربح كمثل نصيب الشركات التى تصنع الخردل . فأكثر ربحها من المقادير اليسيرة التى يخلفها الناس على صحافهم . وكذلك نحن ، فكثيرون من الطلاب يسجلون أسماءهم ويدفعون الأجر مقدماً ثم لا يتممون دراستهم ، فتزيد أرباحنا على ما نقدر » .

ألكسندر ولكوت

مختصرة من كتابه "رومة تحترق"

كنا جالسين تحت القبة المتلألئة بالنجوم في منتصف الصيف في مونت كارلو، نأكل عشاء طيباً ونتحدث في موضوع الانتحار، وإذا بأحد رواة الأخبار يمرّ بنا ويقف وهو ينفجر رغبة في إطلاعنا على ما حدث: شاب أمريكي، له خصلة بيضاء من الشعر فوق جبينه، قد وجد صريعاً ملقى على الشاطىء، وقد اخترقت قلبه رصاصة. وكنا قد رأيناه قبل ذلك قد خسر كل ماتملك يداه حين دارت عجلة «الروليت» واستقرت على لون غير اللون الذى قامر عليه. وها هو ذا الآن ملقى على شاطىء البحر جثة لا حراك بها.

كنا قد وصلنا إلى كازينو مونت كارلو قبل ذلك بساعات، ودخلنا «الحجرات الخاصة» بالقمار، فلم نجد حول مائدة الروليت مكاناً لواقف إلا على حواشى الحشد المزدحم من حولها. وهناك لقيت سام فلتشر الصحفى أول ما لقيته. فدلنى على كبار القوم ووجهائهم، فهذه المغنية المشهورة مارى جاردن، المكبة على المقامرة، تخسر وتكسب دون أن ترى على وجهها أثر اهتياجها فى خسارة أو مكسب. وهذه الأميرة الإنجليزية العجوز، تنظر إليها فيخيل إليك أن شريطاً لصاقاً قد أمسك بعضها إلى بعض. وكان إلى جنبها رجل شيخ شاحب، وكانت يداه وهو يداعب رقع اللاعب أمامه، يغطيهما قفاز من حرير رمادى مطرز بالذهب. وقد قيل إنه كان فى شبابه لا يصلح لشىء، فلما كانت أمه على فراش الموت انتزعت منه عهداً بأن لا يلمس بيديه ورقة لعب، أو رقعة قمار ما عاش.

أما صاحبنا الشاب ذو الخصلة البيضاء، فلا يستوقف نظرك منه شىء غير مألوف، سوى أنه الوحيد بين القوم الذى كان فى ملابس السهرة. ثم قامر مقامرته الأخيرة، فاستوقف الأنظار. وقد روى لنا فيما بعد أنه قد خسر فى أوائل السهرة مالا كثيراً، ولكنه كان ساعة وصلت، قد عمد إلى الحذر والحرص فى مقامرته. ثم خيل إلى الناس كأن الضجر قد ألح عليه، فرأيناه يأخذ كل ما أمامه من رقع اللعب، ويجعلها كومة واحدة على اللون الأحمر، ولم يكفه

ذلك، فقد أخذ حافظة نقوده من جيبه وأفرغ ما فيها ، فانهالت منها أوراق النقد ذوات الألف فرنك ، وورقة واحدة من ذوات المئة فرنك ، ولكنه استرد هذه الورقة في الدقيقة الأخيرة . ودارت عجلة الروليت ، فحبست الأنفاس ، وصاح القائم عليها : « لا شيء يدخل في الحساب بعد الآن » ثم استقرت العجلة ، فإذا اللون الفائز هو اللون الأسود ، فخسر كل لاعب قامر بماله على اللون الأحمر ، وندت من القوم حول المائدة همسات بكل لغة : « أسود، أسود».

فضحك صاحبنا الشاب ضحكة خفيفة ، وظل هنيهة ثابتاً في مكانه ، ينظر إلى ماله يجمع عن المائدة ، وكانت العيون جميعاً شاخصة إليه ، وإذا به يزحزح كرسيه قليلا عن المائدة ، وأخذ ورقة النقد ذات المئة فرنك من حافظة نقوده ، ودفعها بأصابعه البيض المطرفة إلى مكان في وسط المائدة الخضراء وقال : « هبة للموظفين » ، وقد قالها بلهجة تنم على العظمة أسكتت ثرثرة الرجال الذين يديرون عجلة الروليت ويجمعون مال الخاسرين . ثم قال : « لقد قضى الأمر» ، ووقف وتثاءب قليلا ثم خرج متمهلا من الحجرة .

وها هو ذا الآن على ما رواهُ لنا راوية الأخبار جثة لا حراك بها على حافة الماء .

وكان الذى نقل الخبر إلينا صاحبنا الصحفى فلتشر ، وكنا كما قلت نتعشى ونتحدث فى موضوع الانتحار . وما كان حديثنا مصادفة ، فالناس دائماً يرددون حوادث الانتحار حين يكونون فى مونت كارلو . وقد روى لنا فلتشر أن صوت الرصاصة استرعى انتباه أحد الحراس فهرع إليه ، فألفى الشاب منطرحاً على ظهره ، وعيناه شاخصتان إلى النجوم ، وكانت ذراعه ممتدة على الرمل ويده المسترخية قابضة على المسدس ، وكان على قميصه الأبيض المثنى بقعة من دم . وقال فلتشر إنه لن يستطيع أن يرسل النبأ بالبرق إلى باريس قبل أن تتم بعض الإجراءات الرسمية . وقد بين لنا وهو يهمس كأنه شريك فى مؤامرة ، أن حوادث الانتحار تعددت فى الأيام الأخيرة . فعمد رجال الحكومة إلى إجراء جديد ، فإذا ما وُجد أحد رواد الكازينو منتحراً ، وكانت جيوبه فارغة من المال ، هرول رجال الكازينو إليه ووضعوا فى جيوبه مبلغاً غير يسير من المال ، قبل أن يبلغوا الشرطة خبر انتحاره ، حتى يخيل إليهم وإلى الناس أنه قضى على حياته سآمة وضجراً من الحياة . قال فلتشر : « وهم يتوسلون بهذه الحيلة الآن ، أما أنا فعلىّ أن أنصرف لأبحث عن سيرة الرجل المنتحر » .

وكنا لا نزال نرشف القهوة ، فإذا المتشر يعود مهرولا إلينا ، وعلى طرف لسانه خبر ما انتهت إليه القصة . قال : إن رجال الشرطة ذهبوا إلى الشاطىء ساعة جاءهم خبر الحادثة ، وجعلوا يبحثون عن جثة القتيل ، فلم يجدوا جثة ، لا فى المكان الذى دلوهم عليه ، ولا فى أى مكانٍ آخر على الشاطىء ، فظلوا يواصلون بحثهم ، وبقى وكيل الكازينو الذى دسّ عشرة آلاف فرنك فى جيب المنتحر ، مترقباً حائراً فى أمره من جراء اختفاء الجثة ، وأخيراً عاد إلى الحجر الخاصة بالمقامرة فى الكازينو ، فألفى فيها دوراً جديداً من المقامرة ونشاطاً غريباً .

ويلوح أن الشاب الأمريكى ذا الحصلة البيضاء ، والذى رُوِى أنه انتحر ، قد عاد إلى حجرة المقامرة ، عامر النفس بالمرح ، عامر الجيب بالمال ، وقد جعل يقامر بمبالغ كبيرة ، وسرعان ما كسب مئة ألف فرنك فجمعها ومضى على وجهه . وقد ظن رجال المائدة الخضراء أنه إنما غاب ليتعشى ، وأن البقعة المحمرة على قميصه ليست سوى قليل من عصير الطماطم وقع خطأ عليه من يد أحد الندل فى أثناء العشاء .

علاج ناجع

درجت بعض المتاجر على أن ترسل بالبريد إلى طائفة من الناس أشياء لم يطلبوها ولا يريدونها ، ثم ترسل إليهم قوائم الحساب ، فاشتدّ برم الناس بهذا النهج المستهجن . ومنذ عهد قريب تلقى طبيب طرداً ومعه هذه الرسالة : « يسرُّنا أن نرسل إليكم ثلاث كرافتات ممتازة ، ولما كانت هذه الكرافتات قد ظفرت باستحسان ألوف من أصحاب الذوق الرفيع ، فنحن على ثقة بأنها ستظفر باستحسانكم أيضاً . نرجو أن ترسلوا إلينا ريالين » .

فاستشاط الطبيب غضباً ، وردّ عليهم بالرسالة التالية : « يسرُّنى أن أرسل إليكم حبوباً ممتازة قيمتها ريالان ، فقد ثبت نفع هذه الحبوب فى حالات ألوف من الناس ، ولست أشكُّ فى أنكم تقدرون اهتمامى بإرسالها . وأرجوكم أن تقبلوها سداداً لثمن الكرافتات التى تفضلتم بإرسالها إلىّ منذ أيام » .

لو رُدّ إلىّ البصر ثلاثة أيام

هيلين كيلر

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"



كثيراً ما يخطر لي أنه يكون من النعم أن يصاب كل إنسان بالعمى والصمم بضعة أيام قليلة في صدر شبابه ، فإن الظلمة خليقة أن تجعله أكثر تقديراً للبصر ، والسكون خليق أن يعرفه بمباهج الصوت .

وقد امتحنت أصدقائي المبصرين ، من حين إلى حين ، لأتبين ماذا يرون . وسألت منذ عهد قريب صديقة عما رأت في الغابات التي تمشت فيها طويلا ، فكان جوابها : « لا شيء يستحق الذكر » .

فسألت نفسي : كيف يمكن أن يسير المرء ساعة في الغابة ولا يرى شيئاً يستحق الذكر ؟ فأنا المكفوفة البصر أجد مئات من الأشياء تثير اهتمامي بمجرد اللمس. فأنا أشعر بالتناسق الدقيق في شطري ورقة الشجر ، وأمرّ بيدي في حنوّ على غصن غض أملس ، أو على لحاء خشن جاف . وفي الربيع ألمس أغصان الأشجار وأتحسسها لعلي أقع على أكمام الزهر ، وهي أول علامة على يقظة الطبيعة بعد رقادها في الشتاء . وأحياناً ، وإذا واتاني الحظ ، أضع يدي بلطف على شجيرة فأحس بالرجفة اللذيذة التي تأخذ الطائر المغرّد وهو في نشوة تغريده .

وتمر بي أوقات يتلهف فيها قلبي على رؤية هذه الأشياء كلها . فإذا كنت أستفيد كل هذا الابتهاج من اللمس بمجرده ، فما أعظم ما لا بد أن تكشف عنه الرؤية من وجوه الجمال ! ولقد تخيلت ما أحب أن أرى لو أنني أعطيت مزية البصر ولو ثلاثة أيام مثلا .

إذن لقسمت هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام.

فني اليوم الأول أود أن أرى أولئك الذين جعلوا حياتي جديرة بان أعيشها،بما حبوني به من الرقة وحسن العشرة . ولست أدرى كيف يطلع الإنسان على قلب صديق من خلال « نافذة الروح » التي هي العين . فما أستطيع أن «أرى» بأناملي إلا الصورة العامة للوجه ، وأستطيع أن أتبين الضحك والحزن وغير ذلك من العواطف الجلية ، وأعرف أصدقائي بمس وجوههم .

ولا شك أنه أسهل عليك وأبعث على ارتياحك يامن تبصر ، أن تدرك بسرعة الصفات الجوهرية لشخص آخر حين ترى دقائق تعبير الوجه ، أو اختلاج عضلة ، أو اضطراب كف . ولكن هل يخطر لك أن تستخدم عينك في الاطلاع على باطن صديق ؟ أليس معظمكم معشر البصراء يكتفي بالإلمام بالظاهر من معارف الوجه ويقنع بذلك ؟

وهل تستطيع مثلا أن تصف بدقة وجوه خمسة من الأصدقاء الحميمين ؟ لقد أردت أن أقوم بتجربة ، فسألت مئات عن عيون زوجاتهن ما لونها ؟ وكان الأغلب أن يعربوا عن الحيرة والارتباك ويعترفوا بأنهم لايدرون .

آه على الأشياء التي سوف أراها لو أوتيت البصر ثلاثة أيام ليس إلا !

وأخلق باليوم الأول أن يكون حافلا ، إذ أدعو إليّ أصدقائي الأعزاء ، وأطيل النظر في وجوههم ، وأطبع على لوح الذهن البينات الظاهرة للجمال الباطن ، وأديم النظر إلى وجه طفل لأستجلي الجمال البريء المتطلع الذي يسبق إدراك الفرد للصراع الذي تثيره الحياة . وأنظر إلى الكتب التي قرئت لي،والتي كشفت لي عن أعظم جداول الحياة الإنسانية ، وأحدّق في عيون كلابي المخلصة المطمئنة .

وفي العصر أمشي طويلا في الغابات لتنتشي عيناي بجمال الطبيعة وعالمها ، وأدعو الله أن يمتعني بجلال الغروب وفتنة ألوانه . وأظن أني في تلك الليلة لن أستطيع الغمض .

وفي اليوم التالي أنهض مع الفجر لأرى الآية الرائعة التي تولج الليل في النهار، وتملأ قلبي الرهبة وأنا أشهد منظر النور البديع الذي توقظ به الشمس الأرضَ النائمة .

وهذا اليوم أقصره على لمحة سريعة للعالم ، ماضيه وحاضره ، وأوثر أن أرى موكب تقدم الإنسان . فأوثر أن أذهب إلى المتاحف، فترى عيناي مختزل تاريخ الأرض — الحيوانات ، وأجناس الإنسان مصورة في بيئاتها ، وهياكل ضخمة للحيوانات المنقرضة التي كانت تجوب الأرض قبل أن

لتظهر الإنسان بجرمه الصغير وعقله الكبير ليستولى على مملكة الحيوان .

وأنتقل بعد ذلك إلى متحف الفن ، وإنى لأعرف بيدىّ تماثيل الأرباب والربات المنحوتة ، والتى كانت تعبد فى أرض النيل القديمة . ولقد تحسست نسخاً من الصور القديمة المحفورة على هياكل اليونان وشعرت بالجمال المتناسق فى صور فرسان أثينا إذ يقاتلون ويكرّون . وإن معارف وجه هومر المخدّدة بلحيته الكثّة ، لعزيزة على ، فإنه هو أيضاً قد امتحن بالعمى.

وهكذا ، فى هذا اليوم الثانى ، أحاول أن أسبر غور الروح الإنسانى عن طريق الفن . والذى كنت أعرفه باللمس ، أراه الآن . وخير من ذلك وأبدع ، أن عالم التصوير الرائع تتفتح لى أبوابه. ولن أستطيع أن أستفيد إلا فكرة عابرة ، فإن رجال الفن يقولون لى إنه لا بدّ من تربية العين وتدريبها ليتسنى التقدير الصحيح العميق للفن . ولا غنى للمرء عن التجربة ليتعلم كيف يقدر مزايا الخطوط ، والتأليف ، والشكل والألوان . فلو أنه كانت لى عينان لأسعدنى جداً أن أعكف على هذا الدرس.

وأقضى مساء اليوم الثانى فى مسرح أو دار للسنما . ولشد ما أتمنى أن أرى شخص هملت الفاتن ، وفولستاف ونزواته ، وثياب عصر إليزابيث وزينتها ! ولست أستطيع أن أستمتع بجمال الحركة وما فيها من موسيقية ، إلا فى دائرة محدودة بحدود اللمس . وليس فى وسعى أن أتخيل، إلا على وجه غامض، رشاقة راقصة مثل باڤلوڤا، وإن كنت أعرف شيئاً من متعة الإيقاع ، لأنى كثيراً ما أشعر بترقيم الحركات الموسيقية إذ تختلج بها الأرض. وفى وسعى أن أتصور أن الحركة الموقعة لا بد أن تكون من أمتع المناظر فى الدنيا. وقد استطعت أن أستخلص شيئاً من هذا بأن أتحسس بأصابعى خطوط المرمر المنحوت . فإذا كان للرشاقة الجامدة كل هذا الجمال ، فما ظنك بها وهى تنساب وتتحرك ، وما ظنّك بمبلغ هزها للنفس !

وفى الصباح التالى أحيِّى الفجر مرة أخرى لأطلع على مباهج جديدة ، وصور جديدة للجمال . وفى هذا اليوم الثالث أقضى الوقت فى دنيا العمل اليومى بين الناس الذين يذهبون إلى ما يزاولون فى الحياة من أعمال. فالمدينة هى غايتى فى هذا اليوم .

فأقف أولا عند ركن تكثر عنده الحركة وأكتفى بالنظر إلى الناس ، محاولة وأنا أراهم أن أفهم شيئاً من حياتهم اليومية ، فأرى الابتسام فأغتبط ، وأرى العزم الصارم فأزدهى ، وأرى الألم فأعطف .

وأمشى فى الشارع الكبير ، ولا أطيل

النظر إلى شىء ، فلست أرى شيئاً بعينه ، وإنما أرى مناظر متعاقبة من الألوان. وإنى لواثقة أن ألوان ثياب النساء فى حشد مّا ، لا بد أن تكون مشهداً رائعاً لا تمل عينى النظر إليه ، ولكن لعلى لو كنت مبصرة لكنت ــ كمعظم النساء غيرى ــ معنية بطراز التفصيل إلى حد يحول دون الالتفات إلى جمال الألوان فى الجملة .

ومن هذا الشارع أقوم بجولة فى المدينة إلى الأحياء الفقيرة ، والمصانع ، والحدائق حيث يرتع الأطفال . وأقوم برحلة متخيلة إلى الخارج، وذلك بأن أزور الأحياء الأجنبية، وتكون عيناى دائماً مفتوحتين كل الفتح على مناظر السعادة والبؤس ، لأتعمّق سبر النفــوس ، وأزيد فهمى للنــاس وكيف يعملون ويحيون .

ويوشك اليوم الثالث الذى أبصر فيه أن ينتهى، وعسى أن تكون هناك أمور خطيرة كثيرة ينبغى أن أتفرغ لهــا فى الساعات القليلة الباقية، ولكنى أظن أنى فى مساء ذلك اليوم الثالث، أوثر أن أذهب إلى مسرح تمثل عليه رواية هزلية مضحكة ، لأفهم الجانب الهزلى المسرف فى الروح الإنسانية .

وعند منتصف الليل يتغشّانى الليل الدائم مرة أخرى . وطبيعى أنى فى هــذه الأيام الثلاثة القصيرة لم أرَ كل ما كنت أودّ رؤيته. وما أستطيع إلا بعد أن يلفنى الظلام فى شملته، أن أدرك مبلغ ما فاتنى أن أراه .

ولعل هــذا البيان الوجيز لا يطابق البرنامج الذى قد تضعه لنفسك إذا عرفت أنك ستصاب بالعمى . على أنى على يقين من أنك إذا واجهت هذا المصير ، ستستخدم عينيك وتنتفع بهما انتفاعاً لم تفعل مثله قط ، فإن كل ما أخذته عينك يصبح عزيزاً عليك، وتروح عيناك تلمسان وتضمان كل ما يقع فى نطاق بصرك . وحينئذ تبصر حقاً بالمعنى الصحيح ، وتتفتح أمامك أبواب عالم جديد من الجمال .

وأنا الكفيفة أستطيع أن أبذل نصيحة واحدة للمبصر: استخدم عينيك كأنك ستعمى غداً . ومثل هــذا يصدق فى حالة الحواس الأخرى: استمع إلى موسيقى الأصوات، وإلى صدحات الطير ، وإلى الأنغام القوية من الموسيقى، كأنك ستصاب بالصمم غداً، والمس كل شىء كأنك ستفقد حاسة اللمس غداً، وشم عبير الزهر ، وتذوق بالتذاذ كل لقمة كأنك غداً ستسلب الشم والذوق. وانتفع إلى أقصى مدى، بكل حاسة، وانعم بكل وجوه المتع والجمال التى يكشف عنها العالم عن طريق وسائل الاتصال التى هيأتها لك الطبيعة . على أنى لا أشك فى أن حاسة النظر لا بد أن تكون أبعث الحواس جميعاً على الابتهاج والاستمتاع .

قصة أشهر المنتجات التجارية فى العالم حافلة بذكر
ثروات طائلة جمعها الناس أو فاتهم أن يجمعوها

كوكا - كولا

قصة حافلة بآيات الشهرة والثروة

شراب كوكا — كولا أشهر المنتجات أصبح التجارية فى العالم وأذيعها ذكراً ، وهو أكبر عمراً من تسعة أعشار الأحياء على سطح الأرض ، وأقدم عهداً من السيارات وأجهزة الراديو والسينما وغيرها من الأشياء الكثيرة التى ألفها الناس فى حياتهم يوماً بعد يوم .

وقد صنع هذا الشراب أول ماصنع سنة ١٨٨٦ ، صنعه رجل اسمه جون س . بمبرتون ، كان قد قضى سنين كثيرة وهو يجاهد ليكسب رزقه من بيع الأدوية بالتجزئة أو الجملة ، وبتحضير أدوية تباع جاهزة بعد تسجيلها . . فلما كان فى الثالثة والخمسين من عمره أخرج شراباً يخفف السعال ، ودواء للدم ، وصبغة للشعر ، وحبوباً للكبد ، وشراباً « كان يباع زمن تحريم الخمر » سمّاه « جنجرين » .

وكان مصنع بمبرتون بناء رثاً ذا طابقين من لبنات الآجر ، فى مدينة أتلانتا بولاية جورجيا . وكان معمله لا يعدو مرجلا من الحديد قائماً على ثلاث قوائم فى فناء بيته ، وكان يوقد الخشب تحت هذا الإناء ، ويخلط فيه موادّ شتىّ بعضها ببعض ، ثم يذوق ما يخلط ، ثم يعيد الخلط كرة أخرى ويذوق ما صنع ، وكان فى ذلك كله يحاول أن يمتحن تركيباً قد ابتكرهُ لشراب جديد . ثم أخذ ذات يوم إناء فيه هذا الشراب إلى مقهى جاكوب ، ووضعه فى أكواب وأضاف إليه ماء الصودا وأداره على الناس ، فذاقوه وجعلوا يبدون رأيهم فيه ، ويقترحون على صاحبه ما ينبغى له أن يصنع . وأخيراً تمّ له الشراب الذى يريد ، ولكنه لم يجد اسماً يطلقه عليه . وكان المحاسب روبرتسن يعلم أن بعض مذاق الشراب يعود إلى ورق

الكاكاو وجوز الكولا ، فكتب بخط يده : « كوكا — كولا » .

وقد باع بمبرتون ملء ٢٥ جالوناً من هذا الشراب فى السنة الأولى ، وملء ألف جالون أو أكثر فى السنة الثانية . وكان يومئذ رجلا مريضاً شديد الحاجة إلى المال، فباع ثلثى حقه فى تركيب هذا الشراب بمبلغ ١٢٠٠ ريال . فلما كان على فراش الموت فى السنة التالية، باع الثلث الباقى بمبلغ ٥٥٠ ريالا . ولو كان احتفظ بعشر حقوقه الكاملة، لبلغ ما ناله ورثته حتى الآن ٣٢ مليون ريال ، ربحاً على أسهمهم .

أما الرجل الذى اشترى هذه المادة التى تضارع قصتها ما جاء فى الأساطير ، فقد كان رجلا صيدلياً فى السابعة والثلاثين من عمره اسمه آسا كاندلر ، ولكنه كان ذا عبقرية عجيبة فى الترويج لبضاعته . وقد استطاع كاندلر أن يرقى بهـــذا الشراب كوكا — كولا ، من شراب يستمتع به الناس فى مدينة صغيرة ، حتى جعله تجارة عظيمة . فقد نشر هذا الشراب فى طول الولايات المتحدة وعرضها بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩١٩ ثم باع حقوقه فيه بمبلغ ٢٥ مليون ريال ، دون أن يطوف بخياله أن يجىء يوم يبلغ فيه ربح الشركة الصافى فى سنة واحدة هـذا المبلغ الضخم . وكان الذين اشتروا كوكا — كولا ، جماعة من التجار على رأسهم إرنست ودَرْفْ ثم خلفه عليها ابنه بوب فى سنة ١٩٢٣

وقد كان الإعلان عن كوكا كولا هو السمط الذى انتظم حبات حياتها فى جميع أدوارها ، فقد أنفق بمبرتون ٤٦ ريالا على الإعلان فى السنة الأولى ، أى ٩٠ فى المئة من جملة دخله . وقد جعل معظم الإعلان لوحات رسمها على مشمع رقيق وشبكها على الظلل التى يرخيها أصحاب الصيدليات والمقاهى أمام متاجرهم لحجب الشمس . وعلقت إعلاناتها فى السنة التالية على المركبات العامة التى تجرها الخيل. وعبارة «لذيذومرطب» التى يكثر ورودها فى الإعلان عنها ، يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٨٩

وأنت ترى إعلانات « كوكا — كولا » اليوم تلتزم القصد والتحفظ فى القول ، بيد أن أصحاب الشراب أعلنوا عنه فى سنة ١٨٨٧ أنه « مقوٍّ للمخ » وأنه « شراب المفكرين » . فلم تكد تنقضى عشر سنوات حتى صاروا يعلنون عنه فيقولون إنه « يشفى من الصداع . ويجدّد المخ والبدن اللذين نهكتهما قلة النوم والعمل العقلى والبدنى المرهق ، ... » وكانت الإعلانات تزينها رسوم طلبة الجامعات ساهرين على الدراسة، أو سماسرة المال واقفين كالملهوفين أمام

الجهاز الذى يأتيهم بأخبار سوق المال .

وقد بدأ كاندلر يدهن الجدران بإعلان عن كوكا — كولا فى سنة ١٨٩٤ ، فلم تكد تنقضى بضع سنوات حتى شرع يقيم للإعلان لوحات تمثل كوباً يبلغ ارتفاعه ٣٠ قدما فيه شراب الكوكا — كولا ، وجعل ينصبها فى حدائق الألعاب والرياضة، وصار يوزع مراوح يابانية عليها علامة كوكا — كولا المسجلة . فلما كانت سنة ١٩١٣ بلغ ما وزعه هدية بغير مقابل مليون مروحة ، ومليونى صينية ، وملايين كثيرة من علب عيدان الثقاب ، وورق النشاف، والرقع المعدة لتسجيل نتائج الألعاب الرياضية، والفوط المصنوعة من الورق . أما أبرع حيلة عمد إليها كاندلر فى الإعلان عن شرابه، فكانت توزيع بطاقات تتيح لحاملها أن يشرب مجاناً كوب كوكا — كولا فى أى مقهى يشاء . وقد وزع ملايين من هذه البطاقات ، وكان رجاله يوزعونها على من يرضى أن يأخذها فى دكاكين الحلاقين وأروقة الفنادق ، وفى الشوارع أيضاً .

وقد انقضى عهد هذه الوسيلة ، ولكن شركة كوكا — كولا لا تزال تتلقى فى الحين بعد الحين بطاقة من هذه البطاقات وجدها صاحبها فى درج قديم ، فترسل الشركة لصاحب البطاقة صندوقاً يحوى اثنتى عشرة زجاجة من كوكا — كولا .

وكانت براعة كاندلر لا يضارعها مضارع فى عهده . فلما طلب براميل ليصدر الشراب فيها ، لم يجد سوى براميل فارغة كانت تستعمل فى بعض المتاجر ، فاشتراها ودهنها بدهان أحمر من لون خاص، فاشتهر بوصف « لون كوكا — كولا » . ولما كان ماله قليلا ولا يستطيع أن يدفع الأجور لعدد من الباعة المتجولين ، اتفق مع الرجال الذين يشتغلون بشراء القطن ، إذ ليس لهم عمل يؤدونهُ ستة أشهر كل سنة . فلما كانت سنة ١٨٩٦ أنفق ٨٠ الف ريال على الإعلان، أما اليوم فيبلغ ماينفق على الإعلان ١٩٢ مليون ريال ، يضاف إليها ما تنفقه الشركات التى تعبىءُ الشراب فى زجاجات .

وقد عُبِّىءَ شراب كوكا — كولا أول ما عُبِّىء فى سنة ١٨٩٤ وعرضت الزجاجات المعبأة على جماعات عمال الحطب وبعض المزارع المنعزلة . وفى سنة ١٨٩٩ ذهب رجلان إلى كاندلر وأخذا منه حقوقاً دائمة لتعبئة الشراب فى معظم الولايات المتحدة ، ودون أن يؤدوا قرشاً واحداً ، وقد ثبت فيما بعد أن قيمة هذه الحقوق تعدل مئات اللايين من الريالات ، بيد أن الرجل الذى دبر الاجتماع بين كاندلر وزائريه ، لم يبلغ منه الاهتمام مبلغاً كافياً ، فلم يحتفظ لنفسه

بأى نصيب فى هــذه الحقوق . فلما عاد الزائران إلى بلدتهما أخذا يقسمان الولايات المتحدة مناطق مناطق ، ويبيعان حقوق التعبئة فى كل منطقة منها على حدة . والذين اشتروا هــذه الحقوق غنموا مالا كثيراً ، وقد كان لأحد الناس حصة فى مصنع تعبئة فى إحدى الولايات ، فوهب سهماً واحداً من أسهمه لكلّ من ابنتى أخيه ، والربح الذى يدرّه كلّ سهم منهما اليوم يبلغ ٣ آلاف ريال فى السنة . وظفر أحد المحامين بسهم واحد لقاء أوراق قانونية أعدّها لصاحب مصنع التعبئة ، فاحتفظ به زمناً ثم باعه بمبلغ ٥٥ ألف ريال .

كان شراب كوكا — كولا فى سنة ١٩٠٠ يباع فى أكواب تملأ من براميل ذوات حنفيات ، ولا يباع منه معبّأً فى زجاجات سوى واحد فى المئة . فلما كانت سنة ١٩٢٨ كانت المقادير التى تباع معبّأة فى الزجاجات نصف ما يباع ، وكان النصف الآخر يؤخذ أكواباً تملأ من براميل فى المقاهى وما أشبهها . أما اليوم فصار المقدار الذى يباع معبّأً فى زجاجات ٨٠ فى المئة . وقد صنعت زجاجة كوكا — كولا فى سنة ١٩١٦ وجعل تصميمها بحيث تمثل ثوب المرأة الطويل ، ولعل هذه الزجاجة أشهر بضاعة تباع فى العالم كله .

وأنت تجد اليوم ١٠٥٠ مصنعاً لتعبئة كوكا — كولا فى الولايات المتحدة ، وشركة كوكا — كولا لا تملك سوى خمسين من هذه المصانع أو أقل . وهــذا النظام الفذّ يتيح فرصــة لأهل العمل والمال فى كل مكان يباع فيه هذا الشراب . وكذلك تجد شركة كوكا — كولا لا تملك حصــة ما فى عمل ١٨٠٠ من الناس يبيعون الشراب قبل حله فى الماء أو الصودا ، ولا فى مئة ألف مكان يباع فيه الشراب فى أكواب ، ولا فى عمل ١٫٣٠٠٫٠٠٠ بائع يبيعون الزجاجات المعبّأة للناس . وقد عرض على الشركة مقترحات مغرية ، بأن تدخل ميدان صنع الزجاجات والصناديق وغيرها من الأجهزة التى لا بدّ منها فى تجارة كوكا — كولا ، فأبت أن تفعل ذلك ، فمن القواعد الأصيلة فى خطتها أن تظلّ بمنأى عن التدخل فى شئون غيرها .

ومن قواعدها أيضاً أن تتيح ربحاً وافياً لكل من يمسّ كوكا — كولا ، وهو ربح يفوق نسبيًّا ربح الشركة فى صنع الشراب نفسه ، فلذلك كثر أصدقاؤها ، وهى لا تزال تسير على هذا النهج فى سائر بلاد العالم ، فقد أنشىء مئتا مصنع أو أكثر للتعبئة خارج الولايات المتحدة وكندا وكوبا وهى جميعاً ، ما عدا تسعة مصانع ، ملك

جماعات من أهل البلاد التى أنشئت فيها . وفى السنة الماضية أنفقت جماعة من أهل مصر مبلغ ٦٥٠ ألف ريال على إنشاء مصنع فى القاهرة ، ورحلت فئة منهم إلى الولايات المتحدة حيث لبسوا ثياب العمال ، وراحوا يعملون فى مصانع التعبئة حتى يحـذقوا أساليبها ، وعهد إلى مصنع آخر فى مصر أن يصنع صناديق لتـبريد الزجاجات المعبأة .

وقـد دخلت كوكا ـــ كولا اليوم فى العقد السابع من عمرها ، وأكبر الرأى أن الذين عرفوا صيغة تركيبها لم يزيدوا فى تاريخها الطويل على سبعة رجال . وهى مركبة بوجه من عناصر ومواد شتى أهمها مادة يصح أن يطلق عليها وصف « ٧ إكس » فما هى مادة « ٧ إكس » ؟ ذلك هو السؤال الذى تبلغ قيمته بحسب أسعار سوق الأوراق المالية ٦٤٠ مليون ريال .

ومادة « ٧ إكس » من أشد الأسرار كتماناً فى عالم الصناعة ؛ ولا يعرف سر تركيبها سوى عالمين كيميائيين ، الدكتور وليم هيث وبرت ولز ، ولن تجدهما معاً فى طائرة واحدة ، ولا هما يكتبان صيغة التركيب على ورق ، فإذا لقى الرجلان حتفهما على حين فجأة ، عجزت شركة كوكا ـــ كولا عن أن تصنع قطرة واحـدة من مادة « ٧ إكس » حتى تفتح خزانة من حديد فى مصرف ، فهناك توجد الصيغة مكتوبة بخط اليد .

والدكتور هيث يدخل مرة كل شهر حجرة موصدة فى مصنع كوكا ـــ كولا بمدينة بلتيمور ، ويصنع مادة « ٧ إكس » ولا يعرف أحد من مساعديه الروائح التى تدخل فى تركيب المادة ، فهى روائح مرقومة ، فترى الدكتور هيث يطلب من مساعديه أن يناولوه الموادَّ بأرقامها لا بأسمائها .

ولشراب كوكا ـ كولا منافسون قد يزيد عددهم على أربعة آلاف مثل كولا ـ نولا و « كال ـ كولا » وغيرها ، وقد توالى ابتكار الأسماء التى تشبه الاسم الأصلى بسرعة عظيمة ، فعجزت شركة كوكا ـــ كولا عن إقامة القضايا عليها جميعاً ، فاختار محاموها بعض الأسماء وأقاموا القضايا ، وتركوا الأسماء الباقية تموت قبل أن تشبَّ .

وقد ظل شراب كوكا ـــ كولا يزداد انتشاراً برغم المنافسة والقضايا والحروب والأزمات الاقتصادية . فلما تجاوز الخمسين من عمره كان نموه وانتشاره أسرع مما كان يوم كان فى العشرين والثلاثين . وكانت لوحات الإعلان تقول فى أواخر العقد الثالث من القرن العشرين : « ٩٫٠٠٠٫٠٠٠

زجاجة كل يوم » . أما اليوم فيزيد ما يباع على ٣٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ زجاجة .

وشراب كوكا — كولا مشرف اليوم على أن يصير شراباً عالمياً ، فقد ظل يباع فى مدينة نيويورك ربع قرن قبل أن يصير ما يباع منه مليون صندوق فى السنة . بيد أن مدينة المكسيك بلغت هذا الرقم بعد ١٢ سنة ، ومدينة بونس إيرس بعد ست سنوات ونصف سنة ، ومدينة منتفيديو بعد أربع سنوات ونصف سنة ، ومدينة القاهرة بعد عشرة أشهر. وقد دخل شراب كوكا — كولا إلى ألمانيا قبيل أن يقبض هتلر على زمام الحكم . فلما كانت سنة ١٩٣٩ كان ما يباع فى ألمانيا ١١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ زجاجة فى السنة . ومنذ عهد قريب نزل أحد الأسرى الألمان من سفينة فى ميناء أمريكى فرأى إعلاناً عن كوكا — كولا ، فالتفت إلى من حوله وقال : « وأنتم أيضاً عندكم كوكا — كولا ؟ »

وقد أرسلت خمسة آلاف مليون زجاجة كوكا — كولا إلى القوات الأمريكية فى أثناء الحرب. ولم تكد جيوش الحلفاء تنزل فى شمال إفريقية حتى أرسلت برقية إلى قيادة التموين : « أرسلوا حالا ثمانية مصانع كوكا — كولا (الإمضاء) أيزنهاور » وقبل أن تلقى القنبلة الذرية على اليابان بنحو شهرين استولت قيادة الأسطول على ١٩٫٩٨٠ صندوق « كوكا — كولا » وأمرت أن يدهن لفظ «طوكيو» على كل صندوق .

وقد أنشئت مصانع كثيرة لتعبئة الشراب خارج الولايات المتحدة فى أثناء الحرب ، فبلغ ثلاثة وستين مصنعاً ، ونظمت فرق خاصة متنقلة لتوزيع هذا الشراب على المقاتلين فى ساحات المحيط الهادىء .

ومن ذا الذى يستطيع أن يقدّر أثر الحرب فى شراب كوكا — كولا ؟ أو أثر الصندوق الذى أهداهُ الجنرال أيزنهاور إلى المارشال جوكوف بعد أن شرب القائد الروسى زجاجة منهُ فى بوتسدام ؟ أو أثر مصانع التعبئة التى أقيمت فى أوكيناوا وكوبى ويوكوهاما ؟ وقد عاد صحفىٌّ من المحيط الهادى منذ عهد قريب فروى قصة عن ثلاثة من ملوك القبائل فى جزائر مارشال ، جلسوا فى مجلس الحكم يتناقشون فى أموره وهم يشربون كوكا — كولا . وأنت ترى هذا الشراب يعبأ اليوم فى الصين ، وهم يعبرون عن لفظ الاسم برسوم صينية معناها : « تجعل الرجل سعيداً » . أما فى بومباى فقد أخذت جماعة من الهنود تنشىء مصنعاً للتعبئة . وروسيا السوفيتية هى الرقعة الجغرافية الكبيرة الوحيدة التى لم يدخلها شراب كوكا — كولا .

تنفس نفساً عميقاً

هيلين درهام

مختصرة من مجلة "كولييرز"

تنفس لكى تصح ، تنفس لكى يترقرق فى وجهك ماء الشباب، تنفس لكى يعتدل قوامك وكلامك وتزداد عافية . وعلى هذا أجمع الرياضيون والأطباء .

يقول الفقير الهندى الفيلسوف : « إذا حسُن تنفسك حسنت حياتك » . ويقول خبير الصوت : « إن النفس هو مادة الصوت » . أما مدرب الرياضة فوصيّته الأولى لك أن تملأ رئتيك بالهواء . ويقول المتخصص الأمين فى فن التجميل إن تنشيط دورة الدم بالتنفس الجيد يصنع فى رونق البشرة أكثر مما يصنع التدليك طول الحياة. ويقول لك المحلل النفسانى إن شيئاً يسيراً كضعف النفَس يستطيع أن يورثك مركب النقص . أما الطبيب فيقول إن التنفس أهم وسائل الحياة، وأن كل عمله هو أن يجعلك تتنفس منذ تولد إلى الساعة التى يمدّك فيها بالأكسجين حتى لا ينقطع التنفس فتنقطع أسباب الحياة . إن أكثرنا يستنشق من الأكسجين ما يكفى لصون الحياة لا لملئها بالنشاط ، فنحن أشبه ما نكون بسيارة تسير بنصف قواها ليس إلا . ولو ملأ المرء رئتيه بمقدار كبير من الهواء، لزاد نصيبه من الأكسجين فأحس فى نفسه خفّة . وتلك قاعدة مقررة ، فإذا لم تصدق فجرّب .

لقد تعودنا أن لا نستعمل فى التنفس إلا الجزء الأعلى من الرئتين ، بحيث أصبحنا نحسب أنهما تنتهيان عند خط الثديين ، ولكن هذا باطل ، فإنهما تمتدان تحت الأضلاع على الجانبين إلى الخصر . فإذا لم تنتفع دائماً بهذا الجزء الأدنى من الرئتين، وهو أهم الجزئين ، لم تجد لك مكاناً فى شركات التأمين ولا فى مباريات الجمال .

تقول فيدا ساتون مدربة مذيعى شركة الإذاعة الأهلية على فن الصوت : كلامك هو تنفسك ، فإذا لم تأخذ قسطاً عظيماً من الهواء، فقد صوتك التنوّع والجهارة والقوة. وصاحب النفس القصير قصير الصوت رفيعه، وفيه حدة تشبه الصرير ، وصاحب النفس المتراخى صوته رخو متخاذل .

والمذيع يدرك قيمة النفس العميق . فدونك أية محطة للإذاعة ، فارقب المذيع

وهو يتهيأ للكلام وعينه شاخصة إلى الساعة، تر ظهره يعلو ويهبط وهو يضبط أداة صوته.

ويقول الطبيب النفساني : فى وسعك أن تتحكم فى مزاجك بالتحكم فى تنفسك ، فإذا كنت مرهف الأعصاب حديد الطبع سريع الغضب، فتنفس بعمق تر العجب من آثار هذا النفس المسكن .

والتنفس العميق هو منقذ الممثل من رهبة المسرح . وتعلن ممثلة مسرح معروفة، هى هيلين هايز ، أنها لا تقوى على مواجهة المتفرجين فى الليلة الأولى لتمثيل رواياتها الجديدة ما لم تستجمع شجاعتها بعدة أنفاس عميقة .

تقول مسز هايز: «أنا مدينة لمارى جاردن بالذى أدركته عن التنفس وخطر شأنه ، فقد قدمونى لها باسم مسز هايز الصغيرة الممثلة الناشئة . فكان ردُّ مس جارن أن وكزتنى بإبهامها فوق حزامى وكزة قوية وقالت : ممثلة ! إنك عاجزة عن التمثيل يابنية. إن حجابك الحاجز أصغر من حجاب الرضيع .

«وظللت عدة سنوات لا أمثل إلا أدواراً صغيرة، لأن أنفاسى كانت مثل حسو الطائر الفزع . وما كان ليتهيأ لى أن أمثل دور « الغانية » قط ، لو لم أكتسب القوة والسكينة بعد أن تعلمت كيف أتنفس » .

ترى كثيراً من الناس يقف وقفة غير صالحة لأنهم يتنفسون تنفساً غير صالح ، فإن الصدر إذا تقاعس ، والظهر إذا احدودب ، فمردّ ذلك كله إلى التنفس ، إذ أن الرئتين الممتلئتين بالهواء تقيمان الجسم معتدلاً كما تقيم السفينة أثقالها .

والآن إذا كنت فى ريب من أمر نفسك وأنك تحسن التنفس أو لا تحسنه ، ففك حزامك واعل به إلى منتصف المسافة بين الخصر والثديين ، ثم ازفر وشد الحزام على صدرك شداً حتى يفرغ من الهواء ، ثم اشهق شهيقاً عميقا، وانظر كم يكون تمدد الحزام بأن تعد ثقوبه . وهذا هو الموضع الذى ينبغى أن يقاس من عنده تمدد الصدر بالتنفس ، لا من تحت إبطيك كما يظن مدربك الرياضى .

إن تمدد الصدر عند التنفس يجب أن لا يكون فى مقدمه وحسب ، بل فى الظهر والجانبين أيضاً . ولكى تعرف قدرة ظهرك على التمدد ، ابسط راحتيك على أسفله ، وإبهام كل منهما إلى الأمام ، والوسطى تحت أسفل الأضلاع ، ثم اضغط براحتيك وازفر بأقصى ما تستطيع ، ثم تنفس نفساً طويلا ، وانظر مبلغ انفراج راحتيك . إن أضلاعك قفص مطاط يحمى الرئتين ، فإذا تمددت الرئتان فإن قفص العظام يجبه

أن يتعدد فى كل اتجاه . ومن الطرق التى تتعلم بهـا كيف تتنفس ، أن تشهق شهيقاً عميقاً حتى تحس كأنك قد شحنت بالهواء مؤخر الأضلاع .

يقول الدكتور يوجين ليمان فيســك : « إن التنفس يجب أن يتم بلا وعى، ولـكن ينبغى أن تتيح له نصيباً من الرياضة كل يوم . فأولئك الذين يعيشون فى الحجرات طول أيامهم ، يستطيعون أن يستعيضوا عن بعض ما يلقون من شرور هذا الحبس بأن يخرجوا إلى الهواء الطلق فيستنشقوه بقوة بضع مرات،ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا» .

ولن تستطيع أن تتنفس كما ينبغى دون أن تستعين بحجابك الحاجز ، فإن هــذا الحجاب هو أسفل الصدر،وهو عضلة تشبه القبة ، تنخسف عند الشهيق فيتسع تجويف الصدر ، وتعـلو فى الزفير فتطرد الهواء . وبغير هذه العضلة المهمة لن تستطيع أن تحدث صوتاً أوأن تلهث أو تتنهد أو تسعل أو « تهمهم » أو تتنخم . وحجاب الرجل يصل إلى أدنى مما يصل إليه حجاب المرأة ، فيجعل صدره أوسع ، كما أن نشاط الرجل جعل هذه العضلة أقوى من أختها فى المرأة ولذلك كان النساء،إلا القليل منهن،أضعف تنفساً من الرجال ، وكنّ أسرع إلى إهمال الحجاب الحاجز أو ضعف استعماله .

لقد علمتنا الطبيعــة لحسن الحظ كيف نستعمل هــذا الحجاب ، فالرضيع يتنفس تنفساً صحيحاً ، وكذلك يفعل النائم . فإذا كبر الرضيع واستيقظ النائم تركا العوامل المثبطة تحدّ من حركات هذا الحجاب . وثمة طريقــة لتمرين حجابك الحاجز إذا أصابه فســاد : هى أن تستلقى على ظهرك وتنسى هموم الحياة ، وتدع هذه العضلة الـكبرى تعمل كما شاءت لها الطبيعة أن تعمل . فإذا أدمت ذلك وتعوّدته تنفست بالطريقة نفسها وأنت قائم على قدميك . إن جيرتزا ممثلة الأوبرا الناجحة ، والتى كان تمثيلها يصطبغ دائماً بشىء من البهلوانية، كانت لاتفتأ تغنى أغنية من أغانيها المحبوبة وهى مستلقية على ظهرها بين الحين والحين . وهى تقول إنها تعلمت كيف تجيد الغناء وهى على هذه الهيئة.

إن الهدف الوحيد للتنفس هو إدخال الأكسجين إلى الجسم ، وبغير الأكسجين سرعان ما نموت.وكل عمل مهم يقوم الجسم به يعتمد على الأكسجين،وكلما زاد ماتناله منه ازددت نضرة وقدرة وشباباً . وإذا شعرت بانحطاط فى قواك،أو بكلال فى عقلك،أو بمثل الحشرجة فى صوتك،أوباضطراب فى حركتك أو بماء الشباب يغيض من وجهك ، بل إذا أحسست أن عقلك يكاد يطيش،فتنفس — إن هذه الـكلمة هى خير نصيحة تسدى إليك.

أقدر لهذا الرجل الذى لم تقصم عوده المصاعب أن يصير أغنى رجل فى العالم ؟

مُرشح لعرش الماس

چورچ كنت

أوسع القول فى بلاد تنجانيقا ، ففيها ما جبل كلمنجارو أعلى جبال إفريقية طراً ، ويبلغ ارتفاعه ١٩٫٠٠٠ قدم، وفيها بحيرة فكتوريا التى ينبع منها نهر النيل .

ولكن لاحديث للناس اليوم فى تنجانيقا إلا عن أحدث مناجم الماس، بل لعله أعظم مناجمه فى العالم — وعن ذلك الكندى الصموت جون توربرن وليامسن مكتشفه ومالكه .

فمنذ سبع سنوات خلت دخل وليامسن حانة فندق تابورا وهو أشعث أغبر مرسل اللحية ، وألقى إلى زجاجات الخمر نظرة ملهوف ظامىء ، ثم انقلب راجعاً ولم يطلب شيئاً ، فتغامز به عمال الحانة ، وما فعل ذلك إلا لأنه كان مفلساً . وقد ألح عليه الإفلاس فى تلك الأيام وبلغ



منه حتى ظنه الناس رجلا به لوثة من جنون .

وقد لقبه أهل البلاد السود بالرجل « الأبيض الفقير » . وكان من اليسير أن تعرف أين كان ينقب ، من الأخاديد التى تركها حديد عجلات السيارة التى يركبها ، فقد كان أفقر من أن يتخذ لعجلاتها إطاراً . ولم يكن فى المدينة من يثق بأنه رجل يرجى له نجاح ، سوى بقال هندى فى بلدة شنيانجا كان يقدم له ما يأكله نسيئة ، وكاتب فى مصرف أعطاه كل ما ادخره وهو ٣٠٠ جنيه[1] ، ورجل معدِّن نحاس أمنه على ١٠٠ جنيه جزاء لما كان يسديه إليه من معروف .

فلما كانت سنة ١٩٤١ عثر وليامسن على ما كان يصبو إليه — منجم الماس . ويقول علماء طبقات الأرض إنه قد

يكون أغنى ما يعرفون من مناجم الماس ، فإذا صح ذلك فغير بعيد أن يصبح هذا الكندي أغنى رجل على ظهر الأرض .

وقد ذاع بين الناس أن الطن من حصباء هذا المنجم فيه من قراريط الماس أكبر مما فى طن مثله من منجم كمبرلى المشهور ، والذى لا يزال يعد أعظم مناجم العالم . وقد سمعت بالمنجم الجديد الشركة الإنجليزية الأمريكية لجنوب إفريقية ، والتى تملك أو تهيمن على ٩٥ فى المئة من بقاع الماس ، فعرضت على وليامسن أن تشترى منــه منجمه بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ ريال فأبى . وقد رأيت فى عينيه بريق السخرية وهو يقول لى: « وما ذا أفعل بهذا المال كله ؟ »

كان استخراج الماس فى العام الماضى يتم كله بالأيدى العاملة، ويقدر ما سرقه اللصوص منه بنحو ٢٠ فى المئة، ومع ذلك فقد أخبرنى وليامسن أنه باع من الماس ما تبلغ قيمته ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ ريال كان صافى ربحه منها ٠٠٠ر٥٠٠ر١ ريال . هذا على أنه لم يحفر إلا ظاهر الأرض ، فلم يبلغ عمق الحفر أكثر من اثنتى عشرة قدماً . وهو الآن يترقب وصول الآلات التى تمكنه من الغوص فى جوف الأرض إلى طبقــة الصخر التى يستخرج منها ماس أثقل وزناً .

وقد تجاوز وليامسن الأربعين من عمره، وهو نشيط جرىء القلب له شارب يجعله أقرب شبها بالمقامر المحترف منه بالرجل المعدّن . وهو رجل عزَب لا تطمح أنظار النساء إلى الزواج بعزب أفضل منه ، فهو يتلقى مئات الرسائل من جميع أقطار الأرض من نساء يكتبن إليه بأشواق الحب الذى يملأ قلوبهن ، أو يرسلن إليه الهــدايا مما صنعنه له بأناملهن .

وتكتنف المنجم هضبة منحدرة الجوانب تحيط بها غابة كثيرة المستنقعات ، وهى بقعة مخوفة موحشة لا يؤنس وحشتها إلا طائرها الأبيض المعروف باسم أبى منجــل ، وإلا أشجارها البواسق التى يبلغ عمرها ألف سنة ، وهى المعروفة باسم أشجار الباوباب. وهى بقعة وبيئة تتفشى فيها الملاريا، فمن أجل ذلك يلبس الغرباء فيها أحذية تقيهم شر البعوض ، ويأخذون حذرهم نهاراً من ذباب تسى تسى الذى يورث لديغه مرض النوم .

هذه صفة الأرض التى نقب فيها وليامسن شبراً شبراً ، فانتهى أمره إلى أن أحبها حباً جماً حتى لم يعد يعبأ بالعزلة التى يعيش فيها . وهو رجل شـديد الحياء ، فمن أجل ذلك تراه يغلق عليــه باب مكتبه ويفتح الراديو فيغنيه ذلك عن التماس صــاحب أو رفيق يؤنسه . وقد قصده الناس من بلاد بعيدة

ليملأوا أعينهم منه ، ولكنه يأبى أن يقابل إلا من كان له معه عمل ، أو من لا يستطيع إلى ردِّه سبيلا ، مؤثراً وحشة الغابة على الأنس بحديث الناس . وقد اتخذ لنفسه بيتاً آخر فى ناحية بوكوبا على بعد ٩٠ ميلا شمال منجمه ، فيفر إليه بطائرته إذا أحس بقدم زائر لا يحب أن يلقاه .

بيد أنه شكور ودود لأصدقائه ولمن أسدى إليه جميلا ، فذلك الكاتب الذى أعطاه كل ما ادخر من المال قد نال جزاءه مضاعفا مئة ضعف — أى ٣٠٠٠٠ جنيه . ولم يكتف بأن ردّ إلى معدِّن النحاس ماله الذى أقرضه إياه ، بل أعانه على استغلال منجم ذهب يدرُّ عليه اليوم ٣٠٠٠٠ ريال فى السنة . أما البقال الهندى فقد ردّ إليه المال الذى كان له ، ويسَّر له عملا نال منه مالا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ ريال .

وقد جعل وليامسن لهذا المنجم ٤٠٠ سهم ليس له شريك فيها سوى رجلين : أما أحدها فأخوه برسى ، جعل له ١٠٠ سهم لأنه أصيب فى الحرب ، وقد كتب إليه يقول : « لقد اشتركت فى الحرب وقعدت أنا — فهذا النصيب حق خالص لك » . أما الآخر فحام هندى جعل له سهما واحداً . وأما سائر الأسهم وهى ٢٩٩ سهما ، فهى ملك لوليامسن وحده .

وهو يودع درر الماس فى خزانة ضخمة قديمة العهد يبلغ ارتفاعها من الأرض إلى السقف . وترى درر الماس طبقات مرصوصة فى آنية من الزجاج لا تزال عليها بطاقاتها مكتوباً عليها : ليمون أو مربى أو أشباه ذلك . وفى بعض هذه الأوانى ماسات من ذوات اللون الأغبر والأسود مما لا يصلح إلا فى أغراض الصناعة ويبلغ قدرها نحو ٢٠ فى المئة من مجموع نتاج المنجم . وفى بعضها الآخر ماسات صافية الألوان ما بين أبيض وأزرق ووَرْدى وأخضر وأصفر فاقع ، وكلها حجر خام . وبين هذه الأوانى زجاجة تبرق فيها ماسات مقطوعة مصقولة قد أفردها وليامسن ليهديها إلى أخواته وإلى أمه يوم يعود إلى وطنه كندا .

وقد عمد وليامسن إلى مائدة عليها كوم من الرسائل فنحّاها بعيداً وأفرغ إناء فيه درر من الماس ، فتدحرج قليل منها وسقط على الأرض ، فأسرعت إليها لألتقطها ، فأشاح لى بيده وقال : « دعها ولا تتعب نفسك ، فسنبحث عنها فيما بعد » . ثم رأيته يخرج من مكتبه علبة سجائر مصنوعة من الصفيح ، وهى من العلب التى اعتاد أن يرسل فيها جواهره إلى لندن بالبريد ، ومن عادته أن يرسل نحو عشر علب منها فى كل بريد .

وله وليامسن فى بلدة منتفورت من أعمال كويبك بكندا ، لأب من تجار الحطب ، ثم انتهى إلى جامعة ما كجيل يدرس القانون .

بيد أنه فتن بما يقرؤه ويسمعه عن الرحالين ، فأحب الرحلة ، فآثر أن يدرس علم طبقات الأرض وقال لنفسه : أهل القانون مقيدون لا يرحلون أما مهندسو المناجم فيرحلون ويعرفون الدنيا .

فلما نزل إفريقية بقى أربع سنوات ينقب عن النحاس لإحدى الشركات فى رودسيا ثم تركها سعياً إلى الهدف الذى استأثر بشغاف قلبه ، ألا وهو البحث عن منجم ماس . وسخر الناس منه يومئذ ، وظل يطوى الليالى والأيام بائعاً سقما تضنيه الملاريا أو الدوسنطاريا ، وصارت ثيابه أسمالاً بالية . وأراد أن يعمل عملا يقيم به أوده ، فعمد إلى منجم مهجور وأخذ ينقب فى نفايات حصبائه ، فربما مر الشهر فلا يعثر إلا على جوهرة واحدة لا تبلغ قيمتها قيمة الماس الحر ، ولكنها كانت تكفيه لما يمسك عليه رمقه .

وإذا شئت أن تدرك قدر المنجم الذى اكتشفه وليامسن ، فلا بد لك من أن تعرف أن مواطن الماس نوعان : الرواسب والعروق ، ففى أولهما يؤخذ الماس منه كما يؤخذ الذهب الذى يوجد عند شواطىء الأنهار أو حيث كانت الأنهار تجرى . وأما العروق فهى صخور بيضية الشكل تكونت تحت طبقات الأرض ، تضرب فى أعماق بعيدة الغور . وخير الماس ما كان من هذه العروق .

والمعروف فى علم طبقات الأرض أن عروق الماس كانت فى الأصل لابة من لابة البراكين ، فنشأت فيها هذه الجواهر بفعل الحرارة الشديدة والضغط القوى . وتطاول عليها الأمد حتى تم تمامها واستوت على صورتها . وليس يوجد الماس فى كل العروق ، فقد عثر على ١٥٠ عرقاً فى جنوب إفريقية فلم يوجد الماس إلا فى ٢٥ عرقا منها . وقد عثر وليامسن نفسه على ستة عروق فى تنجانيقا قبل أن يهتدى إلى منجمه الجديد ، فلم يجد فى واحد منها ماساً قط .

وقد واتاه الحظ مرة أو مرتين فى اكتشافه ، بيد أن التنقيب كان عملا شاقاً مضنياً لا فترة فيه . فقد قضى السنوات الطوال وهو يفحص ٥٠٠ ميل مربع من السهول المجدبة فى نواحى شنيانجا حتى قتلها علماً ، فانتهى به الرأى إلى أن قراضة الماس التى عثر عليها تدل على وجود عروق الماس فى هذه الأرض ، وأنه لا بد من ثلاث سنوات كاملة يقضيها فى تحليل النماذج تحليلا بطيئاً دقيقاً حتى يعرف مكانها . وكانت طريقته فى الاستدلال بسيطة ، فقد كان تحت أكثر هذه السهول السوداء التربة طبقة من الجرانيت ، غير أنه كان فيها مواضع يلتقى عندها الجرانيت بحجر أخف منه وألين ، فقدر وليامسن أنه لا بد من أن يكون عند ملتقاهما صدع يتيح للغازات

المتصاعدة من الأعماق البعيدة أن تدفع مايكون في طريقها من الماس إلى سطح الأرض. وقد اهتدى إلى مكان هذه الصدوع بدراسة حصباء الحقول، وبفحص تربة بطون الأنهار وما فيها من أحجار .

وفي مكان قريب من بلدة «موادوى» بدأ يحفر أخدوداً في الأرض ، فوجد فيه عقيقاً وصخراً يعرف باسم « إلمنيت » ، ونوعاً من الحصى يكثر وجوده حيث يوجد الماس . ثم حفر أخدوداً آخر ، فكان أيضاً مبشراً بوجود الماس . فلما حفر عدة أخاديد متقاطعة في بقعة مساحتها عدة أميال مربعة، رأى الدليل بعد الدليل على وجود الماس ، فأيقن عندئذ أنه سلك طريقاً يفضى به إلى غايته . ومضت عليه ثلاث سنوات طوال حتى نال الأعياء من عقله وبدنه ، ولكنه استمر ، فقد كان حريصا على أن يهتدى إلى مكان عروق الماس ، فكان ينام على أديم الأرض ، أو في حديقة ، أو حيثما اتفق له أن يكون ساعة يفرغ من عمله .

وذات يوم عثر راعى غنم على نصف قيراط من الماس في بعض الأخاديد ، وكان المطر يومئذ يسحّ سحاً ، ولكن وليامسن لم يبال وانطلق يريد المكان ، وظل يهيم في نواحيه يبحث سدًى عن جوهرة أخرى. فلما يئس استقل عربته ليعود أدراجه ، ولكنه رأى العجلات قد غاصت إلى نصفها في الأرض ، فبذل الجهد حتى رفعها ، وإذا به يجد في المكان الذى غاصت فيه ماستين. لقد اهتدى إلى عرق الماس !

وفي اليوم التالى ذهب وليامسن لكى يسجل حقّه في هذا المنجم ، ولكنه كاد يؤوب بالخيبة . وذلك أن إيطاليًّا كان مشغولا بالتنقيب في تلك البقعة ، فجاء في ذلك اليوم نفسه ليسجّل حقه ، وأراد الله أن يكون ذلك اليوم هو يوم أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا ، فأصبح الرجل من فوره من رعايا العدوّ ، فاعتقل . وكذلك سجل وليامسن حقه في أرض مساحتها خمسة أميال مربعة ، ثم دلّ على كرم عنصره بأن دعا صديقاً له إلى منجمه . ثم أوعز إليه أن يسجل حقه في قطعة الأرض التى تجاوره. وقد باع هذا الصديق حقوقه إلى شركة في جوهانزبرج بمبلغ مليون ريال .

لم يكن عند وليامسن من الآلات في بدء عمله في المنجم ، سوى غربال من الحديد يدار باليد . ولم يكن في هذه البقعة ماء لتنقية الجواهر في الغربال، فكان وليامسن يغدو ويروح خمس مرات و ستًّا في اليوم راكباً سيارته ، وقاطعاً سبعة أميال إلى النهر ، فيملأ الصفائح ماء ويعود بها . ولم يكن أهالى تلك المنطقة قد رأوا قط معولاً

ولا مجرفة ، فكان عليه أن يعلمهم كيف يستخدمونهما ، وأن يعوّدهم على الرضى بالعمل ثمانى ساعات متواصلات فى اليوم . وبرغم هـذه العوائق كلها ، استطاع وليامسن بعد شهر أن يرسل بالبريد إلى مصرفه فى بريطانيا جواهر تبلغ قيمتها ٥٠,٠٠٠ ريال .

ولم يضرب وليامسن فى أول الأمر سياجاً على المنجم لقلة الحاجة إليه ، إذ لم يكن لأهالى المنطقة علم بقيمة هذا الماس . أما اليوم فإن عنده ٦٠٠٠ عامل من الأهلين ، عليهم نحو ٢٠٠ رجل من الشرطة لكى يراقبوهم ، وأحاط المنطقة التى يملكها بسياج من الأسلاك الشائكة . وفى هذه الحظيرة تعيش أسر العمال رجالا ونساء وأطفالا ، ولكل منهم أن ينال إذناً بالخروج منه لقضاء عطلة الأسبوع فى المدينة .

ومنجم وليامسن هو المنجم الوحيد فى العالم الذى يبيح لأسر العمال أن تتخذ مساكنها فى منطقة المنجم . أما سائر المناجم فلا تفعل ذلك ، ثم إنها لا تأذن لعمالها بمغادرة منطقة المنجم حتى ينتهى عقد عملهم . وقد وضعت مناجم كمبرلى نظاماً دقيقاً لحماية المناجم من السرقات ، فإذا انتهى عقد أحد العمال ، حمل إلى مكان يعزل فيه سبعة أيام ، فيجرّد من ثيابه ويفتش تفتيشاً دقيقاً ، ثم يعطى مقداراً من مادة مسهلة أو من زيت الخروع ، وأخيراً يضعون فى يديه قفازاً من الجلد لا أصابع له ، ويفرض عليه أن يبقيه فى يديه نائماً أو آكلاً طوال مدة العزل . وبرغم ذلك كله تسرق بعض الجواهر .

وأيسر أساليب السرقة أن توضع الماسة بين أصابع القدم أو فى الشعر أو فى الأنف أو فى أية جوة من جوات البدن . وقد تزدرد الماسات فتكشفها الأشعة السينية ، وقد كشفت فى جوف أحدهم عشرين حجراً من الماس . وكان بعضهم يشق جلده ويخفى الماس تحته ثم يخيطه عليه ، فيتعفن الجرح . ولكن السارق يرى أن الألم هين إذا ظفر بالمال ، وقد صنع أحد العمال فى كمبرلى عيناً من الزجاج كان يهرّب فى قلبها الجواهر من جنوب إفريقية .

بيد أن لصوص الماس فى منجم وليامسن قلة لا تذكر ، لأنه شديد الحدب والعطف على من يعاونه من العمال ، حتى إنك لترى مئات منهم يؤمون منجمه من نواح بعيدة فى كل يوم يلتمسون عنده عملا . وأجور عماله أكبر من أجور سواهم فى سائر المناجم ، وهو لا يفرض على أحد أن يعقد معه عقداً لأكثر من شهر واحد . وقد ربّى قطعانا كبيرة من الماشية وأنشأ مذبحاً لكى يضمن لعماله ما يشتهون من لحم . وهم يعيشون فى بيوت

بثمار الفكر والاجتماع ، وبتذوق الحياة كما تريدها هى . وما أكثر هؤلاء النساء فى الأعمال والصناعات والفنون والسياسة ، اللواتى يزخرن بالقوة والرغبة فى العمل . ولن يطول بنا الزمن حتى يصبح من النادر أن نرى امرأة تعتقد أن مهمتها فى الحياة قد انتهت ، لأن أولادها قد بلغوا أشدهم فصاروا فى غنى عنها . بل يغلب أن تعمد المرأة إلى قسمة حياتها شطرين : أما الأول فهو بعد أن تولد إلى سن الأربعين ، وبشمل نموها وتربيتها وزواجها وإنجابها الأولاد . وأما الثانى فحياتها بعد الأربعين، وتكون وقفاً على التعبير عن نفسها ، وعلى خدمة الناس ، وعلى القيام بشتى ضروب النشاط الاجتماعى النافع . فهكذا ينبغى أن تكون المرأة التى تخطت حد الأربعين .

امتحن ذكاء ضيوفك

بعد أن تفرغ من العشاء مع ضيوفك ، ضع ستة من أكواب الماء كما ترى فى هذا الرسم



حتى يكون الكوب الأول فارغاً، والثانى فيه ماء إلى نصفه ، وهكذا ، واجعلها جميعاً صفاً واحداً . ثم اطلب إلى ضيوفك أن يجعلوا الأكواب الثلاثة الفارغة متجاورة والأكواب الثلاثة التى فيها ماء متجاورة ، وذلك بتحريك كوب واحد لاغير ، ولا تنس أن تنبههم أن الحل ينطوى على حيلة .

[الحل فى صفحة ٩٥]

« ولكن الطوى العالم الأكبر »

قال عالم فلكى ذات مرة لصاحبه : « إن الإنسان فى نظر الفلكى ذرة دقيقة فى كون لا نهاية له » .

فقال صاحبه : « ولكن الإنسان لا يزال هو الفلكى » . [هنرى لنك]

حارس مجرب من حراس الشواطىء يحذر
طلاب الرياضة البحرية وطالباتها من مخاطرها .

ليس الغرق ضربة لازم

جيمز و. دانر

مختصرة من صحيفة "ذى بلتيمور صنداى صن"

كان الفتى منطرحا على رمل الشاطىء وشبح الموت يظلله ويطل من وجه شاحب وعينين غاض نورهما . وكان الناس من حوله سكوتاً لا يسمعون إلا أنفاس الحارس وهمساته وهو يقوم بحركات التنفس الصناعى، وإلا نحيب أمه ، بل كانوا يسمعون أيضاً فى الحين بعد الحين صوتاً خافتاً هو تربيت الأب مترفقاً على كتف زوجته .

لقد أخذوا الأمَّ وساروا بها ، وبدأ الجمع المحتشد ينفضُّ ، ولكنَّ الأب تلبَّث متعلقاً بحبل واهٍ من الأمل ، وهو يترقب صامتاً زائغ البصر . وقد خدرت عضلات الحارس حتى صارت تؤلمهُ وحلَّ به الإعياء، ولكنهُ يلتفت فى الحين بعد الحين إلى الأب الصامت المترقب ، فإذا به يرى الشيخوخة تدب فى بدنه ، فيكفُّ عن التفكير فى التوقف فيمضى فى عمله .

وقد هرع حارس آخر بأسطوانتين ملؤهما الأكسجين ، فاستنفدت الأولى ، وكاد أكسجين الثانية ينفد أيضاً . الأمل ضعيف لا يزيد على واحد فى مليون ، ولكن الحارس الأول يواصل حركات التنفس الصناعى ، عسى أن يردَّ الحياة على فتى كان منذ هنيهة صحيحاً زاخر النشاط . وصارت الدقائق تدبُّ متثاقلة كأنها دهور طويلة ، وجعل البدن يتصلب بين يدى الحارس شيئاً فشيئاً .

وأخيراً تمَّ التصلب الذى يعقب الموت ، وليس فى وسعك أن تجاهدهُ أو تدفعه متى تمَّ ، وإذا الحارس قد رفع ذراعيه ، ثم تهالك على الأرض إعياءً . وأخذ أحدهم ذراع الأب المترقب وقد نزلت على عينيه غشاوة من دمعه الحبيس ، فيمضى مطرقاً متثاقلا ، فيحفزك حافزٌ إلى أن تلحق به وتواسيه بكلمةٍ ، ولكن ماذا عساك تقول ، فى حلقك غصة وفى قلبك غم شديد ،

فترتدّ لتشارك فى لفّ الفتى بملاءة ، ثم يحملونهُ ويبعدون به ، فكأنهم حملوا على أيديهم بضعة منك .

وأنت تعلم ما هو الغرق ، وما الموت اختناقاً بالغرق ، وإن ألوفاً من الناس كباراً وصغاراً يلقون حتفهم غرقاً كل سنة ، فمعدل الذين يموتون غرقاً فى الولايات المتحدة سبعة آلاف كل سنة ، أما الذين يدنون من الموت غرقاً واختناقاً فألوف كثيرة ، ولا ينجون إلا برحمة من الله .

ألوف من الناس يموتون غرقاً فى هذه السنة ، وفى السنة المقبلة ، وفى التى تليها !

إن غرق هؤلاء الناس ليس ضربة لازم .

وأنا حارس من حراس شواطىء الاستحمام، وقد انقذت مع رفاقى على الشاطىء الذى نتولاه ٣٠٥ من الناس فى السنوات الثلاث الأخيرة . فأنا أعرف ما أقول ، وأعرف أيضاً كيف يسهل أن تحدث الوفاة غرقاً ، مهما كان المرء سباحاً قوياً بارعاً ، ثم أعرف أن اجتناب كل هذا شىء ميسور .

وأكثر مآسى الغرق يرجع إلى أن الناس يتهوّرون فى إهمال ما ينهى عنه العقل وتأمر به التجربة . وقد رأيت مرة بعد مرة ، كيف يفضى هذا التهور والإهمال إلى فواجع نحن فى غنى عنها ، فلذلك أحب أن أوجه الأنظار إلى النواحى التالية ، فهى قواعد ينبغى أن تراعى .

١ — لا تبعد فى سباحتك عن الشاطىء دون أن يصحبك زورق .

إن النشوة التى يحس بها المرء حين يسبح فى الماء البارد توهمه بأنه قوى قادر على كل ما يريد . وهذا وهم خاتل ، لأن النشوة التى تحفز عضلاتك إلى النشاط ، تخبو على حين فجأة، فتلفى نفسك قد صرت متعباً عاجزاً عن العودة إلى البر . وقد كان فى وسعك أن تسبح المسافة نفسها دون أن تتعرض للخطر ، لو أبعدت قليلا عن الشاطىء ثم سبحت على محاذاته . وقد يخيل إليك أن هذا القول نصيحة مبتذلة غثة ، ولكننا نرى فى كل يوم من أيام الصيف فئة من هواة السباحة المتحمسين ، ينزلون إلى البحر ، ثم يضربون فيه مبعدين عن الشاطىء كأنهم نزلوا إليه ليعبروا بحر المانش . بيد أنك لا تسمع أن أحداً من السباحين العالميين الذين يحاولون عبور بحر المانش قد غرق فيه ، فهم يدركون حدود قدرتهم ، ولكل منهم زورق أو أكثر يرافقه فى أثناء السباحة. أما على الشواطىء التى يؤمها الناس للرياضة البحرية ، فما أكثر ما تسمع عن سباح

أمعن وحده فى عرض البحر ، ثم لقى ما يؤوده من المتاعب .

ومن الخير أن يمتنع المرء عن السباحة وحده ، وإن كان ذلك فى ماء ضحل . فلا يمر بنا فصل من فصول الصيف دون أن نشهد حتف سـباحين يهملون هـذه القاعدة البسيطة من قواعد الاحتياط — ولو كانو على مقربة من يد تمد إليهم بأبسط المعونة لقدّرت لهم النجاة .

٢ — لا تسبح إلا بعـد أن تنقضى ساعتان على الأكل .

فإذا لم تفعل فأنت خليق أن تحس بغتة بألم فظيع فى معدتك من تقلص فى عضلاتها ، فينطوى بدنك بعضه على بعض فيصير العوم شاقاً أو مستحيلا . وكثيراً ما تشل كل عضلة فى الجسم ، فيعجزك أن تحرك إصبعاً لكى تنقذ نفسك من الخطر الذى يحدق بك . وقد يكون أصحابك من حولك فتغطس فى الماء فجأة كأنك صخرة ، ولا يشعر أحد بما حدث لك . وهـذا خطر مشهور ، ولكن الحمقى والمتهورين من الناس لا يزالون يتحدون هذا الخطر كل سنة — ثم يلقون جزاء ما فعلوا .

٣ — لا تبق فى البحر ماضياً فى السباحة حتى تحس بأن البرد قد قرصك .

فى كثير من الأحيان تصاب عضلات القدمين والساقين والفخذين والذراعين بتقلص ينشأ من إجهاد البدن حين يكون البرد والإعياء قد حلا به . وتقلص عضلات الأطراف أيسر خطراً من تقلص عضلات البطن ، ولكنه أكثر حدوثاً . وقد يكون الألم فظيعاً حتى يصير العضو الذى تقلصت عضلاته عاجزاً عن كل حركة ، فلا يصلح لشىء . بيد أن الخطر الأكبر فى تقلص العضلات ، هو الذعر الملحّ الذى يستبدّ بعظم الناس حين تتقلص عضلات ساقٍ أو ذراع وهم فى الماء .

والوخزة التى تحسها فى جنبك حين ترهق نفسك بالمشى السريع ، ليست من قبيل تقلص العضلات. فإذا حدث تقلص العضلات واستطاع المرء أن يحتفظ برباطة جأشه ، كان فى وسعه أن يعود سابحاً إلى برّ الأمان ، دون أن يستعين بالعضو الذى تقلصت عضلاته. أو قد يكون فى وسعه أن يدفع التقلص ، بأن يتنفس نفساً عميقاً ، وأن يحبس النفس هنيهة فى صدره ، ثم بأن ينحنى ويمسك بالعضلات المتقلصة — كعضلات الساق — فيدلكها تدليكا متواصلاً ، فتعود العضلات إلى حالتها الطبيعية .

٤ — لا تغطس فى الماء البارد إذا كان بدنك متعباً ساخناً .

وينبغى أن تراعى ذلك مراعاة خاصة

بعد الفراغ من لعبة عنيفة . فإن ذلك يصدم القلب صدمة قوية ، وقد يفضى إلى حدوث تقلص فى عضلات المعدة . وخير طريقة لدخول الماء هى أن يمشى المرء فى الماء مشياً وئيداً ، وأن يرشّ بيديه قليلا من الماء على سائر بدنه ، فتخف الصدمة التى يتلقاها القلب حتى لا يكاد يحسها .

٥ — لا تحاول أن تنقذ شخصاً آخر بأن تغطس أنت فى الماء — إلا إذا كنت قد درّبت على وسائل الإنقاذ .

فقد شهدنا فى السنوات الثلاث الأخيرة على الشاطىء الذى نتولى حراسته ، أربعين من السبّاحين الذين لم يتدربوا على أساليب الإنقاذ ، قد هبّوا إلى نجدة غيرهم ، فإذا أذرع المهدّدين بالغرق وأيديهم قد قبضت عليهم قبضاً لا فكاك منه ، فصار لا بدّ من إنقاذ المنقذين أيضاً .

وحرّاس الشواطىء الذين تمرّسوا بأساليب الإنقاذ ، هم أنفسهم قلما يحاولون أن ينقذوا مشرفاً على الغرق ، دون أن يستعينوا بزورق أو حبل أو طوف أو ما أشبهها من الأشياء التى تطفو فى الماء ، ويسهل على المهدّد بالغرق أن يتعلق بها ، أو أن يجرّ بها إلى برّ الأمان . وقد يكفيك أحياناً أن تلقى إليه بطرف منشفة وتمسك أنت بالطرف الآخر ، فيكون ذلك حسبه لكى ينجو من الغرق . فلا تنسين أن فئة كبيرة من الذين يغرقون ، إنما يغرقون وهم على مسافة قصيرة — بضع أقدام أو بضع بوصات — من مكان الأمان .

٦ — لا تكافح الماء إذا ساقك فى تياره .

أى لا تحاول أن تسبح فى اتجاه مضاد تماماً لاتجاه التيار . ففى كل سنة يغرق كثير من أقوى السباحين لأنهم يجهلون هذه الحقيقة أو يهملونها . بل عليك أن تسبح فى اتجاه منحرف قليلا يمكنك من أن تجتاز عرض التيار حتى تخرج من نطاقه ، فلا تستنفد قوتك فى مقاومته .

٧ — لا تستسلم للذعر إذا ساقك الماء المرتدّ عن الشاطىء .

ذلك بأن الماء المرتد ليس سوى حركة يحدثها الموج على شاطىء منحدر ، فإذا انكسر الموج ارتدّ ماؤه على الشاطىء المنحدر ، فيحدث حركة متجهة من الشاطىء إلى البحر . وهذه الحركة لن تشدّك إلى قعر البحر ، كما قد يخيل إليك . وإنما تبعد بك قليلا نحو عرض البحر . فإذا جاءت الموجة التالية حملتك وأدنتك قليلا من الشاطىء . وإذن فينبغى لك أن تسلم نفسك للماء المرتدّ ، فإذا جاءت الموجة التالية فاسبح معها بكل قوتك ، فتقترب من الشاطىء رويداً رويداً دون مشقة ، لأنه

قوة الموجة المقبلة وقوة سباحتك معها تحملانك إلى الشاطىء مسافة أطول من مسافة بعدك عنه فى المرة السابقة . فإذا رأيت الموجة مقبلة فارفع ساقيك حتى تصيرا مساويتين لسطح الماء ، واسبح مع الموجة ما استطعت . وسرعان ما تبلغ برّ الأمان إن احتفظت برباطة جأشك .

وقد يخيل إلى أن بعض المخاطر أوضح من أن أشير إليه ، ولكن السابحين يتحدون هذه المخاطر كل يوم . فنحن حراس الشواطىء لا ينقضى عجبنا حين نرى الناس يثبون إلى ماء لا يعرفون مبلغ عمقه ! فلم يسبحون حول العمد التى تقوم عليها الأرصفة ، مع أنهم يعلمون أن فى مائها دوّامات خاتلة ! ولم يحرص الذين لا يحسنون السباحة على أن يبعدوا فى البحر إلى حيث لا يستطيعون أن يثبتوا أقدامهم إذا اقتضى الأمر دون أن يستعينوا بنطاق منفوخ أو ما أشبهه !

ثم لِمَ لا يطيع الناس أوامر الحراس وإشارات الخطر . ففى الأيام التى يهيج فيها البحر ، تكثر استغاثة أناس تجاهلوا إشارة الخطر أو عصوا أوامر الحراس . ولا يغرنك أن ترى الحارس على مئة متر منك ، فقد تغرق قبل أن يصل إليك — فقد تقبض يد الخوف على حلقك ، وينسل الماء فى خياشيمك وبلعومك فتعجز عن دعوته إلى نجدتك . وقد يسمعك ويهب إليك ، فلا يكاد يصل حتى يكون التيار قد أبعد بك عن الشاطىء إذا كان التيار قوياً . وقد يغوص الحارس مرة ومرة وثالثة ، فلا يجدك قبل فوات الأوان .

فاذكر ولا تنس : أن الموت على مقربة منك وأنت فى الماء ، والموت غرقاً موت فظيع . ولا تصدق أحداً يقول غير هذا . وإذن فاحرص على أن لا تهمل القواعد التى يقضى بها العقل وتأمر بها التجربة .



من أروع المنشآت التى أقيمت لذكرى الناس على سطح الأرض « ينبوع الدمع » فى باخشيسراى فى روسيا ، فقد أقامه أميرٌ من أمراء التتر ليعرب عن حزنه العظيم يوم ماتت أميرة بولندية كانت أسيرة عنده . ولم يزل هذا الينبوع يذرف دمعة واحدة كلّ دقيقة منذ ٣٠٠ سنة .

أم روسية تبين لم آثرت الموت
على أن تعود إلى اتحاد السوفيت

حياة الصغار في روسيا

نينا الكسيف
مختصرة من مجلة "لسبرتى"

كنت أنا وزوجى كيريل ننتمى إلى طائفة من الفنيين المتخصصين كان لها بعض الامتياز فى روسيا. وكانت تحت إشرافنا طائفة من مهرة العمال، فكان أجر كل واحد منا يتراوح بين خمسة أضعاف أجر الواحد منهم أو عشرة أضعافه. وبرغم ذلك كنا نلقى الأمرين من الفقر وإرهاق العمل، ولذلك حرصتُ على أن لا يكتب على ولدىّ وابنتى أن يعيشا تحت سلطان السوفيت.

كنت فى الرابعة من عمرى يوم قبض البلاشفة على زمام الحكم، فكانت أيام طفولتى سنوات قاسية ــ حرب أهلية ومجاعة وفزع من بطش الشرطة. ولما كنت قد نشأت فى جوار الفلاحين الأكرانيين، فقد



شهدت كيف حطم النظام الجامع المشترك بناء الأسرة، وكيف انقلب أطفال القرية الآمنة المطمئنة فإذاهم أطفال لا مأوى لهم يتكففون الناس. فكنت أرى آلافاً مؤلفة منهم شعثاً غبراً فى أسمال بالية يجوبون البلاد يسألون الناس إحساناً، ويسرقون، ويموتون كما يموت الذباب. أما البيوت التى أنشأتها الحكومة لإيوائهم فلم تكن تتسع إلا للقليل من هذه الحشود.

وكانت أمى تتولى الإشراف على بيت من هذه البيوت فيه ٢٠٠ فتى وفتاة، فما بين الخامسة إلى الحادية عشرة من العمر. وكان العمل يرهقها شططاً، فمعونة الحكومة كانت زهيدة لا تغنى، وقلما كانوا يرسلون إليها ما يكفى من الثياب والفراش والطعام.

ومضت السنوات وإذا بنا نسمع عن « الحياة السعيدة فى عهد ستالين » ، فلم تخدعنى هـذه الدعاية قط ، وأنا أرى من حولى أطفالا أضناهم الجوع ، وشوّه هذا النظام الجائر نفوسهم وعقولهم .

ومنذ سنوات أدرك الكرملين أن الفساد الذى يلحق الصغار يترك أثره فى إنتاج الصناعة ، فعمد يومئذ إلى لمّ شعث الأسرة على نفس الأسلوب الذى اتبعـه هتلر وموسولينى . بيد أن هؤلاء الصغار لا يزالون يلقنون ازدراء مبادىء الأخلاق و « الأوهام » الدينيـة ، ولذلك ترى التجسس على الكبار واحتقار الآباء مغروساً فى نفوس الصغار منذ نعومة أظفارهم .

وقد عرفت فتى من الأوغاد يفخر بأنه هو الذى بلغ الشرطة أن أباه كان رئيساً لجماعة من المتدينين يخفون بعض الأشياء المقدسة لكى تردّ عنهم عادية السوء ، وكان من جراء ذلك أن نفى أبوه وأمه وأربعة من إخوته وأخواته إلى سيبريا . وإن بدنى ليقشعر كلما تذكرت أمثال هذه الحوادث ، فما الحيلة إذا أصبحت يوماً فإذا بى أرى أبنائى وفلذة كبدى قد سرت إليهم عدوى هذا الضرب من « البرّ بالآباء » ؟

إنى لأرى الصغار الغرباء وعلى وجوههم نضرة الصبا فيمتلىء قلبى حبوراً وغبطة ، ولكنه يتقطع أيضاً من الحسرات على صغار وطنى وقد حرموا عهد الطفولة والصبا ، وإذا هم ينقلون من الطفولة إلى الكبر دفعةً واحدة . والرأى العام السوفيتى لا يستنكر أن يرى طفلا فى الثانية عشرة من عمره يعاقب بالإعدام مأخوذاً بجريمة سياسية ، وإن هؤلاء الصغار لينفعون إلى الشر حيثما وجدوه طلباً للخلاص مما يلاقونه من الحرمان والتبرّم والجوع .

إن الحياء والتستر وبراءة الطفولة أشياء لا مكان لها فى غرفة واحدة تتكدس فيها أسرة برمتها . وقد عشت أنا ووالدىّ وثلاثة آخرون زمنـاً طويلا فى غرفة طولها ١٠ أقدام وعرضها ١٣ قدماً ، وكانت هناك أسرة أخرى تعدادها ١٢ نفساً ، تشاركنا المطبخ والمرحاض اللذين كانا من مرافق شقة واحدة فيما مضى . ولم يكن فى هـذه الدار حمام ، وقد بذلنا كل جهدٍ فى القضاء على القذارة والحشرات ، فذهبت جهودنا كلها سدًى .

كانت أيامنا كلها على غرار واحد ، فقد كنت أنهض من فراشى فيما بين الخامسة والسادسة صباحاً ، فأخرج وأقف صابرة عند باب الدكان المجاور حتى أظفر بشىء من الخضر ، أو برغيف فوق الجراية التى لم تكن قط تكفى لردّ الجوع عنّا . فإذا

عدت إلى البيت أعددت الشاى على موقد الجاز. والشاى وكسرة خبز جافة هو كل فطورنا. ثم أنطلق ذاهبة إلى مكان عملى، فأقضى ساعة فى مركبة كريهة الرائحة غاصة بوجوه عليها غبرة البؤس والشقاء. وفى خلال ذلك أجد الهم جاثماً على قلبى، لأنى لم أترك للصغار فى البيت لبناً ولا بيضاً — بل لا شىء إلا الخبز الجاف.

وهذه حادثة لا تخطر لى ببال إلا كاد الدمع يخنقنى: عدت إلى البيت ذات ليلة فإذا أمى تناولنى كسرة خبز سوداء مقضومة من أطرافها. ذلك أنه كان لنا جار شديد الحب لولدى الصغير «فوفا»، فأعطاه هذا الرغيف، فقضم منه قضمة ثم تمالك نفسه واستبقى سائره، وقال لأمى قبل أن يأوى إلى فراشه: «عدينى يا جدتى أن تحتفظى بهذا لأمى فإنها لم تذق طعاماً فى الصباح».

يا لها من رقة فى شعور طفل غرير أن يدرك معنى الجوع! وجرت دموعى وأنا أضم هذا الطفل النائم إلى صدرى.

ولما كنت «عاملة مسئولة» كما يسمون أمثالى، كانت تفرض على ساعات مضافة أقضيها فى العمل، ولم يكن هناك حد محدود لهذه الساعات. وكان خير أيامى هو اليوم الذى أستطيع أن أعود فيه إلى البيت مبكرة لكى أعد شيئاً من طعام شهى للعشاء، ثم أجد بين يدى عملا كبيراً من غسل ورفو وتنظيف. وكنا نحن الكبار نلقى شقاء لا يحد، حين نجده لزاماً علينا أن تقضى كل هذه الأعمال فى ضوء خابٍ، ولا نكاد نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج نوم الصغار. وكان قلبى يتوق إلى وقت أجدنى فيه فارغة من العمل، حتى أزداد معرفة بما تنطوى عليه نفس ولدى وابنتى، وحتى أقرأ لهما شيئاً وأرشدهما إلى سواء السبيل.

كانت ابنتى «لاليا» فى نحو السادسة من عمرها، فكانت تستيقظ مبكرة أحياناً وتصر على أن تبقى مستيقظة حتى تودعنى وأنا خارجة إلى العمل. فلم يكن يسعنى أن أحرمها هذه الدقائق التى تستزيدها لكى تبقى مع أمها زمنا أطول مما كان يتاح لها، فكانت تخرج وتقف فى الطريق تحت البرد الشديد، وهى تلوح لى بيديها حتى أغيب عن بصرها.

فإذا جاء يوم الأحد تيسر لى أن أجمع ما تراكم من الثياب فى إناء فيه ماء وأضعه على النار الضئيلة صابرة حتى يسخن فأغسله. وكنت أنا وكيريل نبذل الجهد حتى نختلس من يوم الأحد ساعات نقضيها فى تعهد صغارنا، فإذا التعب الذى لقيناه فى عمل البيت قد بلغ منا كل مبلغ، ومع ذلك فلا مناص من أن نحمل على أنفسنا ونبدى من

البشاشة ما يجعلنا نذيق الصغار حلاوة عيشة الأسرة، كما كانت تعرف في الأيام الخوالي.

وإذا مرض أحد الصغار، وما أكثر ذلك، فمرضه ليس عذراً يسوّغ لأحدنا التخلف عن العمل. والروسي إذا كان قادراً على أن يستدعي لمريضه طبيباً خاصاً، أنف لنفسه أن يذهب إلى عيادات الحكومة، وكذلك كنت أفعل، لعلمي أن أطباء الحكومة مرهقون بالعمل ومقصّرون في فنهم. وقد أصيبت ابنتي لاليا بالتهاب الرئة ولم تكن قد تجاوزت السنة الأولى من عمرها، فعادها طبيب الحكومة بضع مرات، ثم آثرت أن أستدعي لها طبيباً متخصصاً وإن كان أجره قد أرهقني من أمري عسراً.

ولا أزال أذكر ما قاله يومئذ: «إن مرضها شديد الخطر، وخير لك أن لا ترسلها إلى المستشفى». ثم كتب لي تذكرة وهو يهمهم: «وما نفع ذلك؟ إنك لن تستطيعي استحضار الدواء». ولكننا استطعنا، فإنه كان لكيريل أصدقاء من ذوي السلطان، فاستحضرها لي من مستشفى الكرملين المخصص لأقطاب الموظفين.

فإذا كان هذا هو ما نلقى من عنت الحياة على وفرة كسبنا، وعلى ما أتيح لنا من علاقة بذوي السلطان، فما ظنك بسائر الناس ممن ليس لهم ما لنا؟

وأنا لا أزال أحسد الغريب عن روسيا على طهارة قلبه وسلامة صدره، حين يسألني عن بلادي أسئلة بُنيت على ما ألف هو من العيش في بلاده، كأن يقول: أتحب المرأة الروسية كثرة التردد على المتاجر لتخيُّر البضائع؟ أتحب لعب الورق والذهاب إلى الأندية النسائية؟ أي أنواع اللعب يحبها صغارها؟ وليس في روسيا من تتاح لها أن تستمتع بشيء من هذا سوى زوجة رجل من أكابر ذوي السلطان أو خليلة له.

تخير البضائع! إنها كلمة تفزع الروسية وتملأ قلبها رعباً، فمعناها عندها أن تذرع الأرض إلى أقصى المدينة ساعية في طلب شيء يشاع أنه بضاعة نادرة — فاكهة أو حلوى أو بعض الثياب — يحوزها في دكانه تاجر بعينه. ومعناها أيضاً جهاد مُرّ عنيف في سبيل الظفر بحاجات يومها — من كبريت وملح وجاز وطعام، حتى ولو كان معها من المال ما يتيح لها أن تشتري هذه الأشياء بالأثمان الفاحشة التي فرضتها الحكومة التي لا ترحم. وقد انتهى الناس في روسيا إلى أن أحدهم ينضم إلى صفوف المنتظرين عند باب الدكان من الدكاكين، وهو لا يدري ماذا يريد أن يشتري. ولا

تجد أحداً منهم يستغرب هذا السؤال العجيب: « أنا بعدك: فما الذى يباع فى هذا الدكان ؟ »

وكثيراً ما رأيتنى أقف عند المتاجر التى تعلن عن أشياء النساء التى تستعمل فى وقت الطمث ، فأذكر أيامى فى روسيا وكيف كانت المرأة تضنّ بالخرق البالية أن تضيعها عبثاً ، فنستعمل مكانها الصحف القديمة .

والروسىّ حين ينزل بلداً من بلاد « الرأسمالية » يحارُ حين يرى كل هذه البضائع والثياب ، لأنه يجهل فيم تستعمل وكيف تستعمل ، فإنه لم ير لها مثيلا قط فى بلاده . ويروى أن زوجات بعض كبار ضباط الجيش الأحمر حين خرجن من روسيا إلى بلاد أخرى ، كنّ يخلطنَ فلا يفرقن بين قميص النوم وثوب السهرة .

ويسأل السائل عن لعب الأطفال ! إن الطفل الروسى إنما يبكى لأنه يريد أن ينال قطعة خبز أو ملعقة حساء زيادة فى طعامه ، وليس يبكى لأنه يريد لعبة . وإذا لم يكن الطفل من أبناء أغنى الأغنياء ، فهو متروك لخيال طفولته لكى ينشىء له لعبه التى يلهو بها . فهو تارة يأخذ ملعقة منبوذة فيلفها فى خرق ويتوهمها « عروسة » ، أو يأخذ بعض ألواح البراميل ويربطها على قدميه بسلك وينزلق بها على الجليد . وترى الصغار ذكوراً وإناثاً يلعبون لعبة « السجن » و « التصفية » ، فيتخذون الشقاء الذى يحيط بهم مســلاة يجدون فيها من اللذة ما يجده سائر الأطفال فى لهوهم ومرحهم .

وأطفال روسيا لم يألفوا الجوع وحده ، بل ألفو الذعر من الشرطى أيضاً . ففى سنة ١٩٤٠ طبقت الحكومة السوفيتية نظاماً ابتدعته لتسخير الأطفال فى الأعمال ، وهذا النظام لا يعرف عنه سائر العالم شيئاً ، وقد تذرعت هذه الحكومة بما سمته « منهاج التدريب على العمل » إلى تجنيد الأطفال الذى بلغوا الثالثة عشرة فما بعدها تجمعهم كل سنة . فهى لا تزال تنتزع فى كل عام ملايين من الصبيان والفتيان من أحضان أمهاتهم وآبائهم ، لكى تمرّنهم حتى يصيروا معدّنين أو عمالا فى المصانع .

وكانت معى زميلة فى المصنع فقالت لى ذات يوم : « كان ولدى يشتهى أن يصير طبيباً ، ولكنهم اقتادوه إلى ثكنات العمال الاحتياطيين ، فخرج وهو يصيح : سأفرّ ، سأنتحر » .

وقد ذهبت إلى مصلحة العمال الاحتياطيين لكى أتوسط لهذه المرأة ولكثير من أمثالها ، فقال لى الموظف المختصّ وهو لا يكاد يكتم أسفه : « هذه أكوام من الرسائل ، وآلاف منها تناشدنا أن نطلب للأطفال

مخرجاً من هذا المرسوم الجائر . وإن قلبي ليفيض بالحسرات ، ولكن كيف أعينهم ولا حول لى ولا قوة » .

وقد رأيت نحو سبعين من هؤلاء الفتيان والفتيات يتولون إدارة آلات فى مصنع الذخيرة الذى أعمل فيه ، فإذا ثيابهم السود أسمال ممزقة تعلوها الأقذار ، وقليل منهم من كان فى قدميه حذاء صالح ، وكان أكثرهم منهوكاً عليلا . وكانوا يعيشون فى ثكنات يخضعون فيها لنظام صارم كأنهم جنود ، وكانوا يعطونهم طعاماً تشمئز النفس من النظر إليه . وهؤلاء الصغار الأرقاء كانوا عندنا صورة لما سوف يصير إليه أبناؤنا وفلذات أكبادنا .

لقد كان هذا كله بياناً للذى أردت أن أجنّبه ولدىّ من عذاب البدن وفساد الأخلاق ، ولكن أبشع من هذين هو الشىء الذى كان خليقاً أن يلقياه إذا عادا إلى روسيا ، ألا هو رقّ العقل واستعباده .

وفوفا ولاليا صغيران أتمّ الله عليهما نعمة الصحة والعافية والذكاء ، وهما اليوم يجتازان حدّ الصبا إلى حد الشباب . فلو أنهما كانا اليوم فى روسيا لما نجا أحدهما من الأغلال التى تقيدعقله ، وتشوّه غرائزه ، وتمسخ عواطفه ، حتى يصير وافياً بحاجة دولة تطوى قبضتها على كل أسباب القوة والبأس .

وأشقى الناس وأعظمهم بؤساً فى الأمة الخاضعة للنظام الجامع ، هم أهل العقل والرأى من رجال ونساء ، فهم يعيشون فى أرض لا تعرف رقة ولا رحمة ولا حرية الرأى واستقلاله . فإذا كنت حريصاً على حياتك ، فلا مفرّ لك من امتثال أمر هذا النظام واتباع مناهجه .

ومن أجل ذلك ترى أذكياء الآباء فى روسيا يصرفون صغارهم عن حرية التفكير وعن تقديس الصدق وإكباره . وقد كان فيمن عرفت عشرات من الآباء والأمهات يخفون عن أبنائهم ما يعتلج فى أعماق نفوسهم من إيمان بالدين والأخلاق ، مخافة أن يغرسوا فى نفوسهم غرسَ الشك والسخط ، فيجلبون عليهم البلاء الشديد إذا انقلبوا متبرّمين لا يطيقون العيش فى هذه الأرض السوفيتية .

وذات يوم أراد فوفا ولاليا أن يعرفا : لماذا يلقى بالناس فى السجون ؟ فحاولت طاقتى أن أشرح لهما الأمر ، فإذا لاليا تلحّ فى السؤال وتقول : « ولماذا إذن ألقوا بوالد جارتنا فاديك فى السجن ؟ إنه لم يسرق ولم يؤذ أحداً ، إنه رجل طيب ، وكان يحكى لنا حكايات مسلية » .

فإذا فوفا يقول : « تقول ابنة فاديك إن أباها كان عدوًّا للشعب ، فخبرينى يا أماه ، ما معنى عدوّ الشعب ؟ »

فكيف بربك كان يدخل فى طوقى أن أبيّن لهما أن الرجل مظلوم ناله بطش « تطهير » جائر بلا عقل ولا رحمة . لم أجد من الكذب مناصاً ، وحرصت على أن أختار كل كلمة أقولها مخافة أن يردّد الأطفال وهم فى المدرسة بعض ماقلته ولم ألق إليه بالا ، فينالنا من انتقام الدولة عقاب غليظ .

وسألانى ذات مرة عن صديقهما جاليا ولماذا يقضى أكثر أيامه جائعاً ؟ فحاولت أن أبين لهما أننا فى زمن الحرب ، وأن على كل امرىء منا أن يضحى فى سبيل بلاده .

فأخذت الحيرة لاليا وسألتنى : « زمن الحرب ! أليست صديقتنا مارنيكا تعيش أيضاً فى زمن الحرب ؟ »

كانت مارنيكا هذه ابنة رجل من أكابر الموظفين ، وكانت لاليا تزورها أحياناً فى بيتها ، فترى طعاماً كثيراً من لبن وسكر وعسل وشكولاته أيضاً . فكان علىّ على أن أبذل غاية الجهد حتى أخترع قصة « معقولة » أخفى بها ما يرى الرائى من فروق الطبقات فى « مجتمع لاطبقات فيه » .

وأطفال ممثلى السوفيت فى مدينة المكسيك وسائر المدن الأخرى فى خارج روسيا ، محرّم عليهم أن يدخلوا المدارس « البرجوازية » . وقد كنت أنا مدرسة فى إحدى مدارس سفارتنا ، فكان أولادى يكرهون قراءة الكتب المحشوة بالدعاية ، والتى كان لزاماً على الصغار أن يقرأوها .

وقد جاءتنى لاليا ذات ليلة فقالت لى : « أماه ! إنى لأحبّ قراءة الكتب القديمة التى كتبها أمثال بوشكين وليرمنتوف وشيكوف ، فكتابتهم تشوق النفس ، وإن كان كتابها من طبقة الأغنياء والأرستقراطيين . أما هذه الكتب السوفيتية ، فهى كتب مملة تكدّ الذهن » ، وأشارت إشارة تدل على الامتعاض .

فإذا أخوها يقول : « إنها تملأ قلبى سآمة وضجراً » .

فأخذت أنا أدافع عن هذه الكتب الجديدة متحمسة فى الدفاع .

وإذا لاليا تندفع قائلة : « لا أراك تقولين الحقّ يا أماه ، أنا أعرف ذلك ، أنا أعرفه » وجعلت تبكى وتنتحب ، فاحتضنتها وجعلت ألاطفها وأسرّ فى أذنها :

« لا تبكى يا حبيبتى ، سوف تفهمين كل شىء بعد أن تكبرى » .

وكلما كبر الصغار زاد تطلعهم وتساؤلهم ، وزاد شقائى وحيرتى . فلما دنا يوم رحيلى عن المكسيك عائدة إلى الاتحاد السوفيتى ،

امتلأَ قلبي غمًّا وكرباً ، إذ كان واجبُ الأمومة يقتضيني أن أقمع ما فُطرتْ عليه نفوسهما من حبّ الحقّ والجمال ، حتى يتيسر لهما أن يعيشا فى ظل دولة تحكمها الشرطة . وكنت أعلم حق العلم أن خير مايصيبان فى هذه الدولة هو أن يصبحا بعد قليل من قوّاد الرقيق ، إذا كتب لهما أن يكونا بين الفئة الحاكمة القليلة العـدد ، وأن شر ما يصيبهما أن يصيرا من سواد هذا الرقيق . وكلا المصيرين عندى مما لايليق بالأحرار من بنى الإنسان .

أما وقد استقر بنا المقام فى أمريكا بعد أن استقال زوجى كيريل الـكسييف من السفارة السوفيتية فى المـكسيك ، فلست أبالى بما يصيبنى أو يصيب زوجى منذ اليوم، ما دمت مطمئنة إلى أن أبنائى يعيشون فى أرض تتيح لهم أن يحسنوا الانتفاع بما آتاهم الله من مواهب .



على البديهة

ذات ليلة طلب مدير المباراة فى محطة الإذاعة سـيدة بالتلفون ليخبرها أنها ظفرت بجائزة قدرها ١٩٠٠ ريال،فلم يجدها فى بيتها ، ولـكنه وجد سيدة كانت نازلة ضيفاً فى دارها ، فأنهى المدير إليها الخبر ، ثم سألها عن أول شىء يحتمل أن تصنعهُ السيدة بالمال الذى ربحتهُ ، فقالت على الفور : « تعدُّه »

ذهب مذيع من محطة الإذاعة يتجوّل فى أحد الشوارع ، ويلقى الأسئلة على بعض من يلقى من الناس ، فيذاع السؤال والجواب دون إعداد أو تحضير ، ولقى سيدة فسألها عما قاله لها زوجها ساعة طلب منهـا أن تـكون زوجة لهُ ، فقالت إنهُ قال لها إنهُ يحبُّـها ، وإنهُ يرجو أن تـكون زوجة لهُ . فقال المذيع : « أو لم يفعل شيئاً بعد ذلك لتأييد قوله ؟ »

فقالت السيدة ضاحكة : « لا ريب . فقد رزقنا بولدين ! »



ما الذى يجعل الرجل زوجاً حسن العشرة

أنا ملك نفسى

زوجى رجل تطيب الحياة معه لأنه رجل كريم وإن كان أسكتلنديًّا . إنه يحب قراءة الروايات البوليسية ، وأنا يعجبنى مطالعة الأدب الروسى ، وهو يحب رياضة الجولف ، وأنا أحب أن أذهب إلى دور السينما ، وهو يحب أن يصيد السمك ، وأنا أحب أن أرقص . فأى شيء نشترك كلانا فى حبه ؟ هو أنى أحبه وأنه يحبنى . ولم أره منذ تزوجنا من تسع سنوات ، يحاول أن يفرض علىّ مطالعة رواية بوليسية ، أو أن ألعب الجولف ، ولم يحاول قط أن يتخير لى الأصدقاء الذين يحلو لى أن أعاشرهم ،ولا الثياب التى يحلو لى أن ألبسها، ولا الملاهى التى أستمتع بها . ولم أره أبداً يمسك بحساب البقال كأنه يغالب نفسه حتى لا تنفجر سخطاً وتعنيفاً على تبذيرى . فقد كان كريماً رحب الصدر فى كل شىء — فى فكره وجيبه على السواء .

وهو رجل ينفض رماد السجاير على السجاجيد وفى جميع الآنية ، ويعود إلى بضيوف للعشاء دون إنذار ، وينسى عيد زواجنا . ولكن كرم نفسه يغتفر له جميع هذه السيئات ، فهو رجل يطيب لى أن أعيش معه ، لأننى أحس أن فكرى ونفسى هما ملك يدىّ ، وقد أراه أحياناً يحاول أن يستطلع طلْعهما ، ولكنه لا يحاول أبداً أن يزعم لنفسه أنهما ملكٌ له .

التحرر من الفضول

تزوّجت مند أربعين سنة ، وزوجى متصف بخلائق كثيرة تجعل العيش معه أمراً مستحبًّا ، ولكنّ أعظم خلائقه هى أنه رجل خاو من كل أنواع الفضول . فهو سخىٌّ بماله ، ولكنه لم يسألنى قط فيمَ أنفقته أو هلَ ادخرت شيئاً منه . ولى أن أتأخر عن العودة إلى البيت ماشئت،وأن أستقبل فى دارى من الزوّار من أريد وعلى غير انتظار ، دون أن يلزمنى أن أبين له وجه تأخرى أو استقبال زوّارى . وليس ذلك لأنه لايهتم بأمرى ولا يبالى ، بل لأنه يثق

بى وبقدرتى على تدبير أمورى كثقته بنفسه . وقد يبدو هذا الأمر شيئاً تافهاً ، ولكنه مفض إلى السكينة والسلام والسعادة .

زوج رضى الطباع

إن زوجى رجل تسهل الحياة معه ، لأنه لم يطبع على التماس العيوب فى زوجتــه أو أصدقائه . وقد تزوجنا منذ خمس سنوات ، ولست أذكر أننا جلسنا مرة ما إلى الطعام فعكر صفوهُ بكلمة نقد لاذعة لما قدّم إليه ، ولست أذكر سهرة واحدة فى البيت نغّصها علينا بجدل عقيم أو بمهـاترة . وأنا أعلم أن زوجى ليس رجــلا كاملا ، ولكن من هذه التى تريد أن يكون زوجها رجلا كاملا ؟ أما أنا فأقول : أحمد الله الذى أنعم علىّ بزوج رضىّ الطباع .

جدوى التغيب

من الأمور التى تعين على جعل الرجال زوجاً يسهل العيش معه ، افتراق الزوجين فى الحين بعد الحين . وليس لزاماً أن يكون تغيب أحدهما طويلا أو بعيــداً ، فالأزواج على الأغلب يميلون إلى التسليم بأشياء كثيرة على علاتها ولا يلقون إليها بالاً . فإذا تغيَّب الزوج فى رحلة من أجل العمــل تستغرق بضعة أيام ، أتيحت لزوجتهِ فرصة لتذكر مزاياهُ وتقدرها حق قدرها . فإذا عاد من رحلته رأيته هو أيضاً ميالاً إلى تقدير حسن ذوق زوجتــه فى طبخ الطعام ، وأناقتها فى ترتيب البيت ، وتحسن هى فى عينيــه . أما زوجته فتراه بعد أوبته خير رجل فى الدنيا .

شكرا لحماتى ...

من الأشياء التى تكاد تحمل الأمّ على اليأس ، محاولتها أن تعلم أبناءها أن يضعوا أحذيتهم فى مكانها من الخــزانة ، وثيابهم إذا اتسخت فى سلة الغسل ، وأن يعيدوا الكتب التى أخذوها من رف الكتب إلى مكانها بعد فراغهم منها . وهى تحـاول أن تفعل ذلك على حين ترى زوجها أسوأ مثل لأبنائها ، فهو حين يخلع ثيابه ويلقيها على أقرب كرسى إليه ، وكل زوجة تكاتم غضبها وهى تسير فى أثر زوجها كل يوم تلم مناديله من هنا والصحف التى قرأها من هناك ، والأحذية والقمصان التى خلعها فى الليلة البارحة . فمن أعمق أعماق قلبى أشكر لحماتى أنها ربت زوجى على أن يوفر علىّ كل هذا العناء .

زوجى نهم

أسهل العيش ما كان مع زوج نَهِم يطيب له كل طعام . إن أكثر الزوجات ترى أن الطعام يفقد شيئاً كثيراً من لذته إذا كثر تقديمه على فترات قصيرة لزوج يستطيبه ، ولكنّ هذا شىء هين إذا قيس بمشقة إعداد الطعام لزوج « لا يحب البصل » أو « لا تعجبه البطاطس » أو « يكره الكرنب أو الجزر »

فيومئذ يصير إعداد الطعام كابوساً يرهق الفكر والنفس جميعاً .

لا ينسى انني انثى

لاينسى زوجى قط أنى زوجة وأنثى أيضاً تهوى ماتهواه الإناث جميعاً: وهو أن تسمع زوجها يقول لها إن ثوبها الجديد كان أجمل ثوب فى الحفلة ، وأن الحلوى التى أعدتها للعشاء لا تعادلها حلوى فى العالم . فهذه الكلمات المعسولة التى أسمعها من زوجى حيناً بعد حين ، تجعله رجلا يسهل العيش معه ويطيب .

قريب من الناس

لزوجى صديق حميم متزوج، وقد جاءتنى زوجته ذات يوم وقالت لى: «اسألى زوجك عما يراه زوجى فى أمر خروجنا جميعا لقضاء عطلتنا فى خيمة نضربها فى الخلاء » .

فقلت فى ذات نفسى لمَ تطلب منى أن أسأل زوجى عن رأى زوجها، ولمَ لاتسأل زوجها دون وساطة أحد ؟ ولكننى لم أوجه إليها هذا السؤال ، فقد كنت أخشى أن ألمس مكاناً حساساً فى حياتهما ولكننى شعرتُ بالفرحة فى قرارة نفسى، بأن فى أخلاق زوجى مايجعله قريباً من الناس حتى يسهل عليهم أن يقصدوه ليطلبوا رأيه ، فلا يخيب لهم أملاً .

وقد نبهنى هذا الحديث إلى خليقة من خلائق زوجى ما زلت غافلة عنها منذ تزوجنا، وهى التى حببت إلى العيش معه دون أن أفطن إليها . ففى وسعى أن أبحث كل موضوع معه ، من مال الأسرة إلى الكعك الذى أريد أن أصنعه ، ولا أجد منه صمتاً أو غضباً متفجراً ، بل هو يشاركنى فيما أسأل مشاركة الرجل النصف الصريح المطمئن النفس ، وقد نختلف فى الرأى ، ويشتد بيننا الخلاف، ولكنه لايخلف وراءه أنقاضاً تسدّ علينا طريق المستقبل .

يرضى ان يجادلنى

من حسنات زوجى أنه يرضى أن يجادلنى، ولن تجد فتاة لا يرضيها أن تجد زوجها يعدُّ رأيها شيئاً ذا قيمة ، وأنه جدير بأن يبحث وأن ينقض بالحجة ، إلا إذا كانت قد نشأت فى أسرة تهمل فيها آراء الفتيات أو لايقام لها وزن على الإطلاق . أما زوجى فيصغى باهتمام إلى الأسباب التى أبسطها له تأييداً لرأيى بأن الجبال خير مكان تقضى فيه فصل الصيف، ثم أراه يقرع كل حجة بمثلها ، ملتزماً غاية الأدب فى القول ، ويبين لى مواضع الخطأ فى رأيى. وهو يفعل ذلك جادًّا غير مستخف بشيء ، فتكون عنايته هذه برأيى ضرباً من الإطراء يثلج صدرى . حقا إن العيش لسهل مع رجل يعنى بأن يجادل زوجته مجادلة الأديب الأريب حتى يقنعها أو تقنعه.

أسرار طول العمر

ريموند بيرل
أستاذ علم الأحياء فى جامعة جونز هبكنز

مختصرة من مجلة "فوروم"

ليس فى وسع أهل الكهانة أو العلم أن يقدّروا لك طول عمرك أو ما ينبغى أن تبلغه من طول العمر. وجُلُّ ما يستطيعه أهل العلم من هذا الباب، هو أن يعدّوا لك كشوفاً وجداول تبين لك آجال الذين أحصيت أيامهم من الناس، ثم يدعونك تقدر فسحة حياتك. فإذا كنت ممن يتوق إلى أن يُعمَّر سبعين سنة، دلّتك هذه الجداول على أن حظك من تحقيق هذه الأمنية لا يزيد على واحد من ثلاثة. وتدلُّ إحصاءات شركات التأمين على أن ثلاثين فى المئة من الذين يولدون فى الولايات المتحدة يعمَّر حتى يبلغ الثانية والسبعين، وأنّ ١٢ فى المئة منهم وحسب يعمَّر حتى يدرك الثانية والثمانين، وبعد ذلك يهبط احتمال التعمير هبوطاً شديداً، فلا يتخطى الثانية والتسعين سوى واحدٍ أو اثنين فى المئة.

أما التعمير مئة عام فشىء نادر. وليس ثمة أحدٌ استطاع أن يقدم دليلا لا يأتيه الشكّ، على أنه جاوز مئة عام وعشرة أعوام. أمّا ما ذكر عن معمَّرين كالشيخ پار الذى رُوِى أنه أدرك المئة والثانية والخمسين، فشىء يفتقر إلى إثبات.

ظللتُ سنين كثيرة أجمع سجلات وافية عن الذين أدركوا الخامسة والتسعين أو تجاوزوها، فبلغ عددهم ألفين لا ريب فيهم. وقد درست هذه السجلات دراسة دقيقة، فاستطعت أن أرسم صورة مجملة لهؤلاء المعمرين، تتبين فيها مزاياهم البدنية والنفسية.

وأول هذه المزايا وأعظمها شأناً فى طول العمر، كما تبيّنت من سير هؤلاء الشيوخ، هى أن يرث المرء من أسلافه خصائص طول العمر المركبة فى البدن، كما يرث زرقة عينيه أو سواد شعره. فإذا كان أبواك وأجدادك من الذين عُمِّروا، فيغلب أن ترث عنهم، إلى حدٍّ ما، هذه الخاصة الطبيعية. ولنضرب على ذلك مثلا بحالة ب ١٩١،

فالسيدة ب ١٩١ امرأة قوية جاوزت التسعين، وقد مات أبوها فى الثامنة والسبعين من عمره، وماتت أمها فى الحادية والتسعين. وقد رحل جدُّها لأبيها عن هذه الدنيا بعد أن أقام فيها تسعاً وتسعين سنة وستة أشهر، وعمرت جدتها لأبيها حتى الثامنة والسبعين، أما جدتها لأمها فقد عمرت حتى الرابعة والتسعين. غير أن جدها لأمها قضى نحبه بالحمى التيفودية فى الخامسة والثلاثين. وكل امرىء يبلغ مجموع أعمار أبويه وأجداده لأبويه ٤٧٥ عاماً، يجد فى تاريخ أسرته سبباً قويًّا من أسباب طول العمر.

وقد دلت إحصاءات شركات التأمين التى قمنا بها على أن أثر الوراثة فى طول العمر، شىء فى وسعنا أن نقيسه قياساً دقيقاً. خذ مثلا جماعتين من المواليد الذكور، فقد مات آباء جميع الأطفال فى إحدى الجماعتين قبل الخمسين، وعمّر آباء الجماعة الثانية حتى جاوزوا الثمانين. فإذا قارنت بين معدل أجل الجماعتين، وجدت معدل الطائفة الثانية يزيد ٢٢ فى المئة على معدل الجماعة الأولى — أى عشر سنوات أو أكثر على المعدل تضاف إلى حياة كل طفل من أطفال الجماعة الثانية.

ويلى الوراثة فى أسباب طول الحياة، طبيعة مزاج المرء. أفأنت مطبوع على سكينة النفس، لا تلح عليك ثورات الغضب أو يستبد بك الهم أو الغم؟ وعسى أن تكون كذلك، فالرجل المطمئن الراضى أدنى إلى الظفر فى سباق الشيخوخة من الرجل الذى طبع على البرم والهياج والاستسلام إلى القلق والهم.

وتدل الدلائل أيضاً على أن الناس الذين يتجنّبون الرياضة الشاقة العنيفة بعد الأربعين، والذين لا يقومون بأعمال بدنية مرهقة للعضلات، هم أقرب إلى طول العمر من أولئك الذين ضلّوا فجعلوا يرهقون أبدانهم وهم كهول بما لا يقوى عليه غير الشباب.

نسغ للحياة

من المحقق أن ٨٠ فى المئة من الهم الذى يركبك لا نفع منه ولا جدوى، بل هو ضار مؤذ. أن الهم سوس ينخر جذور السعادة. ولو كان فى وسع الناس أن يستأصلوا من حياتهم جميع الهموم السخيفة العقيمة، لكانت حياة كل جماعة من الناس خليقة أن تكون أهنأ وأسعد مما هى، ولكانت وجوههم حرية أن تكون أنضر، وأصواتهم أحفل بالمرح والضحك، ولكان الفردوس جديراً بأن يبسط ظلاله على هذه الحياة الدنيا.

(أرنولد بنيت)

ومن الخرافات الشائعة عن طول العمر، أن القصد فى الغذاء والإقلاع عن شرب الخمر والتدخين، يكفلان للمرء أن يدرك أحسن الشيخوخة. ولكننا لم نجد فى السجلات التى درسناها ما يعزز هذا الوهم الجميل، فقد وجدنا فى كشوف الذين جاوزوا التسعين جماعة من الناس ظلت طول حياتها ممتنعة عن شرب الخمر، معتدلة فيما تصيبه من طعام، ووجدنا أيضاً جماعة أخرى كانت تسرف فى الأكل وشرب الجعة والنبيذ، وكان كثيرون منهم يدخنون السجاير والسيجار والغليون، وكان غيرهم يكره الطباق فى أية صورة كان. وكان بعضهم يعيش فى المدن يستنشق الأبخرة السامة فيها، وكان غيرهم يعيشون فى الريف يستنشقون هواءه النقى العليل. وقد تبين لنا أن هذه الأشياء لم يكن لها أثر يضر أو ينفع فى طول العمر. حقاً إن الإفراط كفيل بأن يحطم أقوى الأجسام، ولكن من الحق أيضاً أن اعتدال المرء فى طعامه ورياضته كل يوم لا يكفل له أن يمضى فى طريق الحياة حتى يدرك الشيخوخة، إن كان جسمه فى تركيبه ووراثته غير كفء لحمل عبء الرحلة. أى أن ما تعمله أنت أهون شأناً وأقل أثراً فى إطالة العمر مما فطرت عليه.

ومن الأشياء التى لاحظناها فى سجلات المعمرين، ندرة الذين أجريت لهم جراحات بين الشيوخ الذين تجاوزوا التسعين، أما الذين أجريت لهم جراحة فقد كانت جراحتهم هينة لا تعد من الجراحات الكبيرة. وليس فى هذه الحقيقة ما يدعو إلى الاستغراب، فهى تعنى أن الذين يعمرون إلى التسعين أو يتجاوزونها، هم فئة من الناس ذوى أبدان قوية، فهى ليست عرضة للعلل التى تقتضى علاجاً بالجراحة. والجراحات الكبيرة هى فى عرف الطب بوجه عام، فرع من فروع الطب يراد به أول ما يراد، تصحيح آفات ركبت فى كيان المرء. ويندر أن تجد فى أبدان الذين عمروا إلى التسعين آفات من هذا القبيل.

وهذا يفضى بنا إلى مفارقة غريبة. فعدد غير يسير من المعمرين الذين توفرنا على دراسة سيرهم، لم يكن مستمتعاً بصحة كاملة فى معظم عمره. وقد قرأنا فى سجلاتهم أنهم كانوا «دائماً معتلين» أو «ضعافاً» أو «بين الصحة والمرض». وما فى هذا عجب، فقد عرف العلماء منذ زمن بعيد، وثبت لهم بشتى الأدلة، أن المرض لا علاقة له بالموت فى عرف علم الأحياء. وقد يعانى المرء كثيراً من المرض يعتريه فى الحين بعد الحين زمناً طويلا، ولكنه مع ذلك يعيش حتى يشيخ.

وإذا جاء أجل المعمرين الذين أدركوا التسعين أو المئة ، فكيف يقضون نحبهم ؟ تدل الأبحاث المستفيضة على أن أمراض القلب تسبب ٢٤ فى المئة من جميع وفيات المعمرين الذين جاوزوا التسعين ، وأن أمراض الشرايين (تصلب الشرايين وغيره) تسبب ١٠ فى المئة من هذه الوفيات ، وأن انهيار جهاز التنفس يسبب ١٢ إلى ١٣ فى المئة منها ، وأن عجز الكليتين عن أداء وظيفتهما يسبب نحو ١٢ فى المئة من وفيات الرجال و ٩ فى المئة من وفيات النساء . وأن انهيار جهاز الهضم يسبب ٧ فى المئة من وفيات الرجال و ٧ فى المئة من وفيات النساء . وفى وسعنا أن نقول إن ثلاثة أرباع هذه الوفيات ، بين الذين أدركوا التسعين إلى المئة ، مردّها إلى أن هذه الأجهزة الأربعة — دورة الدم ، والتنفس ، وطرد الفضلات ، والهضم — قد أصيبت على مرور الأيام بالبِلى .

وفى وسعك أن تختصر موضوع طول العمر كلّه فى هذه الكلمة : إن الناس الذين يتحدّرون من أسلاف طوال العمر ، فيرثون عنهم كياناً قوى البنيان ، شديد المقاومة للعدوى ، يقوم بوظائفه أحسن قيام — هم إلى التعمير أقرب . لقد صنع الطب شيئاً كثيراً ، وسوف يصنع أكثر مما صنع ، ليقى الناس مما يمكن أن نسميه «الموت المبكر» — أى الموت قبل الخمسين من العمر ، ولا سيما الموت من مرض يطرأ على الجسم . ولكن الناس الذين يبلغون أقصى الشيخوخة ، إنما يبلغونها لأن الوراثة والمزاج قد جعلا كيانهم أقدر على مكافحة القوى التى تسبب الموت ، من كيان أقرانهم الذين لم يظفروا بمثل هذا الكيان القوى .

فرق خطير !

فى هوليوود مكتب لمراقبة الأفلام ، أنشأته شركات السينما وخضعت له . ففى أحد الأيام طلب أحد المراقبين موظفاً فى ستوديو شركة معروفة ، وحدثه عن صور فتاة لابسة ثياباً شفافة ، وبعد مناقشة قال المراقب : « إذا كان الثوب يمثل فستان سهرة فلا بأس بالإبقاء على الصورة ، أما إذا كان يمثل قميص نوم ، فلا » .

[والتر ونشل]

[حل المسألة المنشورة فى صفحة ٧٥]

خذ الكوب رقم ٥ وأفرغ ماءه فى الكوب رقم ٢ ، ثم أعده إلى مكانه .

بين الشمس والقمر

إدوين پالمر

مختصرة من مجلة "بوك"

ما أسمعه من أقوال الشيوعيين والذين يتشيّعون لهم ، برأى رجل من سكان جزيرة نائية كان يرى أن القمر أعلى مقاماً من الشمس . فلما سأله زائر مستغرب : ما سبب هـذا التفضيل ؟ قال الرجل : إن القمر أنفع للناس لأنه يشرق على الأكثر فى الليل حين يحتاج الناس إلى ضـياء يقشع الظلام ، أما الشمس فتحرص حرص السخيف على أن تشرق فى النهار ، حين يكون الضياء مضموناً .

وكذلك أصحابنا الذين يتشيّعون للشيوعيين ،فقد ألفوا أن يعيشوا فى ضوء جماعـة حرّة من الناس — دون أن يفهموها — حتى صاروا يعتقدون أن هذا الضوء شيء مضمون وإن زال مصدره . فتراهم لا ينثنون عن رغبتهم فى أن يستبدلوا القمر بالشمس ، ثم يذهلهم أن يروا أنّ الاستبدال قد أسفر عن حلول البرد والظـلام محلّ الدفء والنور . وضوء الشمس يتكوّن من عناصر كثيرة ، وكذلك الجماعـة الحرة من الناس ، ومن أهمها الانتخابات الحرّة ، وحرية الاجتماع والرأى ،والمجلس النيابى الذى يمثل الشعب تمثيلا صادقاً .

وأبناء الأمم الديمقراطية يسمعون عن مساوئ كثيرة فى أممهم ، ولكنهم يسمعون عنها على الأقل ، ويجزمون أمرهم على إصلاحها . قال كارنو منذ سنوات كثيرة : أنت تجد فى الأمة الحرّة كثيراً من التذمُّر والنقد وقليلا من البؤس، أما الدولة المستبدة فتجد فيها قليلا من التذمر ، وكثيراً من البرم والشكوى .

بحّـارٌ
عـلى ظهر جَـوَاد

سيرة الكاتب جاك لندن



مختصرة من كتاب

إرفـنج سـتون

مؤلف كتاب "نهمة الحياة" الذى نشر
مختصره فى المختار مايو ١٩٤٤ بعنوان "النفس المعذبة"

قصة من عجائب القصص ، هى حياة جاك لندن ، الكاتب الروائى والرائد المغامر الذائع الصيت . إن التناقض العنيف فى طباعه ، وجمعه بين العبقرية والجنون فيما يأتيه ، جعلا قصة حياته أغرب من أغرب رواياته .

بحّار على ظهر جواد

في صباح يوم من أوائل شهر يونيو سنة ١٨٧٥ أصبح أهل مدينة سان فرنسسكو فقرأوا قصة مروعة في صحيفة الكرونيكل ، فقد أطلقت سيدة الرصاص على نفسها لأن زوجها « طردها من البيت حين أبت أن تسقط جنينها » . وكانت تلك السيدة هي فلورا ولمان ، وأما الرجل فكان الأستاذ و . ه . تشيني ، المنجم الإرلندي الطوّاف . أما الجنين فقد ولد وعاش فذاع ذكره في أرجاء الأرض باسم جاك لندن ، الذي ارتفع من مهاوي الفاقة فصار مغامراً جريئاً وأشهر كاتب في زمنه .

لم يكن في رواية الكرونيكل سوى قليل من الحقيقة . وعلى أن فلورا ولمان كانت تعاشر الأستاذ تشيني فإنها لم تكن زوجة له ، ولم يدر بخلدها أن تنتحر ، فقد كان حسبها أن تجرح نفسها جرحاً خفيفاً . والرصاصة التي أطلقتها فأحدثت ذلك الجرح ، آذت تشيني أكثر مما آذتها ، فقد قضى الرجل بقية حياته منبوذاً مرذولا ، وما لبث حتى فارق سان فرنسسكو . فكذلك نشأ جاك لندن ولم تقع له على أبيه عين .

ولد هذا الطفل الذي جاء إلى الدنيا من سفاح ، في ١٢ يناير ١٨٧٦ ، وقد ظل اسمه جون تشيني ثمانية أشهر ، ثم تزوجت أمه رجلا اسمه جون لندن ، كان أرملاً وله ابنتان صغيرتان .

وكثيراً ما كان جاك لندن يقول بعد أن اكتملت رجولته إنه لم يستمتع بالطفولة ، فما يذكر منها سوى الضنك والعسر ، بيد أنه كان ينال شيئاً من الحب . نعم إن أمه أهملته ، ولكن إليزا — أكبر أختيه من زوج أمه — عنيت به وعطفت عليه فصار كأنه ابنها . وقد كانت هي في الثامنة ، ولكنها بلغت من حسن الإدراك والثقة بالنفس مالا تعهده فيمن كان في مثل سنها ، فظلت موضع ثقته إلى يوم قبضه الله إليه . وكانت لهم جارة زنجية قد ثكلت ولدها منذ زمن قليل ، فصارت مرضعة لجاك وظئراً وصديقاً صدوقاً له طول حياته .

ومع ذلك فقد عانى جاك في طفولته ضنكا شديداً ، فلما كان في الحادية عشرة من عمره تعطل زوج أمه عن العمل شهوراً متوالية ، فوقع عبء رزق الأسرة على جاك ، فكان يستيقظ قبل أن يسفر الفجر ، وينقل الجرائد إلى بيوت المشتركين ، ثم يذهب إلى المدرسة . فإذا انقضت الدراسة عاد ينقل الصحف إلى دور أخرى . وكان في أيام

السبت يسيّر عربة لنقل الثلج ، ويشتغل فى الليل فى أحد أندية الرياضة ، وقد بلا الحياة عراكاً مع غيره من باعة الصحف ، أو شهد مايدور فى الحانات من شجار بين روّادها ، وألف ما يراه عند أرصفة الميناء من أخلاق البحارة العائدين من الشمال أو البحرين إلى البحار الجنوبية لتهريب الأفيون.

وقد أحب منذ صغره الكتب والبحر ، فكان ينفق كل دقيقة من فراغه فى نادى الزوارق على الميناء ، وكان أصحاب اليخوت من الأغنياء ينفحونه بقليل من المال لقاء تنظيف سفنهم ، وقد علموه كل ما كانوا يعرفونه عن الزوارق الصغيرة . ولما كان مقداماً لايهاب شيئاً ، صار يحب البحر كأنه ولد فيه ، وصار أبرع بحار صغير على تلك الشواطىء الحاتلة .

فلما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، ألفى نفسه مضطراً أن يقطع دراسته ، فظل سنة يعمل فى كنس الحانات وأعمال أخرى على غراره . ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى ظفر بعمل فى مدبغة ، وكان أجره فيها قرشين فى الساعة ، وكان يعمل عشر ساعات كل يوم على الأقل ، وقد تمتد ساعات عمله إلى ثمانى عشرة ساعة أو عشرين ساعة فى اليوم. وكان يقطع الزمن مثقلا متعباً رازحاً لايقوى على مواصلة القراءة فى الليل ، فكان يسأل نفسه : أهذه هى الحياة — أن تعيش كأنك دابة عاملة ؟

كان يتردد على الميناء فى آصال أيام الأحد. فعرف قرصان المحار الذين يسطون على المنابت الخاصة التى يربى فيها ثم يبيعونه على أرصفة الميناء. وقد علم جاك أنهم قلما يجنون من عمل ليلة واحدة أقل من خمسة وعشرين ريالا ، وأن الرجل الذى يملك زورقه يستطيع أن يجنى مئتى ريال فى ليلة واحدة. فلما سمع أحد قدماء القرصان يقول إنه يريد أن يبيع زورقه بمبلغ ثلاثمئة ريال ، حزم جاك أمره على مايريد ، فمضى لساعته إلى مرضعته الزنجية ، وطلب منها أن تقرض ابنها الأبيض مايحتاج إليه من المال. أفترضى أن تفعل ؟ قالت : إن مالى هو مالك يابنى.

وفى يوم الأحد التالى خرج جاك إلى الزورق المعروض للبيع وانضم إلى جماعة تسكر وتعربد عليه ، وعرض أن يشترى الزورق . وفى صباح الاثنين لقى صاحبه فى حانة فدفع المال ، وما كادا يختمان الصفقة بكأس من الوسكى — وهى أول كأس شربها — حتى هرع إلى الميناء فرفع المرساة وخرج بزورقه إلى عرض الخليج ، فقد تحقق حلمه ، وفى وسعه الليلة أن ينام على الماء .

وفى تلك الليلة اشترك جاك فى أول غارة

على منابت المحار ، وقد قبل رجل أسود العارضين من أوغاد الميناء يدعى «العنكبوت» أن يخرج معه فى هـذه الغارة . فلما أسفر الصباح أسرع إلى سوق المحار فى أوكلند فباع ما نهب ، فإذا هو قد كسب فى ليـلة واحدة أكثر مما يكسبه فى المدبغة فى بحر ثلاثة أشهر .

وقد مرّت الأسابيع فصار جاك مشهوراً بين أقرانه من قرصان المحار بشدة البأس والمراس . وقد كان أيضاً فتىً ودوداً ، فكان إذا ما أراد زملاؤه من القرصان أن يعبُّوا الخمر عبًّا — وهذا من دأبهم — لا ينفك يجارى أعتاهم على الشرب ، مع أنه لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة من عمره . بيد أنه كان يذهب فى الفترات بين الغارة والغارة إلى دار الكتب فى مدينة أوكلند ، فيختار طائفة من الكتب ويذهب بها إلى زورقه ، ويوصد باب حجرته حتى لا يدخل عليه أحد من زملائه ، ويستلقى على ظهره يقرؤها كتاباً بعد كتاب .

وقد ظلّ يغير بزورقه ويجنى رزقاً وفيراً ، فردَّ المال الذى اقترضهُ من مرضعته الزنجية وكفل عيش أسرته ، واشـترك فى مئات من المغامرات الرائعة المحفوفة بالخطر . وقد نشب شجار فى أحد الأيام بين قرصان المحار السكارى ، فشجر بينه وبين « العنكبوت » عراك عنيف ، فيومئذ أشعل « العنكبوت » النار فى أكبر شراع فى زورق جاك ، وهجم فريق من خصومه القرصان فأجهزوا على الزورق ثم أغرقوه فى قرار اليمّ .

وسرعان ما تشارك جاك هو وشاب يدعى نلسن فى العشرين من عمره ، وهو شجاع مقدام متين الأسر ، وكانت سفينة نلسن قد أصابها أذى فى ذلك العراك وجنحت إلى الشاطىء وشقت من جنبها ، ولكن الشابين رمّماها وجعلا يغيران بها حيث يطيب لهما ، فكانا يكسبان ١٨٠ ريالا فى الليلة الواحدة ، ولكن شركتهما ما لبثت أن حلت ، لأن نلسن فقد بصره من كثرة الشرب ، وكان جاك يجاريه حتى صارت العربدة تستهوى فؤاده .

بيد أنه كان خلال ذلك كله يتلمس طريقاً يخرجه من حياة العبث والتهور التى ألفها ، وإذا بشىء ليس فى الحسبان يقع له . فقد شرب حتى ثمل ذات ليلة ، فمضى فى الساعة الأولى صباحاً وهو يترنح ليصعد إلى سفينته فوقع فى المـاء ، فحمله ماء الجزر وأبعد به إلى اليابسة . وكانت نفسه منقبضة ، فعزم أن يموت غرقاً ، فهذه الميتة أروع ما تختم به حياته القصيرة الرائعة . فطفا على ظهره فى المـاء تحت السماء الصافية ، ورأى أنوار الميناء تمر به ، فجعل يودع كلاً منها وداع

الراحل الحزين . وسرعان ما نبهه الماء البارد فثاب إليه رشده . فأدرك أنه لا يريد أن يموت ، فنضا ثيابه وأخذ يسبح . فلما أسفر الصبح وجد نفسه قرب جزيرة مار ، وكان منهوك القوى مخدر الأطراف من البرد ، وكانت الريح تدفع ماء البحر فى فمه وخياشيمه ، ثم عثر عليه بحار يونانىّ ، فرفعه من الماء فوجده بَدَناً لا شعور فيه . ومن يومئذ عزم على أن يقلع عن الإغراق فى السكر ، وظل على ذلك سنوات كثيرة .

بيد أنه ظل فتىً يستمتع بما فى الحياة من روعة المغامرة ، وكان إذا خرج بزورقه من خليج سان فرنسسكو عابراً مضيق « الباب الذهبى » الذى يفضى إلى رحاب المحيط الهادىء ، تمرُّ فى مخيلته صور البلاد الشرقية التى من وراء المحيط ، كما تمثّلها من الكتب الكثيرة التى كان يطالعها . وقد صار اليوم فى السابعة عشرة من عمره ضخماً قويًّا شجاعاً ، يريد أن يرى العالم ، ولا وسيلة إلى ذلك إلا السفر بحراً . فاختار سفينة أعدّت لصيد عجول البحر فسافر عليها ، وكانت تتأهب للرحلة ميممة شطر اليابان وكوريا وسيبيريا ، فيقضى رجالها ثلاثة أشهر يصطادون بالحراب عجول البحر .

وكانت هذه السفينة ــ سوفى سذرلند ــ سفينة ذات شراع ، حمولتها ثمانون طنًّا ، وقد بنيت لكى تكون سريعة فى البحر ، وجعلت شُرُعها كثيرة واسعة . وعلى أن جاك لم يخرج قبل ذلك إلى عرض المحيط ، فقد انضم إلى بحارتها المتمرسين ، فساءهم أن يروا هذا الفتى الغرير بينهم مساوياً لهم . فإذا عجز جاك عن أن يثبت لهم أنه أهلٌ حتمًا لعمل البحّار ، فلا مفرَّ لهُ من أن يقاسى سوء معاملتهم مدة سبعة أشهر أو ثمانية أشهر .

فلما كان اليوم الثالث بعد خروج السفينة إلى البحر ، هبّت عاصفة ، وكانت نوبة جاك أن يقوم على عجلة الدفة ، فأمسك بها ، ووقف الربان يرقبه بضع دقائق ، فأومأ برأسه استحساناً لما رأى ، وترك الفتى وشأنه. وقد ظلّ جاك يكافح العاصفة وحده فلم يرَ أحداً من البحارة على متن السفينة ، فلما هدأت العاصفة تبيَّن أن جفاء زملائه له قد هدأ أيضاً .

فلما وصلت السفينة إلى جزائر بونين خرج الأهلون واليابانيون فى زوارقهم إلى لقائها ، فما رآهم جاك حتى أيقن والروعة تملأُ جوانحه ، أنه قد عبر المحيط إلى الجانب الآخر من الأرض ، بعد أن ظلّ هذا العبور كالحلم يراود خياله فى الليل والنهار . فلما نزلوا إلى البرّ سار فى إثر زملائه إلى

الحانات ، وشرب معهم حتى سكر ، وقامر وقامروا حتى سلبوهُ مالهُ ، فكان بينهم كالغِرّ الأحمق .

فلما أثار البحارة قطعان عجول البحر ونفرت على محاذاة ساحل اليابان ، ودفعوها نحو سيبيريا ومضوا فى أثرها ليعكفوا ثلاثة أشهر على قتلها وصيدها وهم يعانون المشاق المضنية ويتعرضون للخطر ، كان ذلك فى نظره مغامرة رائعة . فلما فرغوا جوزى عن عمله بمالٍ غير قليل أنفقه على العربدة فى مدينة يوكوهاما .

فلما عادت السفينة إلى سان فرنسسكو ، مات على سواحلها ما كان فى نفسه من فتنة بالبحر ، فقد آن الأوان فى رأيه حتى يسكن ويستقرّ .

فى سنة ١٨٩٣ نزلت بالبلاد الأمريكية ضائقة مالية شديدة ، فلم يجد جاك عملا يعمله إلا فى مصنع للقنب ، يجزى عنه ريالا لقاء عمل عشر ساعات فى اليوم . وعادت أمه إلى البيت ذات ليلة ومعها نسخة من صحيفة « سان فرنسسكو كول » وحثته على أن يكتب مقالا لمباراة نظمتها تلك الصحيفة ، فأخذ القلم بيده ووصف الإعصار الذى هبّ على السفينة « سوفى سذرلند » وأرسله إلى الصحيفة ، فنال الجائزة الأولى وقدرها ٢٥ ريالاً .

لا يزال مقال « إعصار على ساحل اليابان » مقالا لم تخلق جِدّته ، تقرأه اليوم فتحس بالحياة التى تزخر بين سطوره ، فقد كان فى عبارات هـذا الفتى إيقاع كإيقاع الموسيقى ، مع أنه لم يكد يتم دراسته فى المدرسة الابتدائية .

وبعد أن تولى أعمالا شتى متلاحقة قليلة الأجر قاصمة للظهر ، صار جاك أفاقاً يطوّف فى البلاد الأمريكية راكباً قطارات الشحن . وقد ألقى القبض عليه فى إحدى المدن متهماً بالتشرد ، فحكم عليه بالحبس ثلاثين يوما مع الأشغال الشاقة . فلما عاد إلى سان فرنسسكو عزم على أن يثقف عقله حتى يصير قادراً على ان يعمل بعقله بدلا من أن يعمل بعضله وقوة بدنه .

فلما حزم أمره على ذلك ، أدرك أنه لن ينال السعادة والرضى إلا إذا صار كاتباً يقص القصص التى يزخر بها ذهنه . وقد عزم أيضاً أن يلتحق بجامعة كاليفورنيا ، ولكن هذا يقتضى منه أولا أن يتأهب لدخول الجامعة بالدراسة فى مدرسة ثانوية .

وقد كان فى التاسعة عشرة من عمره يوم التحق بفصل السنة الأولى فى مدرسة أوكلند الثانوية ، وقد دخله فى ثوب كأنه فصِّل لغيره ، لابساً قميصاً من الصوف مفتوحاً عند العنق ، وكان شعره جعداً منفوشاً ، وكان يمضغ الطباق كعادته يوم

كان أفاقاً ، وقد دأب على ذلك لأن عصير الطباق كان يخفف عنه وطأة الآلام التى يحس بها فى تجوات أسنانه . فلما عرضت عليه أخته إليزا ، وكانت قد تزوجت ، أن تنفق على إصلاح أسنانه إذا هو أقلع عن عادة مضغ الطباق ، قبل عرضها غير متردد . ويومئذ أشترى أول فرشة لتنظيف الأسنان .

كان عمر الفتيان والفتيات من حوله يتفاوت بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، وكان معظمهم من الذين لم يذهبوا فى رحلة خارج منطقة سان فرنسسكو ، فكانوا فى نظره أشبه بالأطفال . وقد كان يتمنى أن يكون واحداً من الجماعة التى يدرس معها فى فصل واحد ، ولكنه عجز عن إدراك ما يتمنى . أما رفاقه فقد عجزوا أيضاً عن أن ينفذوا إلى حقيقة هذا الفتى ويفهموها .

وكان فى عطلة الأسبوع يطلب أعمالا شتى : فيحش حشيش الحدائق ، وينفض السجاجيد ، ويتولى نقل الرسائل أو غير ذلك من الأعمال الصغيرة . وكان إذا انصرف الطلبة من المدرسة فى المساء ، بقى هو فيها يكنس الحجر وينظف المراحيض . فازدادت الهوّة اتساعاً بينه وبين رفاقه ، بيد أن المجلة الأدبيــة التى يصدرها الطلبة رحّبت بما يكتبه لها .

ثم انضم جاك إلى الحزب الاشتراكى الذى أنشىء فى أوكلند منذ قريب ، وألقى القبض عليه وهو يخطب فى حديقة المحافظة بغير ترخيص ، فكان ذلك عند كثيرين مؤيداً لما كانوا يرونهُ من أن الشاب ليس نقى الصفحة ، فأوصدت فى وجهه أبواب بيوت كثيرة كانت قد تفتحت أمامه .

فلم انقلب جاك لندن اشتراكياً ؟ لقد نشأ فى الفاقة ، فعضّه الجوع بنابه، وعرف ما هو الحرمان ، ولمس بيديه ما تعـانيه الطبقات المحرومة من الشدائد . وقد تلقى بعض ميله إلى الاشـتراكية من منبته الإرلندى ، فقـد فطر كالإرلنديين على العطف على الفقراء والمساكين ، كما فطر أيضاً على حب الـكفاح . ثم إنه كان يحس أن فى قرارة نفسه ضغينة على العالم كله ، لأنه ابن سفاح . وعلى كل فقـد صارت الاشتراكية فى نظره منطقاً إنسانياً تاريخياً اقتصادياً لا تردّ له حجة كجدول الضرب ، وصار هذا المنطق فى نفسه عقيدة استبدت به طول حياته .

كانت درجة جاك فى السنة الأولى من دراسته بين المتفوقين والأوساط من الطلبة، ولـكنه كان يتعجـل الزمن حتى يلتحق بالجامعة ، فترك المدرسة وأكب على الدراسة فى بيته ، فكان يلازم مكتبه تسع ساعات

كل يوم وهو يدرس الرياضة والكيمياء والتاريخ وأدب اللغة الإنجليزية ، فلما مضت ثلاثة أشهر حتى مضى إلى الجامعة وتقدم لامتحان الالتحاق بها فنجح فيه .

ولكنه لم يكد يقضى بضعة أشهر فى الجامعة حتى أدرك أن طلب العلم فيها جهاد مرير وعبء لا قبل له بحمله . فقد كان زوج أمه عليلاً لا يكسب قرشاً واحداً له أو لأمه فلورا ، فلم يكن لجاك بدّ من أن ينهض بعبء رزقه ورزقهما .

وعلى الرغم من فاقة الأسرة ، عمد جاك إلى آخر سهم يقامر به قبل أن يطلب عملا يعمله بيديه ، فقد عزم على أن يكتب قصصاً ، ما دام قد حزم رأيه على أن يصير كاتباً فى آخر الأمر . فأوصد على نفسه باب حجرته ، وأكب على الكتابة خمس عشرة ساعة يوماً بعد يوم . فلما أعيدت إليه قصصه من رؤساء التحرير الذين رفضوا أن ينشروها ، باع ثيابه بمبالغ ضئيلة من المال ومضى فى الكتابة حتى أنفقت أسرته آخر ريال تملكه ، ونفد الطعام الذى فى البيت ، فخرج يومئذ يطلب عملا ، فوجد عملا فى مغسلة يضمن له طعامه ومكانا ينام فيه ، وأجراً قدره ثلاثون ريالا فى الشهر ، كان يعطيه كاملا لأمه فلورا .

وبعد أسابيع من العمل المضنى أحس أنه علق فى شرك لا مخرج منه ، ولا معين عليه ، فماذا يفعل ؟ وإذا بالقدر يمهد له الطريق ، فقد عثروا على الذهب فى مقاطعة كلوندايك فى الأسكا فى صيف سنة ١٨٩٦ ، فكان جاك فى طليعة الذين رحلوا للبحث عن الذهب ، ولم يثنه عن الذهاب أن أمه وزوجها كانا يعيشان بالأجر الذى يجنيه من المغسلة ، ولا أنه قد صرف وجهه عن الدراسة فى الجامعة وعن الكتابة التى يهواها ، فهذا نداء المغامرة يناديه .

وقد مكنته أخته إليزا من أن يلبى النداء ، فقد ركبت حمى البحث عن الذهب زوجها شبرد الذى جاوز الستين من عمره ، فأخرجت إليزا من المال الذى ادخرته مبلغ خمسمئة ريال وأنفقتها لتعد عدة زوجها وأخيها ، فأبحرا فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٧ .

كانت السفينة أوماتيلا التى أقلتهما غاصة بالرجال الراحلين فى طلب الذهب ، فأقلعت بهم وسارت محاذية الشاطىء حتى ألقت مراسيها فى خليج سكاجواى ، وجعلت الزوارق تنقل المعدنين الذين استهوتهم روعة المغامرة من السفينة إلى ساحل ديا ، فكنت ترى ألوفاً منهم وقوفاً تحيط بهم أمتعتهم ومعداتهم التى تزن ألوفاً من الأطنان ، وهم يلحفون فى مساومة الهنود الحمر على أجر

حملها . وكان الأجر المطلوب ستة قروش إلى ثمانية قروش عن كل رطل ينقل إلى ممر شيلكوت — وهذا أجر فادح يستنفد مال جاك وشبرد عن آخره .

وكان معظم الباحثين عن الذهب عاجزين عن دفع هذه الأجور أو عن حمل أمتعتهم ومعداتهم والسير بها في الدرب الوعر ، فعادوا بالسفينة إلى سان فرنسسكو وقد باءوا بالهزيمة ، وعاد شبرد معهم مخلفاً جاك مع أصدقائه طمسن وجودمن وسلوبر .

كانوا في شهر إبريل ، ولكن الشقة أمامهم كانت طويلة وعرة ، فعليهم أن يعبروا ممر الجبال إلى بحيرة لندمان ، ثم أن يعبروا البحيرة إلى شلال المياه ، ثم أن يهبطوا هذا الشلال وأن يرحلوا بعد ذلك ذلك مئات الأميال في وادى نهر يوكون . فإذا أرادوا أن يبلغوا بلدة دوسن قبل أن يهجم الشتاء ، فإن أمامهم أشهراً كثيرة من العمل المتواصل المضنى .

واشترى جاك زورقاً صغيراً ، فحمله الرجال بالمؤن والزاد وجرّوه جرّاً في نهر ديا مسافة سبعة أميال ضد تيار الماء حتى وصلوا إلى سفح ممر شيلكوت ، وهناك خبأوا المعدات والزاد ، ثم عادوا في الزورق محمولا على عباب النهر ، فملأوه ثانية وجروه سبعة أميال إلى المخبأ . وقد دأبوا على ذلك أسابيع كثيرة فنقلوا مؤونتهم وأمتعتهم التى تزن ٨٠٠٠ رطل إلى سفح الجبل .

وممر شيلكوت وعر كثير الصخور يصعد في جانب الجبل كأنه عمود قائم ، فحمل جاك ما وزنه ١٥٠ رطلا على ظهره وبدأ يصعّد ، وكان طول الدرب ستة أميال ، فكان الرجال الصعدون فيه صفّاً واحداً من أسفله إلى أعلاه . وكنت ترى على جانبيه الشيوخ والضعاف والمنعّمين الذين نهكهم الإعياء . وكانت كل رحلة من أول الدرب إلى آخره تستغرق يوماً كاملا ، فقضى جاك وصحبه تسعين يوماً بتمامها حتى أنجزوا نقل أمتعتهم وزادهم .

فلما بلغوا ساحل بحيرة لندمان ، ارتد فريق آخر من هذه الجماعة المغامرة لأنهم لم يجدوا زوارق ليعبروا البحيرة فيها . أما جاك وصحبه فقد قطعوا الشجر ونشروه بأيديهم ، ثم صنع جاك البحار زورقين مسطحى القعر ، وجعل يخيط القماش ليصنع قلوعاً ، ثم أبحر مع أصدقائه فعبر البحيرة ووصل إلى منابع نهر يوكون ، وهناك جعلوا يتأهبون للمرحلة الأخيرة في سفرهم .

فلما بلغوا « شلالات الجواد الأبيض » وجدوا نحو ألف زورق مرسية على الشاطئين وألوفاً من الرجال وقوفاً حيارى ، وقد سُقِط في أيديهم فلا يدرون ماذا يفعلون ،

فإن كل جماعة حاولت أن تجوز الشلال هبوطاً مع مائة المتدفق ، قد طواها الهلاك .

أما جاك فوقف على مرأى من جماعات الرجال المهللين له ، وجعل يسمر قماش الشراع فوق المؤن التي في الزورق ، وأمر صاحبه سلوبر أن يجثو على ركبتيه في مقدمة الزورق ، وفي يده مجداف ، وأمر طمسن وجودمن أن يقفا في الوسط ، وأن يسرعا في تسيير الزورق ما استطاعا ، وجلس هو في المؤخرة قابضاً على الدفة ، وسار بالزورق مجارياً أقوى تيارات الماء المتدفق فوق الشلال ، فوثبوا به سالمين وأرسوه في ماء ساكن ، وعادوا على أقدامهم ليعبروا الشلال مرة أخرى بزورقهم الثاني .

ولم يكد جاك يفعل ما فعل حتى اشتد إلحاح الناس عليه أن يسير الزوارق الأخرى كما سير زورقه لقاء جعل يدفع له ، فطلب ٢٥ ريالا عن كل زورق ، وأقام بضعة أيام فجمع ألفي ريال له ولصحبه ، ولو أراد لجمعوا خمسة آلاف أخرى ، ولكن شهر سبتمبر كان قد انتصف ، ولا تزال الشقة طويلة أمامهم .

بل إن تأخرهم عند الشلال إلى منتصف سبتمبر كان أطول مما ينبغي ، فلما بلغوا بلدة ستيوارت التي تبعد ٧٥ ميلا عن مدينة دوسن ، نزل الشتاء ، فعصفت العواصف ، ثم سقط الثلج فغطى الأرض بدثار أبيض ، فعجزوا عن المضي ، فاستولوا على كوخ مهجور على ضفة نهر اليوكون ، وأقاموا فيه كالمحاصرين .

وقد سد الثلج الطريق على خمسين من الرجال الباحثين عن الذهب في بلدة ستيوارت ، فكانوا جماعة متآخية على تضارب أخلاقها ، وكان فيها طبيب وقاض وأستاذ ومهندس . وقد كان ذلك الشتاء بهجة كله في عيني جاك ، ففي المخيم كتب كثيرة يطالعها ، ورجال يحدثهم فيثيرون كوامن فكره ، وكان كثيرون من الصيادين والهنود الحمر والمعدنين والباحثين عن الذهب يقطعون المسافات البعيدة طلباً للراحة والدفء في كوخ جاك ، وقد خلد جاك ذكرهم بعد ذلك في قصصه الساحرة عن ألاسكا .

وقد حاول جاك في ذلك الشتاء مرة أن أن يجد الذهب الذي جاء في طلبه ، وقد جعل يبحث عنه مع صاحبه طمسن في الروافد الكثيرة التي تصب في نهر يوكون ، فوجدوه في النهر المسمى هندرسن ، فالماء المتدفع في بعض مجراه ، قد منع الجمد أن يطبق على سطح النهر ، فضربا بمعاولهما ومساحيهما أرض النهر وأخرجا كتلاً من حصى وتراب تبرق فيها شذور لامعة ،

فانهرت أنفاسهما وسجلا حقهما فى هذه الأرض ، وعجلا فى العودة إلى ستيوارت ليذيعا خبر ما وجدا ، وإذا بكل رجل فى المحلة قد خرج ليسجل حقه فى قطعة من الأرض ، وقال طمسن لجاك إن قيمة قطعتهما تبلغ ربع مليون ريال . وأيًّا كانت الأحلام التى راودت خيال جاك عن عودته إلى أوكلند مثقلا بأكياس من الذهب ، فإنها سرعان ما تبددت يوم قال المعدِّنون المتمرسون إن الشذور اللامعة ليست سوى معدن الميكا أو الطلق الشفاف .

فلما تنفس الربيع اشترك جاك ورجل يدعى الدكتور هارفى فى تفكيك الكوخ، ثم شدُّوا أخشابه بعضها إلى بعض وجعلوا منها رَمَثاً طفا على ماء النهر حتى وصل إلى مدينة دوسن ، فباعا الخشب هناك بستمئة ريال .

ألفى جاك مدينة دوسن مخيما كبيراً يسكنه ٣٠ ألفاً من الناس، ويخترقه شارع موحل قامت على جانبيه الحانات والمراقص ، وكان روّاد الحانات يرحبون به ، وكان المعدنون يدعونه إلى الشرب معهم ، ويوفون ثمن الشراب ، لقاء شرف التندر معه ، وكانت النوادر والروايات التى يروونها له أوقع فى نفسه من الشراب الردىء . وكان ينفق لياليه فى بيوت القامرة ، يراقب الناس ويدوّن ما يرى فى مذكراته . وجعل يصغى إلى أحاديث الصيادين والمعدِّنين الذين كانوا فى ألاسكا قبل وجود الذهب فى كلونددايك، فاجتمع لديه أول تاريخ صادق لتلك المنطقة فى أيامها الأولى .

فلما وافى شهر يونيو عاد جاك إلى بلده ، فوصل وهو لا يملك شروى نقير ، ودون أن يخرج من الأرض درهما واحداً من الذهب.ومع ذلك فقد جنى من رحلة البحث عن الذهب مالاً يفوق المال الذى جناه أعظم الباحثين حظا وتوفيقاً .

فلما بلغ جاك مدينة أوكلند عرف أن جون لندن زوج أمه قد مات ، فحزن حزناً شديداً ، لأن الرجل كان قد غمره بحبه ، واليوم أصبح جاك رأس الأسرة ، فأكب على الكتابة لا ينصرف عنها إلا ليعمل أعمالا متفرقة ، وقد استغرق فى قصصه حتى شق عليه أن يصرف بعض عنايته إلى بعض أعماله المجدية كحش الحدائق ، ونفض السجاجيد وما أشبه ذلك ، فعضتهم الفاقة بنابها ، فاضطر جاك أن يرهن دراجته أولا ، ثم ساعته،ثم معطفه الواقى من المطر الذى خلفه له جون لندن ، وكان هو الشىء الوحيد الذى ورثه عنه .

ثم حدث أن تلقى ذات صباح كئيب

ظرفاً مستطيلا رقيقاً من مجلة « أوفرلند منثلى » ، فإذا كان الظرف ينطوى على رسالة تنبئه بأن قصصه عن ألاسكا قد قبلت لتنشر ، فهذا هو وجه الخلاص قد أسفر . وكان قد قرأ أن المجلات تدفع عشرة ريالات مقابل كل ألف كلمة ، وإذن فالقصة من قصصه التى تبلغ كلماتها ٥٠٠٠ كلمة ، تعود عليه بخمسين ريالا . ففتح الظرف بأصابع ترتعد ، فلم يجد فيـه تحويلا مالياً ، وكل ماوجده كان رقعة من ورق تقول إن المجلة تدفع له خمسة ريالات يوم نشر القصـة ، فضربه اليأس .

ولكن يأسه كانت قصير الأجل . ومن أغرب المصادفات فى حياته أنه تلقى فى أصيل ذلك اليوم ظرفاً مستطيلا رقيقاً آخر من مجلة تصدر فى شرق الولايات المتحدة وكان اسمها « بلاك كات » (القطة السوداء) ، وفى الظرف رسالة من المحرر يقول فيها إنهُ أرسل إليه تحويلا بأربعين ريالا .

فلما كان شهر يناير نشرت مجلة « أوڤرلند منثلى » القصة التى قبلتها، فكان لابدّ لجاك من أن يسير أميالا ليقترض ثمن نسخة من المجلة .

وكان « أوڤرلند منثلى » قد عرضت عليه سبعة ريالات ونصف ريال ثمن كل قصة تالية يخصُّها بها ، فأرسل إليها جاك قصتهُ « السكون الأبيض » ، مع أن صاحبها لم يكن قد وفى ثمن القصة الأولى . فقبل المحرر نشرها دون تردد ، وقد صارت بعد من أشهر أقاصيصه .

فلما نفدت آخر كسرة من الخبز من البيت ، اقترض جاك أجر الزورق وذهب إلى مكتب « أوڤرلند منثلى » ، فهاله أن يرى أن المجلة ليست بالمجلة الذائعة الصيت فى أقطار أمريكا كما كان يتصور ، وكان دخلها لا يكاد يقوم بأوَد محررها ومدير إدارتها ، فرحب الرجلان أحسن ترحيب بجاك لندن ، وأثنيا أبلغ ثناء على عبقريته ، ووعدا أن يرسلا إليه بالبريد فى صباح اليوم التالى خمسة ريالات . فلما هدَّدهما جاك بالالتجاء إلى العنف ، أخرجا من جيوبهما قطعاً صغيرةً من النقد بلغ مجموعها خمسة ريالات .

كانت أسرة جاك غارقة فى بحر من الدين، فقتّرت على نفسها حتى تكفيها الريالات الخمسة شهراً كاملا . بيد أنه تلقى فى الأشهر القليلة التالية بضع رسائل متفرقة تنبئه بقبول قصصه للنشر ومعها تحاويل بمبالغ ضئيلة . فلما كان شهر يوليو أدرك جاك منزلة الكاتب المعروف ، فقد نشرت قصصه ومقالاته فى خمس مجلات ، فكان ذلك كالمعجزة فى حياة فتى لم يناهز الثالثـة والعشرين ، ولم يمارس الكتابة حقاً إلا منذ تسعة شهور .

وقبل أن تنتهى سنة ١٨٩٩ أتيحت له الفرصة المرتقبة . كان قد كتب قصة طويلة جعل عنوانها « مغامرة الشمال » ، وتجرأ فأرسلها إلى مجلة « أتلانتيك منثلى » سيدة المجلات الأدبية وأعلاها كعباً وأعسرها منالا على الكتاب . ولو أخذ جاك بما كان مأثوراً عن تلك المجلة ، لكان خليقاً أن ترد إليه قصته مع رسالة فيها شيء من الجفاء ، بيد أنه تلقى رسالة من المحرر أثنى فيها على القصة وعرض أن يشتريها بمئة وعشرين ريالا .

فعانق جاك أمه وحملها وهو يصيح : « أنظرى ، أنظرى يا أماه ! لقد أدركت أمنيتى ، إننا فى طريقنا إلى القمة » .

والحق أنه كان أدنى إلى القمة مما كان يظن أو يتوقع ، فقد عرضت عليه دار النشر « هوتون ومفلين » المشتركة مع مجلة « أتلانتيك منثلى » أن تخرج له فى الربيع كتاباً يضم مجموعة أقاصيصه ، فحمله هذا النجاح على أن يفكر فى الزواج . وكان قد لقى فى مأتم صديق له فتاة حسناء هى « بسى مادرن » وكانت خطيبة الشاب المتوفى . وكانت « بسى » حزينة على فقيدها ، وكان جاك حزيناً على انفصام عروة الحب التى وثقها مع فتاة عرفها فى المدرسة ، إذ كانت أمها تعارض فى زواجهما . وكانت بسى فتاة متعلمة وقد مارست صناعة التدريس ، فما لبثت حتى صارت تراجع أصول القصص التى يكتبها جاك وتقوم أخطاءها ، وكانت تستحسن كتابته وتثق ثقة عمياء بأنه سوف يصير كاتباً من أعظم الكتاب فى العالم . فلما خطبها جاك قبلت من فورها .

كان التوفيق مقدراً لهذا الزواج ، ففى ربيع تلك السنة ، اقتحم جاك عرين مجلة « مكلور » ، مجلة الأقاصيص المشهورة فى ذلك العهد ، إذ قبلت أن تنشر ثلاثاً من أقاصيصه لقاء ثلاثمئة ريال . ولما صدر كتابه « ابن الذئب » ، وهو يضم مجموعة أقاصيصه . تلقاه النقاد بالثناء والحمد ، ويومئذ عرض عليه مكلور صاحب المجلة أن يرسل إليه مئة وخمسة وعشرين ريالا كل شهر خلال خمسة أشهر متوالية ، حتى يعكف على تأليف رواية .

وكانت سفينة حياته تسير رُخاءً يوم أنبأته بسى بأنها حامل ، فعظم فرحه ورضاه ، وكأن الغبطة بأنه سيصير أباً قد قدحت شرراً فى نفسه ، فلم تكد تنقضى خمس ساعات حتى شرع يكتب روايته « ابنة الثلوج » .

ولكن متاعب البيت كانت تحفُّ به وهو يعمل : الحاجة التى لا تنقطع إلى المال ، والشجار الذى لا ينقطع بين فلورا وبسى ،

فقد أبت الأم أن تغفر لكنتها أنها اغتصبت منها منزلتها الأولى فى الأسرة . فلما أشرف على نهاية الرواية أدرك أن التوفيق قد أخطأه فيها، ووافقه مكلور على هذا الرأى والتقدير وقرر أن يمتنع عن نشرها .

ووضعت بسى طفلة تزن تسعة أرطال ، فساء جاك أن الوليد ليس ولداً ، بيد أن حبه للطفلة اشتد على الأيام .

وقد كتب فى سنة ١٩٠٤ : « تبدأ السنة الجديدة ، والهموم وخيبة الآمال تكتنفنى من كل ناحية » . فقد كان دينه يبلغ ثلاثة آلاف ريال ، وكان عاجزاً عن أن يكسب من عمله ما يكفى لنفقة الذين يعتمدون عليه ، وكان غير راض عن عمله وبطء ذيوع اسمه .

بيد أنك لا تجد مسوغاً كان يسوغ له هذا الشعور بالخيبة وعدم الرضى إذا نظرت إلى نجاحه فى ميدان التأليف ، فقد كتب إليه جورج بريت رئيس دار مكميلان للنشر فقال : إن قصصه هى خير ما يكتب فى هذا الضرب من القصص فى طول البلاد وعرضها . فأرسل إليه جاك مجموعة من الأقاصيص عن ألاسكا والهنود الحمر ، فقبلتها دار مكميلان من فورها .

فلما كان الربيع عرضت عليه شركة « الصحافة الأمريكية » أن يسافر إلى جنوب إفريقية ليوافيها بأنباء حرب البوير ، وكان يومئذ لا يزال غارقاً فى الدين، وكانت بسى حاملا أيضاً ، ومع ذلك فقد قبل ما عرض عليه قبل أن تنقضى ساعة .

فلما وصل إنجلترا وجد برقية تنبئه أن الاتفاق قد ألغى ، فألفى نفسه فى لندن على سبعة آلاف ميل من بيته ، ولا مال فى جيبه ولا عمل له . ولكنه كان طوال حياته رجلاً يحسن مطابقة ما تقتضيه الحال ، فعزم أن يستقصى الحياة فى حىّ الفقراء فى شرق لندن، وكان يومئذ جحيماً ليس كمثله جحيم فى العالم الغربى . فلما علم ناشرو كتبه فى أمريكا ما ينوى أن يفعل ، هالهم الأمر ، وقالوا إنه خليق أن يكون عرضة للاغتيال وهو نائم فى سريره . ولكن جاك ذهب إلى دكان يبيع الثياب المستعملة ، واشترى ثياباً خلقة مهلهلة قذرة ، فلبسها وأمّ قلب ذلك الحىّ .

لقد عاد جاك مرة أخرى بحاراً كسائر البحارة خالى الوفاض ، لا أستاذاً باحثاً ينظر إلى أهل الحى من عليائه ، فعدّه القوم واحداً منهم ووثقوا به وتحدثوا معه . وقد أودع ما عرفه عن هذه الأنقاض البشرية فى كتاب جعل عنوانه « أهل الهوة » ، فصار من أشهر ما كتب فى العالم عن المحرومين من البشر

وعاد إلى نيويورك فوصلها فى نوفمبر ومعه فى حقيبته أصول هذا الكتاب ، فقبلت دار مكميلان على الفور أن تخرجه ، ورضى رئيسها برين ، الذى غمر جاك لندن بحبه وعطفه ، أن يدفع له مئة وخمسين ريالا كل شهر مدة سنتين ، على أن يكون له التقديم فى اختيار ما يرتضيه من مؤلفات جاك للنشر .

واجتمع جاك بأسرته فكان اجتماعاً رفّ عليه الفرح والرضى ، ولكن بسى وضعت طفلة ، فخاب رجاؤه فى أن يكون له ابن من صلبه ، وظلت هذه الخيبة تعذبه وتنهش قلبه .

خطر له خاطر جديد هزّه فنفض عنه رداء الكسل ، فكان ذلك الخاطر قصة عن كلب عزم أن يقصها فيما لا يزيد على أربعة آلاف كلمة . فلما انقضت أربعة أيام ألفى نفسه قد كتب أربعة آلاف كلمة ، ولكنه دهش حين تبين أنه لم يكد يبدأ القصة . فعزم أن يجعل عنوانها : « نداء الغاب » وأن يدعها تنمو وتتسع بين يديه كما تشاء ، فليس بين القصص التى عنى بها قصة كهذه ملكت عليه لبه وأذكت خياله . فقضى ثلاثين يوما بتمامها وهو يكتب ولا ينى ، مهملا كل شىء — أسرته وديونه وطفلته الوليدة .

وأرسل جاك القصة إلى مجلة « ستردای إيفننج پوست » فردّ المحرّر عليه برسالة يتفجر منها الثناء ، وبحوالة قيمتها ألف ريال ، وعرض عليه بريت رئيس دار مكميلان ، ألفى ريال أخرى من أجل حقوق نشرها فى كتاب ، على أن ينزل جاك عن حقوق الطبع جميعاً وأن يقبض المبلغ فوراً . فتدبر الأمر فوجد أنه لم يجن من أحد كتبه ألف ريال ، وكان يأخذ حصتهُ على عدد النسخ التى تباع ، وهذه ألفان من الريالات تدفع فوراً ويمكن التصرف فيها ، وبخاصة فى إعداد تلك السفينة « سبراى » التى أخذت بمجامع قلبه ، فقبل ما عرض عليه وباع حقوق الكتاب كلها .

كانت السفينة « سبراى » سفينة صغيرة ذات حجرة تتسع لنوم اثنين ، فاشتراها لا لأنه كان يتوق أن يعود إلى الحياة على صفحة الماء وحسب ، بل لأنه كان ينوى أيضاً أن يكتب رواية بحرية ، فأراد أن يطأ بقدميه متن سفينة قبل أن يشرع فى كتابتها ، وزوّد السفينة بالطعام والأغطية وخرج بها فى رحلة دامت أسبوعاً إلى المياه التى كان يختلف إليها يوم كان واحداً من قراصنة المحار . وعاد بعد أسبوع وقد امتلأت خياشيمه برذاذ الملح ، وأطبقت أنامله على حبال الشراع ، فبدأ يكتب

« ذئب البحر » . وكان إذا ألفى التاعب فى البيت تؤوده أو تقطع عليه عمله ، يعمد إلى السفينة فيخرج بها إلى عرض البحر ، ويكتب كلَّ صباح ما يملأ ثلاث صفحات وهو جالس على ظهرها .

وفى أواخر يونيو استأجرت بسى بيتاً للاصطياف فى مصيف يدعى « جلن إلن » فى وادى القمر ، وأما جاك فأراد أن يمضى فى رحلاته البحرية وأن يحصر اهتمامه فى إنجاز رواية « ذئب البحر » ، فبقى فى البيت الذى استأجراه منذ سنة فى بلدة بيدمونت . وكان ذات ليلة فى عربة على طريق جبلى ، فهوت العربة فى وادٍ عميق ، فأوذى جاك أذىً كبيراً ، فكانت تعوده فتاة تدعى شارميان كتردج وتعنى بتمريضه ، وكان قد لقيها فى نفس الشهر الذى لقى فيه زوجته بسى ، فصارت صديقة لها وكثر ترددها على بيتهما . فلما صار فى وسعه أن ينهض ويمشى ، انضمَّ إلى أسرته فى المصيف . وجاءت شارميان أيضاً لتنزل على عمتها ، فكان لهذا الحادث أثر بليغ فى حياة جاك لندن .

وجد جاك أسرته تعيش عيشة الراحة والاطمئنان فى كوخ قائم فى خميلة معطرة ، وكان الذين خيموا هناك يطبخون طعامهم فى مطبخ مشترك على ضفة النهر ، ويأكلونه على موائد طويلة كالموائد التى تمدُّ فى نزهات الخلاء ، ويسبحون فى ماء النهر البارد الصافى . فكان جاك يلعب مع طفلته كل يوم بعد الغداء ، أما فى الصباح فكان يلتمس مكاناً منعزلاً يكتب فيه . وذات ليلة من أواخر شهر يوليو ، اجتمع الناس المخيمون فى تلك الخميلة ، وانضم إليهم الصغار وهم مدثَّرون حتى لا يضرّ بهم البرد ، لكى يستمعوا إلى جاك لندن يقرأ عليهم قصة « ذئب البحر » . وكان يقرأ من أصوله المخطوطة على ضوء شمعة ، وكان الناس منبطحين على الأرض من حوله وعند قدميه ، وكان الفجر قد أخذ يسفر حين قلب صفحته الأخيرة . ولا يزال الأحياء من الذين استمعوا إليه يقرأ هذه الرواية ، يعدّون ما حدث من أروع ما وقع لهم فى حياتهم .

فلم تكد تنقضى ساعات قليلة حتى حدثت زلزلة مزقت أسرة جاك لندن . وقد روت زوجته القصة فقالت :

« حدث ذات يوم أن بقيت مع جاك قرب الجدول بعد طعام الغداء ، وجعلنا نتجاذب أطراف الحديث . وقد كان يريد أن يعود إلى أوكلند ليقضى فيها أياماً ، لأنه وجد فى حياة المصيف ما يقطعه عن عمله ، وقال إنه يفكر فى شراء مزرعة مواشٍ

فى صحراء كاليفورنيا الجنوبيـة ، وسألنى أأرضى أن أعيش فيها ، فقلت له إننى أرضى . وجعلنا ندبر أمرنا حتى نذهب إليها فى الخريف .

« وفى نحو الساعة الثانية عدت بالطفلين إلى البيت حتى يناما ، وكانت مس كتردج تنتظرنا . فلما فرغنا من الحديث رأيتهما يسيران معاً حتى جاءا إلى مكان فجلسا ، فلم يطف بخيالى شىء ، وقد ظلا جالسين معاً أربع ساعات وهما يتحدثان .

« وفى الساعة السادسة أقبل جاك على البيت وقال : « بسى ، سوف أتركك » . فقلت : « أتعنى أنك عائد إلى بيدمونت ؟ » فقال : « لا . سأتركك ... سننفصل » ، فتهالكت على حافة السرير وحدّقت فيه كالذاهلة زمناً طويلا لا أقوى على الكلام ، ثم قلت له : « ماذا تعنى ... فقد كنت تتحدث منذ هنيهة عن مزرعة فى جنوب كاليفورنيا ... » فجعل جاك يردد قوله إنه سينفصل عنى ، وظللت أنتحب وأنا أقول : « لا أفهم ... ماذا حدث ؟ » ، فأبى أن يضيف إلى قوله كلمة أخرى » .

وما كان أحدٌ يعلم ، ولا بسى على الخصوص ، أن شارميان كتردج قد نفذت إلى شغاف قلبه . ولو كانت بسى ممن تنهش قلبها الغيرة من بعض النساء ، لما كانت شارميان إحداهن ، فقد كانت أكبر من جاك ، وكانت على شىء من الدمامة ، وكانت مضغة فى أفواه كثيرة ، ومنها فم جاك نفسه . ومع ذلك فقد أحس جاك فى أعماق نفسه بقوة مدمرة لا يستطيع دفعها ترغمه على أن يترك زوجته وابنتيه من أجلها .

ولما أصبح الصباح عاد جاك إلى بيدمونت ونقل أمتعته من البيت واستأجر غرفة ، فلم تكد تنقضى أيام حتى عرفت الصحف بما كان من انفصال الزوجين ، ونشرت الخبر فى صفحاتها الأولى بحروف كبيرة .

وقد ظلت صلة جاك بشارميان خلال السنتين التاليتين ، أميل إلى الحذر والتستر . وقد كان الحبيبان يجتمعان خفية مرة أو مرتين فى الأسبوع ، خشية الفضيحة التى لا مفرّ منها لو عرف سبب انفصال جاك عن زوجته . فإذا ما حالت الظروف دون اجتماعهما تبادلا سيلاً من الرسائل ينفّسان فيها عما يعتلج فى قلوبهما .

وعلى أن شارميان لم تكن فتاة حسناء — فقد كانت رقيقة الشفتين ضيقة العينين متهدلة الجفنين — فإنها اصطنعت لنفسها مظهر الشجاعة وقلة المبالاة ، إذ اضطرت بعد وفاة أبيها أن تكسب رزقها بنفسها ، فتدربت حتى صارت سكرتيرة بارعة ، يوم كانت الفتاة العاملة شيئاً غير مألوف . وكانت

واسعة الاطلاع على الأدب ، جريئة الفكر لا تتقيد بالعرف ، وكانت تحب الموسيقى ، وتحسن الغناء بعض الشيء ، وقد أخذت نفسها بنظام حازم ، على الرغم من أنها كانت تعمل ستة أيام فى الأسبوع ، فتعلمت العزف على البيان حتى صارت تجيده . وكانت فتاة لا تكاد ترهب شيئاً .

وكانت شارميان مقتنعة بأن زوجة جاك لا تصلح له ، وأنها تستطيع أن تكون هى الزوجة التى يحتاج إليها ، زوجة تشاركه فى رحلاته ومغامراته ، لا زوجة تلزم البيت مقيدة بنظامه .

وقد عسر على بسى أن تدرك لماذا أحب زوجها أن يهجرها على حين فجأة ، ولكن كبرياءها منعتها أن تتشبث به أو أن تخرج عن طورها أمامه أو أمام الناس . ولما نزلت بها هذه البلية لم تجد صديقاً يواسيها سوى أمه فلورا . وقبل ذلك ظلت فلورا وبسى ثلاث سنوات متلاحقة وهما تتشاجران حتى ضاق جاك ذرعاً بهما ، أما الآن فقد انقلبت الأم على ابنها لأنه هجر زوجته وابنتيه. وأحنق جاك ما رآه من « خيانة » أمه ، فاضطربت نفسه اضطراباً عنيفاً حتى تعذر عليه أن يعمل ، وقد ظل على هذه الحال يائسا من إنجاز روايته « ذئب البحر » حتى خرج فى رحلة على سفينته سبراى .

فى أثناء ذلك أقبل القراء على روايته « نداء الغاب » التى ظفرت بثناء النقاد ، إقبالا عظيما ، ولو كان احتفظ بحقوق الطبع ، لبلغ ما يجنيه من النسخ التى بيعت مئة ألف ريال . ولكن جاك لم يؤسفه أنه عقد الصفقة التى عقدها مع بريت ، فقد أنفق هذا الرجل مالا كثيراً فى الترويج لاسم جاك ، وقد كان جاك يدرك قيمة ذلك الترويج فى مستقبل أيامه .

كان جاك قد أرسل إلى بريت النصف الأول من رواية « ذئب البحر » ، فعرضها على مجلة « سنشورى » ووصى بها أبلغ توصية ، فقبل محررها أن ينشرها مسلسلة فى مجلته ، وأن يدفع أربعة آلاف ريال لقاء حقوق النشر المتسلسل ، فابتهج جاك أعظم ابتهاج وعقد الصفقة بالتلغراف . وأكب على عمله وقد تجدد نشاطه ، وحصر ذهنه فيه ، فأنجز الرواية فى ثلاثين يوما كان فيها كالمحموم .

فلما نشبت الحرب بين روسيا واليابان فى سنة ١٩٠٤ عرضت عليه خمس من شركات الأنباء أن يكون مراسلا حربياً لها ، فاتفق مع الشركة التى عرضت عليه أكبر أجر ، وهى شركة هرست ، وقضى عدة شهور فى ميادين القتال . وقد حاولت

الحكومة اليابانية أن تمنع المراسلين من مشاهدة القتال الدائر ، فقنع فريق من المراسلين الذين لم يطبعوا على الإقدام والمغامرة، أن يقيموا فى طوكيو طوال الحرب . أما جاك فاستجاب لداعي العزيمة والإقدام فى طباعه ، واستأجر زورقاً يابانياً ، وعبر به البحر الأصفر معرضاً نفسه لأخطار كثيرة ، حتى يكون على مقربة من القتال الدائر . وقد فاق جميع المراسلين فى عدد الرسائل التى بعث بها إلى شركته ، ونال قصب السبق فى نقل حوادث كثيرة خطيرة، فصار اسمه أذيع كثيراً مما كان .

فلما عاد لقى على رصيف الميناء محضراً من المحكمة أبلغه طلب الطلاق الذى قدمته زوجته بسى .

فأتت عليه بعد ذلك فترة عانى فيها شقاء النفس وعقم العقل ، فقد أشقاه أنه خسر ابنتيه ، وأنه آذى زوجته بسى ، وأن عقله قد جمد ، فلا يخطر له خاطر جديد رائع ولايستهويه مشروع من المشروعات .

ولكن الترحيب العظيم الذى لقيه كتاب « ذئب البحر » ، وهو كتابه العاشر فى أربع سنوات ، كان بدء مرحلة جديدة إلى ذروة مجده . فقد صار الكتاب حديث الناس بين عشية وضحاها ، ولهجت الألسن نذكره مدحاً وذمًّا . وقد وصفته طائفة من الصحف بأنه وحشى تشمئز منه النفوس، ولكن الكثرة من الصحف اتفقت على أنه نتاج « عبقرية مبتكرة نادرة » . فلم تكد تنقضى ثلاثة أسابيع على صدوره حتى كان فى طليعة الكتب الرائجة .

وقد كسب جاك لندن فى حياته القصيرة مليون ريال أو أكثر ، ولكنه كان ينفق ماله قبل أن يصير بين يديه ، ثم يجهد نفسه فى التمهيد للظفر به . وقد كان يقول : « ربَّاه ! سأظلُّ عبداً لعادة تبذير المال » .

وكان إلى شهرته فى تأليف الروايات محاضراً مشهوراً ، يكسب مئات من الريالات فى اليوم حين يطوّف ليحاضر . وكانت الجماهير تحبُّ فيه رجولته القوية وإخلاصه وحماسته فى معالجة موضوعات الإصلاح الاجتماعى ، وبسمته الفاتنة، وضحكته الرنانة.

وكان يحاضر فى بلد يبعد عن سان فرنسسكو يوم جاءه النبأ بأن الحكم قد صدر بطلاق بسى منه ، فأبرق من فوره إلى شارميان حتى تلحق به ، وتزوّجا . فلما صدرت صحف الصباح الثانى وصفت هذه المبادرة إلى الزواج بقولها « عَجَلة منافية للذوق » . وقد كانت الصحف تؤازره وتعطف عليه ، فانقلبت عليه بعد زواجه الثانى وصارت تصبُّ عليه جام سخطها ، وسخريتها أيضاً . ولو قنع بأن يهدأ بضعة

أشهر قبل أن يتزوّج شارميان ، لاجتنب هذه الفضيحة ، ولما عرّض نفسه للتهجم عليه من كل ناحية .

جاء شهر فبراير سنة ١٩٠٦ فكان يحاضر فى مدينة سانت بول فأصيب بمرض ، فألغى بقية المحاضرات وعاد إلى بيته فى « جلن إلن » ، وكانت نفسه قد شبعت من المدن والجماهير فتاق إلى الرحلة فى البحر ، وصار يحدث زوجته عن رحلة حول العالم . وقد كانت هذه الرحلة مُنية حياته وحياتها ، فقد كانت شارميان تجاريه فى حب المغامرة وتحثه عليها. فشرع من فوره يدبر خطـة لرحلة حافلة بضروب من روعة المغامرة ، تصغر بإزائها كلّ مغامرة سابقة فى حياته .

وقد كتب جاك بضع رسائل إلى محرّرى المجلات الكبيرة فى الشرق الأمريكى عسى أن يقنعهم بأن يحملوا معـه بعض نفقات الرحلة . قال : « يبلغ طول السفينة ٤٥ قدماً ، وأنوى أن أقلع فى أكتوبر ، والرحـلة تستغرق سبع سنوات على الأقل » .

كان خليج سان فرنسسكو يعجُّ بسفن كثيرة تصلح لركوب البحر، وكان يستطيع أن يبتاع إحداها بثمن معقول ، ولكنه أبى أن يسير أية سفينة إلا سفينة يرتضيها هو. وكان فى مدينة سان فرنسسكو مهندسون قد تفوقوا فى تصميم السفن وبنائها، ولكنه أبى أيضاً إلا أن يرحل فى سفينة قد صنعت طبقاً لمثال تخيله فى ذهنه .

وكان روسـكو إيمز ، خال شارميان ، قد تولى تسـيير زوارق صغيرة فى مياه سان فرنسسكو يوم كان من أهل الترف ، فاتفق معه جاك على أن يأخذ التصميم إلى الأحواض وأن يشرف على صنع السـفينة الجديدة « سنارك » . وقد فعل جاك ذلك مع أنه كان يعرف أن روسكو رجل لا يصلح لعمل ، وأن تجربته البحرية ضئيلة لا تغنى ، وكان جاك قد قدّر أن بناء هـذه السفينة يكلفه سبعة آلاف ريال ، فقال لروسكو : « أنفق هذا المال كله فى بنائها ، واحرص على أن تكون أمتن سفينة على الماء » .

فابتاع روسكو المواد اللازمة ، واتفق مع العمال واستأجر مكاناً فى حوض الصنعة ، ثم حدث زلزال سان فرنسسكو وتابعتهُ النار الحاصدة ، فالتهمت مواد البناء ، وأعقب ذلك شلل حلّ بتجارة المدينة وصناعتها ، فمضت أسـابيع كثيرة دون عمل يذكر فى السفينة ، ولم يشرعوا فى بنائها إلا فى شهر يونيو .

فلما انتصف الصيف ألفى جاك نفسه قد أنفق على السفينة عشرة آلاف ريال ، وهى كلُّ ما فى يديه من المال ، بيد أنها لا تزال

فى أولها . وأخذت ردود المحررين الذين كتب إليهم فى فبراير تتوالى عليه ، ولم يجد بينهم من عُنى بمشروعه .

وفى أول أكتوبر — وهو اليوم الذى كان قد عينه ليقلع بسفينته — وجد أنه قد أنفق عليها خمسة عشر ألف ريال ، ولكنها لا تزال فى منتصف الطريق إلى التمام . وأدرك جاك يومئذ أنه أخطأ خطأ فادحاً يوم اعتمد على روسكو إيمز ، وبلغ منه اليأس أنه صار يشرف بنفسه على بناء السفينة حتى تمّ . وأخذت الصحف تنشر مقطوعات ساخرة تندّد فيها بتلكؤ جاك لندن ، وجعل أصدقاؤه يتراهنون معه على إرجاء موعد سفره مرة بعد مرة .

وعلى أن جاك قد أدرك أن روسكو إيمز رجل لا كفاية فيه ، فإنه لم يبادر إلى طرده والاتفاق مع ربّان مجرّب ، بل قنع بأن يدفع له المال حتى يتعلم الملاحة ، وردّ جميع البحّارة المجرّبين الذين عرضوا عليه أن ينضموا إليه ، فاكتفى بأن يضم إليه فى جماعة السفينة زوجته شارميان، وروسكو إيمز ، ومارتن جونسن الذى صار فيما بعد مستكشفاً مشهوراً فى إفريقية ، وطالب جامعة اسمه هربرت ستولتز ليكون بمنزلة المهندس ، وخادماً يابانياً . وما كان أحد منهم، سوى جاك ، يعرف كيف ينشر شراعاً .

وقد أبى الناس أن ينظروا إلى السفينة سنارك نظرة الجدّ والاهتمام ، ولا سيّما الرجال الذين ضمّهم جاك إليها . ورآها البحارة المجربون فقالوا بفساد تصميمها وبنائها ، وبأنها ستغرق فى لُجج اليمّ .

وأدرك جاك أنه لن يتمكن من أن ينجز بناء السفينة فى سان فرنسسكو ، فعزم أن يبحر بها إلى هنولولو فى جزائر هوائى فيتمها هناك . فلما حاول العمال أن ينزلوها عن أعوادها انهارت الأعواد وهوت السفينة، وسبق مؤخرها مقدمها فى السقوط فارتطم فى الوحل .

فلما حسب جاك حسابه تبين أنه قد أنفق خمسة وعشرين ألف ريال على هذه السفينة المشلولة ، فأشار عليه أصدق أصدقائه بأن يسلّم بالهزيمة ، وقالوا إن سفره فيها إذا استطاع أن يبحر بها ، كفعل من يبحث عن حتفه بظلفه . فقال : « لا أستطيع أن أتراجع » . وتعاونت الأيدى فأخرجت السفينة من الوحل وأنزلت فى الماء، وأرسيت قرب رصيف فتمّ ترميمها فى حال من الفوضى تجلّ عن الوصف ، وزوّدت بالطعام وحمّلت بأمتعة جماعتها .

وقد اصطلحت المصائب على جاك ، فسرق ماله، وسخر منه الناس وعدّوه رجلا أحمق لا رجاء فيه ؛ ولكنه مع ذلك رفع مرساته

فى ٢٢ إبريل ١٩٠٧ وأقلع ، فمضت السفينة متثاقلة وعبرت الخليج إلى البوّابة الذهبية ومنها إلى عرض المحيط الهادىء ، فكان ذلك كالمعجزة : فملاّحها لا يعرف الملاحة ، ومهندسها لا يحسن الهندسة ، بل إن طباخها لا يعرف الطبخ .

وعلى أن انسياق جاك مع خياله وعواطفه كان أصل بلائه ، فقد زاد هذا البلاء جشع الرجال الذين من حوله . فلم تكد تمضى أيام على خروج السفينة إلى عرض المحيط حتى بدأ الماء يتسرب من شقوق بين ألواح الخشب على ظهرها فتلف الزاد ، ثم بدأ يتسرب من جانبها . أما الحجر التى كلفه بناؤها مبلغاً طائلاً من المال لتكون عصيّةً على نفاذ الماء ، فقد صار الماء يتسرّب من إحداها إلى الأخرى . وأما الأدوات التى ركبت فى غرفة الحمّام فقد تلفت فى بحر عشرين ساعة .

ولم يتبين جاك إلا بعد أيام ، أن روسكو لم يتعلم شيئاً من الملاحة يوم كان يدفع له مالا ليتعلمها ، وأن السفينة التى أخذ الماء يتسرب إليها قد ضلت فى عرض المحيط . فأخرج جاك كتب الملاحة وأكب على دراستها ، ثم رسم الخرائط برصد الشمس . وقد كتب فيما بعد : « إن الاهتداء فى الملاحة بالشمس والقمر والنجوم قد صار شيئاً هيناً بفضل علماء الرياضة والفلك » وقد مكنته قدرته العجيبة على حصر الذهن من أن يحذق المعرفة اللازمة للتغلب على هذه العقبة — الملاحة الصحيحة .

فلما هاج البحر وعلت أمواجه ، لم ينفع السفينة سنارك حيزومها البديع الذى أنفق عليه جاك شيئاً كثيراً من همه وماله ، بل كان خطراً محققاً لأنه يحول دون إدارة السفينة حتى تواجه الريح حين تشتد العاصفة . وكان ترنح السفينة فى البحر المائج كافياً لينزل الدوار بمارتن جونسن والخادم اليابانى ، فصار جاك مضطراً أن يضيف إلى مهامه الكثيرة الشاقة محاولة طبخ الطعام وهو واقف فى حجرة يرتفع فيها الماء إلى الركبتين ، ولكنه حاول عبثاً . وكانت شارميان تتولى الدفة فى الحين بعد الحين ، أما روسكو فكان قد اشترى قبل الرحيل طعاما محفوظاً بمئات من الريالات على حساب جاك وخزنه وأقام فى غرفته يأكله ، وأنبأ جاك أنه لا يستطيع عملاً لأنه مصاب بالإمساك .

ففى هذا الخطر الذى كان يحدق بهم ، والفوضى الشائعة فى السفينة وهى مهددة بالغرق كل يوم ، كان جاك ينتحى مكاناً على ظهر السفينة ، وشرع يكتب روايته « مارتن إيدن » ، ولعلها أجود رواياته ومن أعظم الروايات الأمريكية . وأنت ترى اليوم الصحائف التى سوّدها جاك بحبره ، فلا ترى

فيها تنقيحاً يذكر ، فهى تدلُّ على قدرته الهائلة على تنظيم العمل وحصر الذهن حين يؤلف .

بعد رحلة دامت سبعة وعشرين يوما ، رأى ركاب السفينة المنكودة الطالع قمة جبل هاليا كالا الذاهبة عشرة آلاف قدم فى الجو ، فاغتبط جاك أيما اغتباط بدقة حسابه . وفى صباح اليوم التالى دخلوا برل هاربر ، فأقبل زورق من نادى اليخوت لاستقبالهم ، وجاءهم بصحف وبرقيات من أمريكا ، وفيها أن السفينة سنارك قد غرقت .

وقد قضوا خمسة أسابيع على شاطىء هونولولو ، أكبَّ فيها جاك كالمحموم على كتابة المقالات التى يرجو أن تجدى عليه مالا قد اشتدت حاجته إليه . وقد ظلَّ اثنى عشر يوما لا يدنو من سفينته ، فلما ذهب إليها بعد ذلك وجد أن أحداً من رجالها لم يعن بتنظيف سطحها ، وأن كثيراً من أشيائها قد بدأ يتلف تحت الشمس الحارقة ، فطرد روسكو إيمز والمهندس هربرت ستولتز وأعادهما إلى كاليفورنيا .

ثم بعث من فوره ليجىء برجل يدعى جين فنلون ليتولى عمل مهندس السفينة ، وقد ذكرت الصحف فى معرض السخرية أن « فنلون تدرَّب على الملاحة يوم كان مصارعا فى ملهىً » . وقد جاء وقضى بضعة أشهر وهو يحاول أن يصلح السفينة ، ثم عاد إلى كاليفورنيا وهى أسوأ حالا مما كانت قبل مجيئه .

بيد أن جاك وشارميان كانا يستمتعان فى أثناء ذلك بضيافة أهل هوائى وكرمهم ، فقد رحبوا بهما فى كل مكان واحتفوا بهما . وكان كل يوم يسفر عن مغامرة جديدة رائعة ، فقد صادا السمك على ضوء المصباح الكهربائى مع الأمير كالامانولى ، وشهدا الحفلات التى أقامها أهل الجزيرة ، وسبحا فى مياه البحر الدافىء تحت ضياء القمر .

وفى منتصف شهر أكتوبر أقلع جاك ميمماً شطر جزائر ماركيز ، وكان معه فى هذه الرحلة من رحلته ربان هولندى مجرب . ولم يجد بين الذين ضمهم إليه فى سان فرنسسكو رجلا كفؤاً للمغامرة سوى مارتن جونسن الفارع الطول الوضىء الوجه . وكانت شارميان أيضاً قد أقامت الدليل على كفايتها ونفعها فى هذه الجماعة ، فهي جريئة القلب واسعة الحيلة ، مطمئنة النفس إذا ساءت الحال ، أنيسة المحضر إذا حسنت .

وبعد أن مضت أيام على إبحارهم ، فتح جاك كتاب الملاحة فى جنوب المحيط الهادى فقرأ فيه أنه لا يوجد فى التاريخ المدوّن ذكر سفينة شراعية واحدة استطاعت أن تعبر

من جزائر هوائى إلى جزائر ماركيز ، فتيارات المحيط عند خط الاستواء ومهابّ الرياح التجارية ، تجعل ذلك فى نظر البحّارة أمراً مستحيلا . فنجاتهم من كارثة تحل بهم يكاد يكون من المعجزات .

وقد هبّت رياح شديدة هدّدت السفينة الصغيرة بأن تحطمها كأنهـا عود ثقاب ، فظلوا ستين يوماً لم يروا فيها ذات شراع أو دخان ، وقد اندلق نصف الماء العذب المحمول فى السفينة ، فلم ينجهم من الموت ظمأً سوى مطرٍ هطل عليهم رحمة من الله . وكان جاك كالشابّ الذى يعيش فى نشوة دائمة ، يرسم الطريق للسفينة فى مجاهل المحيط ، ويصيد الدلفين والقرش ، ويكتب كل يوم ألف كلمـة فى روايته « مارتن إيدن » . وبعـد أن قضوا شهرين كاملين فى البحر يحفّ بهم خطر دائم ، وصلوا إلى ثغر نوكوهيفا فى جزائر ماركيز .

•

قضوا فى تلك الجزائر اثنى عشر يوماً كلها رائع ، صاد جاك فى أثنائها العنز البرّى ، وشهد حفلات الأهلين ومراقصهم ومآدبهم ، ثم رفع مرساته وأبحر إلى جزيرة تاهيتى . فلما بلغها علم أن الناس فى أمريكا كانوا قد قطعوا الأمل مرة أخرى من نجاة السفينة ، وقد نشرت صحف كثيرة مقالات تعرب فيها عن أسفها الصادق على فقد كاتب شابٍّ موهوب . أما الصحف الأخرى فقد زعمت أنه يوهم بأنه قد ضاع حتى يتوسـل بذلك إلى الإعلان وذيوع الذكر .

وجد فى تاهيتى طائفة من الرسائل أرسلت إليه من أمريكا فطالعها ، فتبين أن شئونه قد اضطربت اضطراباً فظيعاً بعـد غياب لم يدم سوى ثمانية أشهر . فقد رسخ فى ذهن مدير مصرف أوكلند أنه قد مات ، فحجز على بيت أمه فلورا لقاء مال الرهن . وكان قد صرف شـيكات فى هوائى مجموع قيمتها ٨٠٠ ريال ، فردّها المصرف لأن « ماله فى المصرف دون الكفاية » ، فضجت الصحف بهذا الخبر . وقد كان كل ذلك من جراء تبذير مسز روسكو إيمز وسوء تدبيرها ، وكان جاك قد جعلها وكيلا عنه قبل الرحلة وفوض إليها أموره . فعزم جاك أن يعود إلى أمريكا فى أول سفينة حتى يسوّى أموره

فلما نزل إلى البر فى سان فرنسسكو نشرت الصحف بحروف ضخمة نبأ وصوله وسخرت منه سخرية لاذعة ، فلما قال لأحدهم إنه ينوى أن يعود بالسفينة التى جاء بها إلى تاهيتى بعد أسبوع ، حاول أصـدقاؤه أن يثنوه عن عزمه وحثوه على أن يبقى فى أمريكا مادام قد أقام الدليل على قدرته أن يقوم برحلة كهذه الرحلة ، ولكنه لم يعرهم التفاتاً .

وقد عني في هذا الأسبوع القصير المزدحم بإرسال برقية إلى ناشرى كتبه ، يطلب منهم مالاً مقدماً على حساب روايته «مارتن إيدن» التي كاد يفرغ منها ، ورفع الحجز عن بيت أمه ، وسدد المتأخر من الفائدة على ثمن المزرعة ، واتفق مع طائفة من المجلات على مقالات يكتبها عن رحلته ، ودبر أموراً أخرى خاصة بنشر كتبه .

فلما عاد إلى تاهيتي في إبريل أبحر في سفينته سنارك إلى جزائر فيجى، فبلغ عاصمتها سوفا في يونيو ، بعد أن توقف في الطريق غير مرة . فنزل الربان الهولندى إلى البر ولم يعد ، فصار جاك منذ ذلك اليوم ربان السفينة أيضاً ، وجعل يطوف فيها بين جزائر سليمان ، وعاش حينا بعد حين على مزارع في الأدغال عيشة أقرب ما تكون إلى الفطرة والتوحش والتجول في نواحى الأرض . فلما كان في مالايتا كمن له أكلة لحوم البشر وهجموا عليه ، وسددوا إليه نبالاً مسمومة ، واعتدت عليه قبائل من السكان وهم يتصايحون ، فكتب عن أيامه هذه فقال : « إنها أمتع أيام في حياتى » .

كانت أمراض المنطقة الحارة تحف به من كل جانب. فأحال سفينته إلي مستشفى، وقد تعرض رجاله لضروب الأذى ، فإذا جرحت ساق أحدهم وهو يربط قاربه على الشاطىء ، أو وهو يمشى في الأدغال ، تكونت قرحة لا تلبث حتى تصبح قرحاً عديدة ، فإذا كل قرحة منها في حجم الريال من الفضة . ولما كانوا في جزائر سليمان أصيب رجال السفينة جميعاً بالملاريا ، وكثيراً ما كانت القشعريرة والحمى تركب خمسة منهم مرة واحدة ، فيترك أمر تسيير السفينة لسادسهم ، ساء الجو أو سكن . وبعد أن توالت نوبات الملاريا على جاك أشهراً كثيرة، صار يقضى نصف وقته تقريباً وهو طريح الفراش ، ومع ذلك كان يستمتع بهذه المتاعب لأنه كان يتخيل أنها بعض ما ينبغى أن يمنى به الرواد والمستكشفون من المشاق . وكان يحب أن يصف نفسه بوصف الطبيب الهاوى ، فكان يخلع أضراسه ويداوى قروح شارميان ومارتن جونسن بالسليمانى ، ويضع بيده أقراص الكينا في حلق الخادم ، فقد أصيب هذا اليابانى بحمى البول الأسود وسلم أمره إلى ربه على أنه ميت لا محالة .

لم ينصرف جاك خلال ذلك كله عن زيارة الجزائر التي يرسى في مياهها كلما أتيح له ذلك، وكان يدون مذكرات وافية، ويصور الصور ، ويجمع أشياء القبائل : من خشب منحوت ورماح وأقمشة ، لينشىء بها في بيته متحفاً للبحار الجنوبية . وكان لا يثنيه

عن كتابة القدر المقرر كل يوم سوى إصابته بنوبة الملاريا .

فلما وافى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨ ذهبت عنه روعة القيام بدور طبيب من الهواة ، فقد بدأت يداه تتورمان من إصابته بالاستسقاء ، فكان يجهد نفسه جهداً أليماً حتى يطبقهما ، ثم أخذ جلده يتقشر طبقة بعد طبقة حتى تقشرت ست طبقات ، فكان ذلك عذاباً فظيعاً . وقد عجزت المخاطر والمشاق عن تثبيط همته ، وكانت سخرية الناس وخوف الإفلاس حافزاً لها . أما المرض فقد غلبه على أمره . فلما اصطلح عليه العجز والألم، أبحر فى سفينة مسافرة إلى أستراليا ودخل مستشفى فى مدينة سدنى ، فتحير الأطباء فى مرضه ، فليس له ذكر فى تاريخ الطب .

فلما تبين أن علاج الأطباء لا يجديه شيئاً فى المستشفى، قضى الأشهر الخمسة التالية متنقلا بين فنادق سدنى عسى أن يتاح له علاج يمكنهُ من أن يعود إلى سفينته سنارك. وكان عاجزاً عن الكتابة ، بل كان الألم يبرّح به حتى ليعجز عن القراءة . وأخيراً أدرك أنه إذا لم يعد إلى وطنه ، فإن عظامه تدفن فى البلاد الحارّة . فبتّ رأيه وعرض السفينة سنارك للبيع ، فبيعت بثلاثة آلاف ريال .

عاد جاك إلى سان فرنسسكو بعد سنتين أو أكثر من التطواف ، فقال للصحفيين : « لقد بلغ منى الإعياء فعدت إلى الوطن حتى أصيب قسطاً وافراً من الراحة » . وكان يومئذ ينوء بعبءٍ باهظٍ من الدين ، وكانت صحتهُ قد نهكت ، وظنّ محررو الصحف والمجلات أنّ معينه قد نضب ، إذ مضت سنة لم يروا فيها من آثار قلمه شيئاً يذكر .

ولكنهُ لم يكد يعود إلى وطنه حتى تحسنت صحته تحسناً سريعا ، فلما وقع على كتاب عنوانهُ : « أثر ضوء المناطق الاستوائية فى الرجال البيض »، وعرف منه أن ما أصيب به من داءٍ حيّر أفهام الأطباء ليس مخوفاً، وأنه يرجع إلى الأشعة التى فوق البنفسجية فى ضوء الشمس فى البلاد الاستوائية وأثرها المؤذى فى جلده ، تمّ له البرء يوم زال القلق الذى استبدّ بنفسه .

فأقبل جادًّا على إصلاح أموره ، وكان المحرّرون والنقاد يزعمون أنه أفرغ ما فى جعبته ، ولكن جاك كان يعلم أنه لم يكد يمسُّ القصص التى يتوق إلى كتابتها ، فشرع يؤلف رواية « الضوء المحرق » ، وهى قصة عن كلونادايك وسان فرنسسكو تصوّرها على نحو غريب . وكتب أقاصيص يكثر فيها الحوار وتحرّك النفس ، وجعل

مسرح حوادثها على ساحل إرلندة . وباع أفضل أقصوصة كتبها عن اللاكة إلى مجلة « سترداى إيفننج بوست » وكان عنوانها « قطعة لحم » ، فاتفقت معه هذه المجلة على أن يكتب لها اثنتى عشرة أقصوصة فى السنة التالية. فلما صدرت روايته « الضوء المحرق » راجت رواجاً عظيما فاسترد مكانته الأولى .

فلما قام الدليل فى نفسه على أنه لم يفقد شيئاً من قدرته ، وعلم أن زوجته شارميان حامل ، انصرف إلى تحقيق أمنية ما زالت تساوره طوال حياته ، فبدأ يبنى بيتاً أراده لكى يقضى فيه بقية أيامه ، واختار له مكاناً رائعاً فى وادٍ فى « ڤِهل رانش » تحيط به بواسق الأشجار والكروم والبساتين والغابات . وعزم أن يبنى فى هذا البيت حجرة تتسع لكتبه التى يبلغ عددها أربعة آلاف مجلد ، وللتحف الكثيرة التى عاد بها من ألاسكا والبحار الجنوبية . وعزم أيضاً أن ينشىء فيه حجرة واسعة للبليار ولعب الورق، وأخرى للموسيقى إرضاءً لشارميان، وغرفة للأكل تتسع لخمسين ضيفاً .

وقد سمى هذا البيت « بيت الذئب » وأراده أن يكون أجمل بيت فى أمريكا ، فاستعان بالمهندسين ، وقضى شهوراً حافلة بالرضى وهو يقلب النظر فى الرسوم، وأخيراً قر رأيه على أن يكون البيت ذا ثلاث وعشرين غرفة . ثم وجد بنّاءً إيطالياً ممتازاً يدعى فورنى، وأمره أن يبنى بيتاً يبقى على الدهر.

وفى ربيع سنة ١٩١٠ دعا إليه أخته إليزا بعد انفصالها عن زوجها لتسكن معه ، فأحسن فيما فعل ، وعهد إليها أن تشرف على العناية بمزارعه . ولم يكد يفعل حتى أضاف عبئاً جديداً إلى هذا العبء الذى ألقاه على كاهلها ، فاشترى قطعة أرض من الكروم مساحتها ٨٠٠ فدان .

وفى ١٩ يونيو وضعت شارميان طفلة ، فعاشت ثلاثة أيام وحسب ، فساوره حزن لا سلوان منه ، وصار يعتقد أنه سيموت دون أن يرزقه الله بولد يبقى ذكره ، فأحس أن النبع الذى فى صدره قد غاض ، برغم أربعة وعشرين كتاباً خلفها ذرية تخلد ذكره .

ولم تكد شارميان تتماثل حتى ذهبا فى نزهة بحرية دأب فيها على التأليف وتسيير السفينة كعادته ، وكانا يصيدان السمك ويعدانه لطعام العشاء . وقد مرت شهور الصيف على هذا المنوال ، فاندملت الجراح التى خلفها فقد الوليدة فى نفسهما . وكان يظفر بأعظم رضى النفس يوم يمتطى جواده ويعبر الحقول إلى « بيت الذئب » ليشرف على سير العمل فيه يوماً بعد يوم ، ويقضى ساعات فى محادثة فورنى والعمال

وكان الشوق يلح عليه أحياناً فى أن ينصرف عن العمـل الرتيب الذى ألفه ، فكان يشد أربعة جياد إلى عربته ، ويربط أجراساً خاصة بأطواقها ، ويمضى ينهب الأرض نهباً على الطريق التَّرِب المنحدر إلى بيته فى « جلن إلن » ، ثم يمضى إلى أقرب حانة فيدعو من فيهـا إلى الشرب معه ، كما كان يفعل يوم كان بحاراً . ولا يكاد يشرب بضع كؤوس حتى ينتقل منها إلى حانة أخرى ، فلا يرخى الليل سدوله حتى يكون قد شرب ملء إبريق من الوسكى ، وتحدث مع مئة من الناس .

ومن هنا نشأت فى ذهنه فكرة كتـابه «جون بارلى كورن» الذى ظفر له بشهرة لا تجارى ، وحمل النقاد فى الوقت نفسه على سلقه بألسنة حـداد . وهذه الرواية تتضمَّـن شيئاً كثيراً من ترجمـة حياته . فقرأها ملايين من الناس ، واستخرج الوعاظ منها عبرة خلقيـة يقاومون بها معاقرة الخمر ، وقالت الجماعات المنظمة لمقاومة الحـانات والخمور أنها تنطق عن آرائهم . وصُنع منها فلم سينمائى ، فعرض تجار الخمور ومقطروها مبلغاً ضخماً من المال ليمنعوا عرضه . وقد رسم جاك فى هذه الرواية صورة غَلبته على السكر ، ولكن الناس الذين قرأوها صاروا يرونه سكيراً مدمناً . فلما سُنَّ قانون تحريم الخمر فى أمريكا سـنة ١٩١٩ كانت هذه الرواية قد مهَّدت له الطريق .

كان جاك قد أنفق حتى شهر أغسطس ١٩١٣ ثمانين ألف ريال على تشييد «بيت الذئب» الذى أوشك أن يتم ، وعين يوم ١٨ أغسطس لرفع الأنقـاض المتخلفة عن البناء من حوله ، وفى صباح اليوم التالى يشرع العمال فى نقل أمتعة جاك وشارميان إلى البيت الجديد . وفى تلك الليلة استيقظ البناء فورنى على صياح فلاح : « فورنى ، بيت الذئب يحترق» . فلم تنقض دقائق حتى أقبل جاك يعدو مبهور النفس ، ووقف على التل الصغير حيث جلس من قبل مع العمال يغنِّى ويشرب الخمر ، فلم يكن فى وسعه أن يصنع شيئاً سوى أن يقف هناك ويدع الدموع تنحدر على خـدَّيه ، وهو يرى الدمار يحيق بأعزِّ أمانيه عليه .

وقد أُلصقت تهمة إشعال النار بغير واحد من الناس ، وكان هو موقناً بأن النـار لم تشب قضاء وقدراً ، ولكنه لم ينطق فى تلك الليلة الفاجعـة سوى مرتين . فلما كانت شعاليل النار على أشدها قال همساً : « أوثر أن أكون الرجل الذى أشعلت النـار فى بيته ، ولا أكون الرجل الذى أشعلهـا » . فلما أسفر الصبح كان البيت

الذى شُيِّد ليبقى على الدهر قد صار كالهيكل الخاوى ، فقال بصوت هادىء : « فورنى ، غداً نبدأ فى البناء ثانية » .

ولكنه لم يجدّد بناء بيت الذئب ، فالنار التى أكلت البيت فى تلك الليلة قضت قضاء الأبد على الجذوة التى فى قلبه .

كان دينه يبلغ يومئذ مئة ألف ريال ، فلما فكّر فى المؤلفات التى ينبغى أن يؤلفها لكى يجنى منها ذلك المبلغ الضخم ، أحسّ بشىء كأن صخرة جاثمة على صدره .

ومع ذلك فقد أدرك جاك فى سنة ١٩١٣ ذروة مجده الأدبى ، فقد نشرت المجلات أربعاً من رواياته مسلسلة فيها ، وأخرجت دار النشر أربعاً أخرى فى كتب . وكان بينها روايتاه العظيمتان « جون بارلى كورن » و « وادى القمر » ، فصار يعد بين أقرانه قوة من قوى الطبيعة ، لا مؤلفاً من البشر وحسب .

ولكن صحته أخذت تضعف وتسوء ، وهذا العقل الذى أخرج واحداً وأربعين كتاباً فى أربع عشرة سنة ، قد أخذ يكل . ولقد كان فى حياته قادراً أن يحتمل الخمر التى يشربها ، إذا استثنينا أيام حداثته يوم كان من قرصان البحار . أما اليوم وقد تغيرت الحال ، فقد دفعه المرض إلى السكر ، فزاد السكر من علته .

وفى فبراير ١٩١٥ رحل مع شارميان إلى جزائر هوائى ليقضيا بقية الشتاء ، فأعانه الدفء وضوء الشمس والسباحة وركوب الجياد على أن يستردّ قسطا من العافية ، فشرع يؤلف رواية جديدة ، فأتمها فى الصيف وعاد إلى بيته فى جلين ألن . فاشتدت عليه علة اليوريميا ، ولكنه أبى أن يكف عن الشرب ، وحصر عمله فى كتابة رواية خفيفة للسنما عنوانها « ثلاثة قلوب » ، كان قد تعاقد على كتابتها لقاء خمسة وعشرين ألف ريال . فكان يكتب ألف كلمة كل يوم من غير مشقة وهو راض عن هذا العمل الذى لا يكلفه جهداً فكرياً شاقاً .

لقد كانت الكتابة عنده كالدم السارى فى عروقه ، فصارت اليوم سماً قاتلا . فلما أنجز قصة « ثلاثة قلوب » كتب يقول : « إن إنجاز هذه القصة عندى بمنزلة عيد . فقد أتممت اليوم السنة الأربعين من عمرى ، والكتاب الخمسين من كتبى ، والسنة السادسة عشرة منذ بدأت أكتب » .

وكان الناس ، إلاّ أخته إلزا ، يجهلون أن جاك كان معذب النفس لأنه كان يخشى أن يجنّ . فقد بلغ الكلال من عقله كل مبلغ ، ولكنه كان مندفعاً إلى أن يكتب كل يوم ، فكان يخشى أن يفضى هذا العبء

إلى انهيار عقله ، وقد توسل إلى إلزا مرة بعد مرة قائلا : « إلزا أسألك بالله إذا أنا أصبت بالجنون،فلا تبعثى بى إلى المارستان » .

وفى يناير سنة ١٩١٦ شـد رحاله مع شارميان إلى هوائى ، بعد أن جرب تجربة فى زراعة البساتين النموذجية فأخفقت وكلفته مالاً كثيراً ، ولـكن هوائى لم تبرىء فى هذه المرة لابدنه ولا عقله . فلما عاد عجز معظم أصدقائه عن أن يعرفوه ، فقد أصبح سميناً ، منتفخ الوجه ، خابى نور العينين ، كاسف البال ، يبرح به الألم .

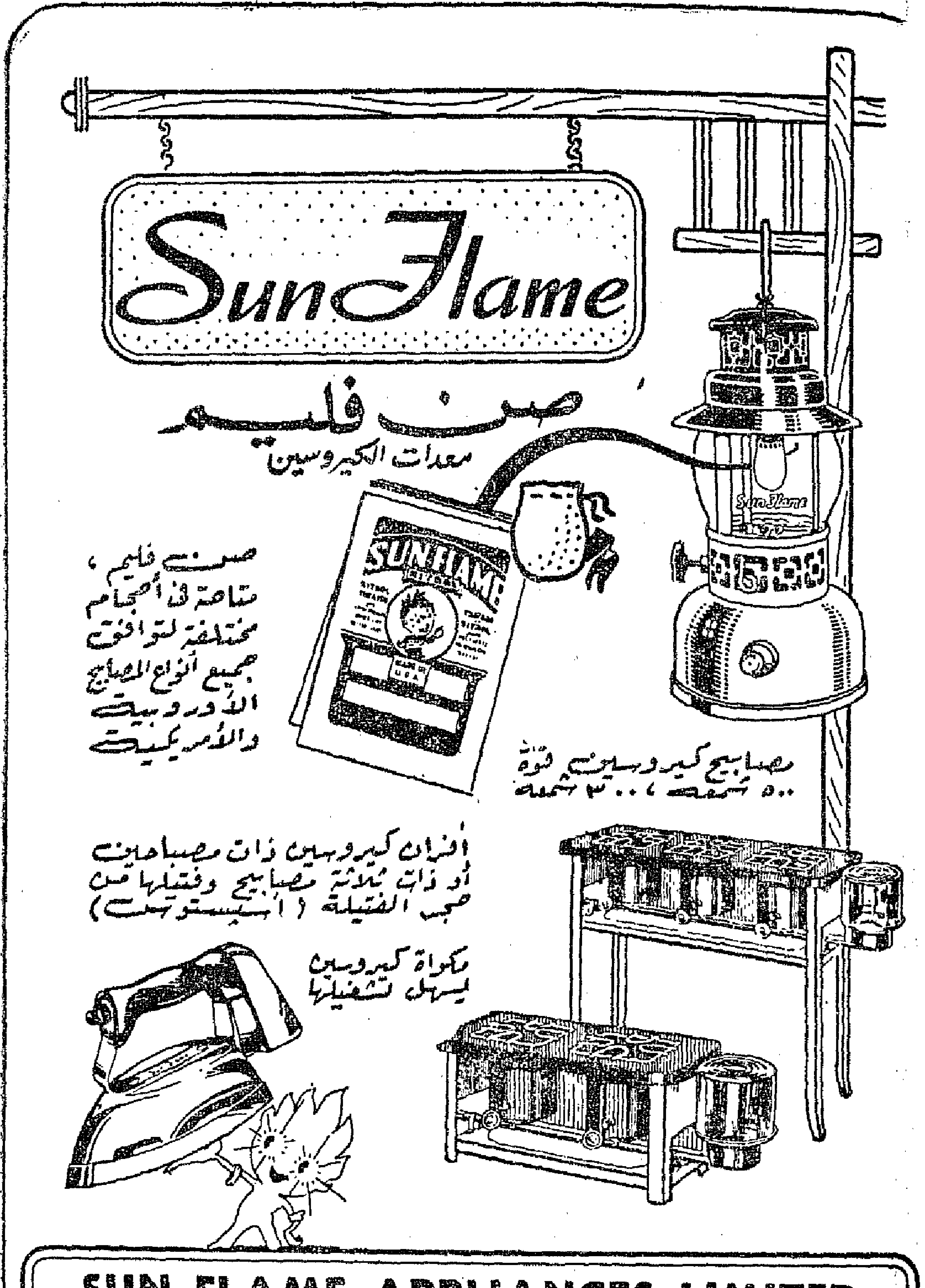
فلما قالت له إلزا : « ياجاك ليس فى الدنيا كلها رجل يقاسى من الوحشة ماتقاسيه ، فلقد عجزت عن أن تنال الأشياء التى تمناها قلبك » ، قال لها : « كيف عرفت بربك؟ »

ولـكن النار اتقدت قليلا فى البدن الخابى ، فكتب جاك أقصوصتين من أحسن أقاصيصه مرتداً بهما وفيهما إلى أيام المغامرة المجيدة فى شبابه .

وفى يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر ١٩١٦ ، أتم تدبير أمره حتى يسافر فى اليوم التالى إلى نيويورك ، ثم تحدث حديثاً هادئاً مع إلزا ، ثم هم بأن يأوى إلى فراشه ، فمشت معه فى البهو الطويل الذى يفضى إلى مكتبه وتركته هناك وأوت إلى مخدعها .

وفى الصباح جاء خادمه اليابانى إلى إلزا والرعب بادٍ على أساريره ، فهرعت إلى الشرفة التى ينام فيها جاك ، فألفت أخاها فاقد الوعى ، ووجدت على الأرض زجاجتين صغيرتين ، وعلى المائدة دفتراً عليه أرقام ـ أرقام تدل على المقدار المميت من المورفين الذى تجرعه .

ومات جاك فى تلك الليلة ، فحزن العالم لموته . وقد أفسحت صحف أوربة لموته مكاناً أوسع مما أفسحت لنبأ وفاة الإمبراطور فرنسوا جوزيف النمسوى الذى توفى قبله بيوم واحد . أما حزن أمريكا فتراه متجلياً فى صورة سيدة رفعت صحيفة بيديها ثم صاحت بجماعة مرحة من الفتيات والفتيان : « كفوا عن الضحك، لقدمات جاك لندن » .


SunFlame
صن فليم
معدات الكيروسين
SUNFLAME
صن فليم ، متاحة في أحجام مختلفة لتوافق جميع أنواع المصابيح الأوروبية والأمريكية
مصابيح كيروسين قوة ٥٠٠ شمعة ، ٣٠٠ شمعة
أفران كيروسين ذات مصباحين أو ذات ثلاثة مصابيح وفتيلها من صنف الفتيلة (اسبستوس)
مكواة كيروسين ليسهل تشغيلها



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تكفلها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر متاجر الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد

أكوا ڤلڤا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مُبَرِّد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

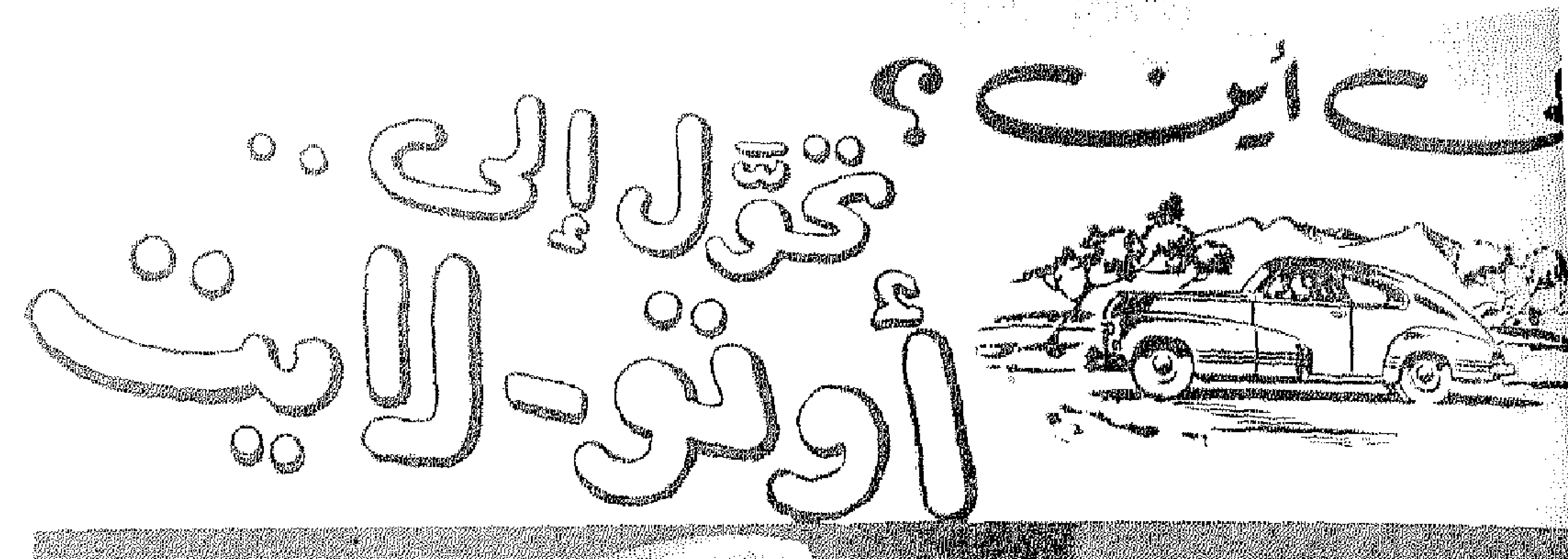
كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية الندية ، اقتصادى للغاية ، يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., **GLASTONBURY, CONN., U.S.A.**

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة



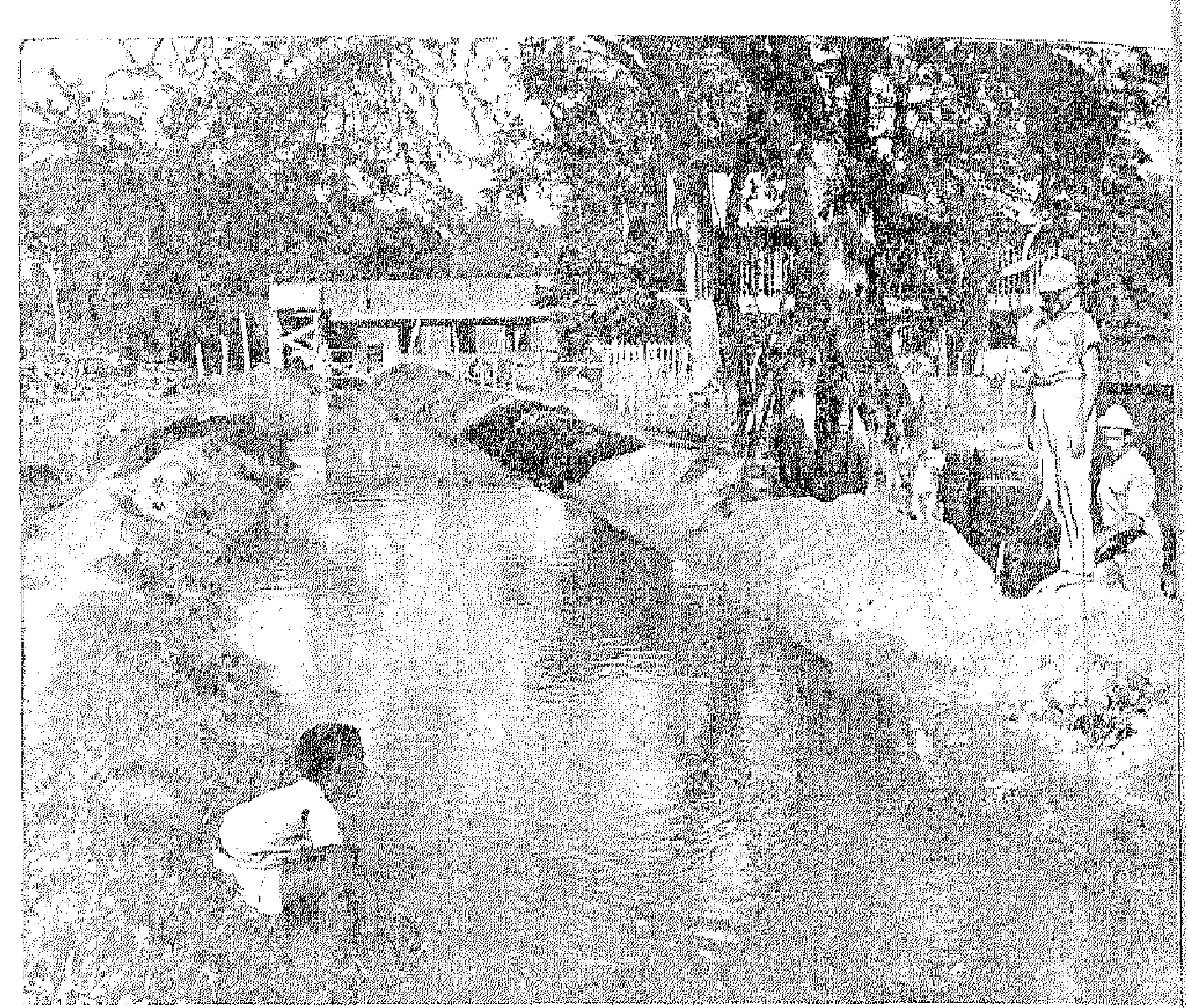


ركّب مجموعة من شموع احتراق « أوتو ـ لايت » التي صممت خاصة لجهاز الإشعال ، فترى شعلة حياة جديدة تتقد في محركك المجهد وقد صممها رجال يصممون نظم الإشعال الكاملة لأشهر السيارات إن شموع احتراق « أوتو ـ لايت » تعين سيارتك على قيام أسرع ، وعلى أداء أعظم وعلى اقتصاد في الوقود . تحوّل إلى « أوتو ـ لايت » ، وأطلب معداتها الكهربائية للسيارات .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division, Chrysler Building, New York, 17, N.Y., U.S.A.

AUTO-LITE شموع

بطاريات . أسلاك . أجهزة للقيام . مولدات



الماء الذي يهب الحياة

إن الماء المنساب انسياباً هادئاً في ترع الري، هو الحد الفاصل بين الأرض المجدبة التي لاتنتج، والأرض الخصبة التي تنتج محاصيل وافرة .

فالظفر بهذا الماء الذي يهب الحياة تجد مئات من الزراع في أمريكا اللاتينية ، يعتمدون على محركات « كاتربيلر ديزل » ، وسبب اعتمادهم عليها أن هذه الماكينات المتينة قد بنيت حتى تزود صاحبها بالقوى تزويداً ثابتاً ، يوماً بعد يوم ، وأسبوعا بعد أسبوع ، دون توقف .

والصورة التي تراها فوق هذا الكلام ، صورة مزرعة موز من مزارع شركة جرينادا في جمهورية سانتو دومينجو ، حيث تجد محرك « كاتربيلر ديزل » يدفع ٣٥٠٠ جالون ماء في الدقيقة ، ٢٤ ساعة في اليوم . وأنت تجد اسم « كاتربيلر » في العالم أجمع رمزاً للقوة الثابتة الاقتصادية المضمونة .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

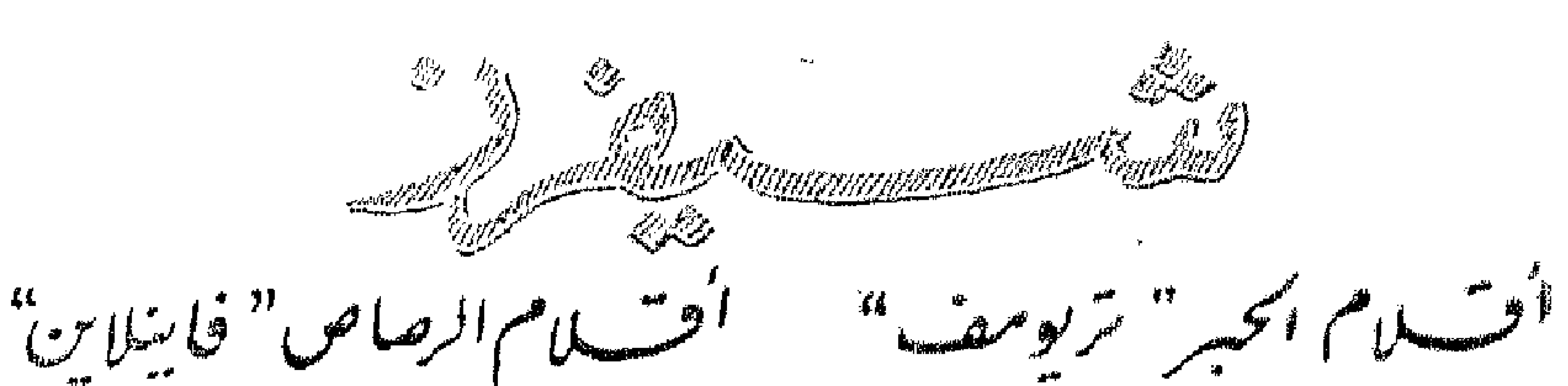
محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

"تريومف" ڤاليانت

القلم الممتاز لرجل الأحلام

كلمة إلى الزوجات لاغنى عنها

سيدتي . . . إليك أكمل هدية إلى رجل أحلامك — قلم شيفرز « تريومف » ڤاليانت ! إنهُ قلم كبير متين . ولكنهُ أيضاً رشيق دقيق الاتزان . إن سنهُ الأسطوانية المصنوعة من ذهب عيار ١٤ قيراطاً (لايف تايم پوينت) أمتن وأنعم وأبقى على الزمن ! إن قلم شيفرز « تريومف » ڤاليانت ، هو قلم الوقار وجمال الشكل ، قلم الأداء الكامل الذي لم تصنع أداة للكتابة تضارعه من قبل W. A. Sheaffer Pen Co., Ft. Madison, Ia., U.S.A.



أقلام الحبر "تريومف" أقلام الرصاص "فاينلاين"

السن الجديدة

لايف تايم

مضمونة للعمر بلا تحفظ ، لذمة أول من يشترى القلم ، والإصلاح مجاناً إذا أرسلت إلى مصنع شيفرز

طرف أقلام الرصاص

فاينلاين

يقلل من تقصف الرصاص

فاينلاين


مع إطارات
چنرال
... مسافة أطول
... أمن أتم
... قيمة أعظم

.. حتى يفوق الكمال الذي تدركه غداً
الكمال الذي أدركته اليوم



علماء في المعامل

تضم شركة « سويفت » الضخمة معامل حديثة للأبحاث ، حيث تجد جماعة من أحذق العلماء يقفون وقتهم ومجهودهم على البحث الدائب المستمر حتى يبلغوا بالجودة ، التي تفاخر بها « سويفت » بحق ، حد الكمال .

وفي هذه المعامل ، تجد كل شيء من الملح العادي إلى الماء الذي يستعمل في غسل الذبائح ، يحلل أحكم تحليل وأدقه .

فهذا البحث الذي بلغ أعلى مراتب التخصص والضبط ، يتولاه علماء وقفوا عليه علمهم ووقتهم ، ويتم في معامل كأنها دار لأحدث ما عرفه رجال الطب الشرعي من أساليب ووسائل علمية ، فيها تتحول الميكرسكوبات وأنابيب الاختبار إلى شهود لا مطعن في شهادتها ، إذ تجتمع فيه الأدلة التي تنتهي إلى الحكم النهائي :

"نقي نقاءً تاماً"

وسويفت يضمن ما اشتهر به من الجودة التي لا تفوقها جودة ، ببحثه الدائم الذي لا ينقطع لرفع المستوى العالي الذي بلغه اليوم .

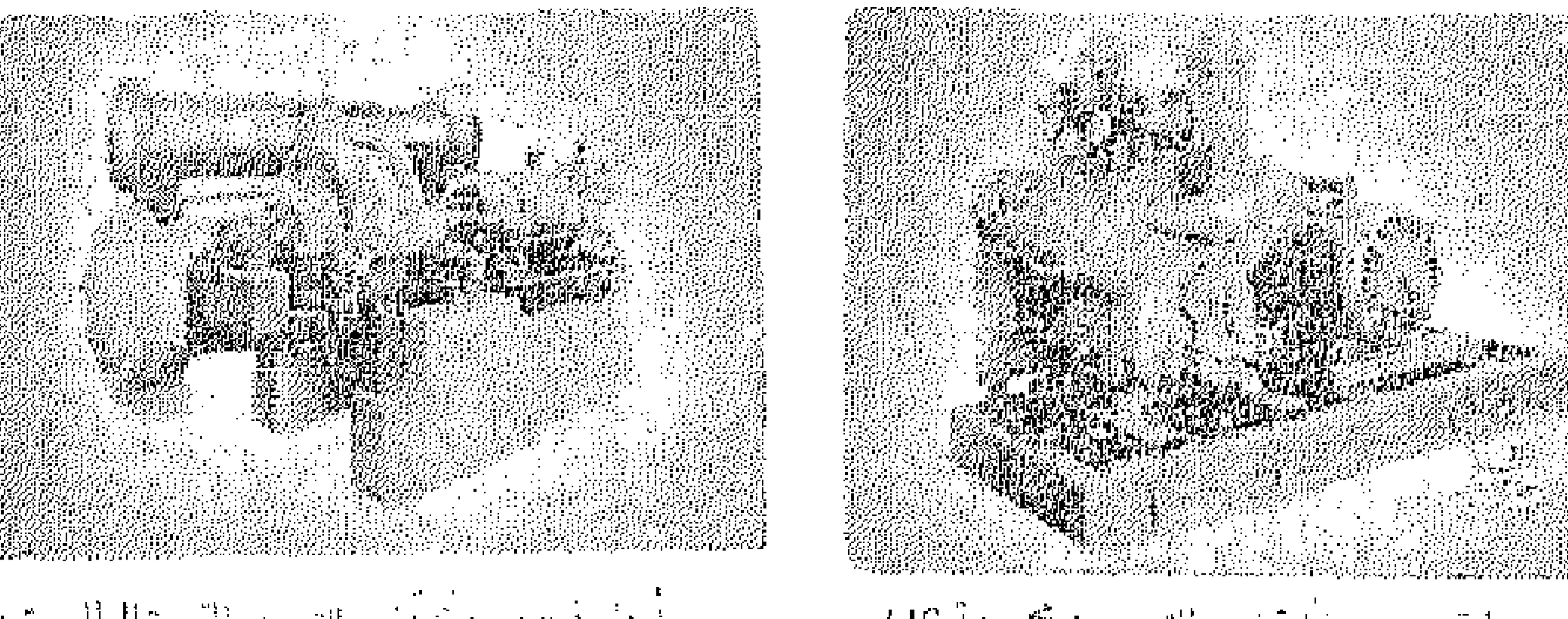
COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 · Buenos Aires · Rep. Argentina

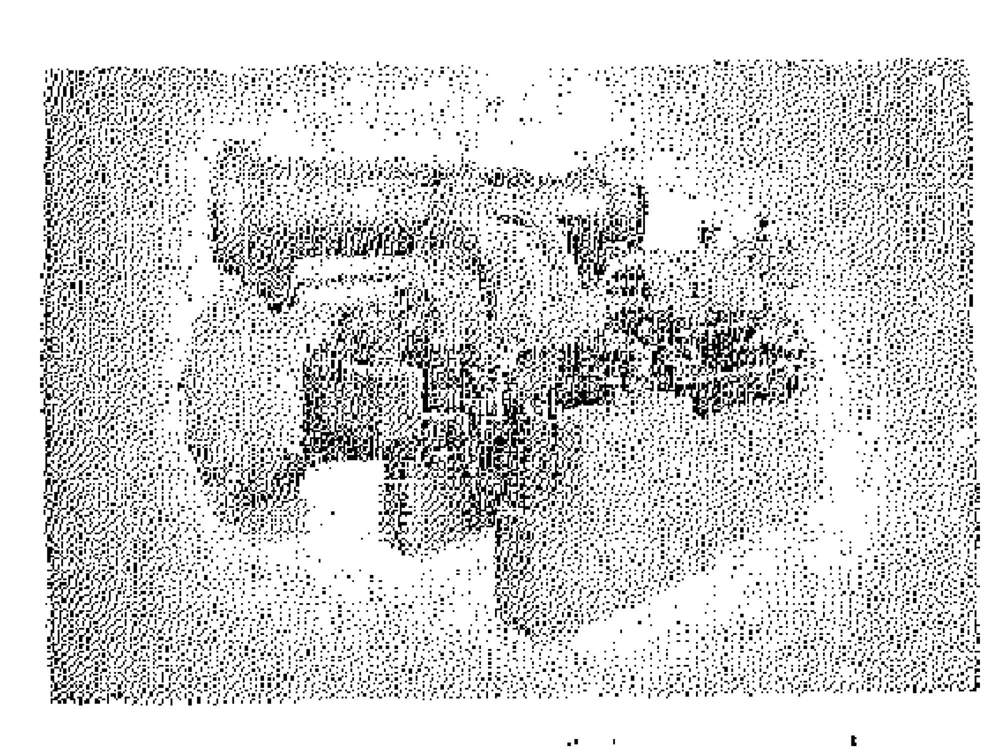
شركة "سويفت" الدولية

مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواي توزع
منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

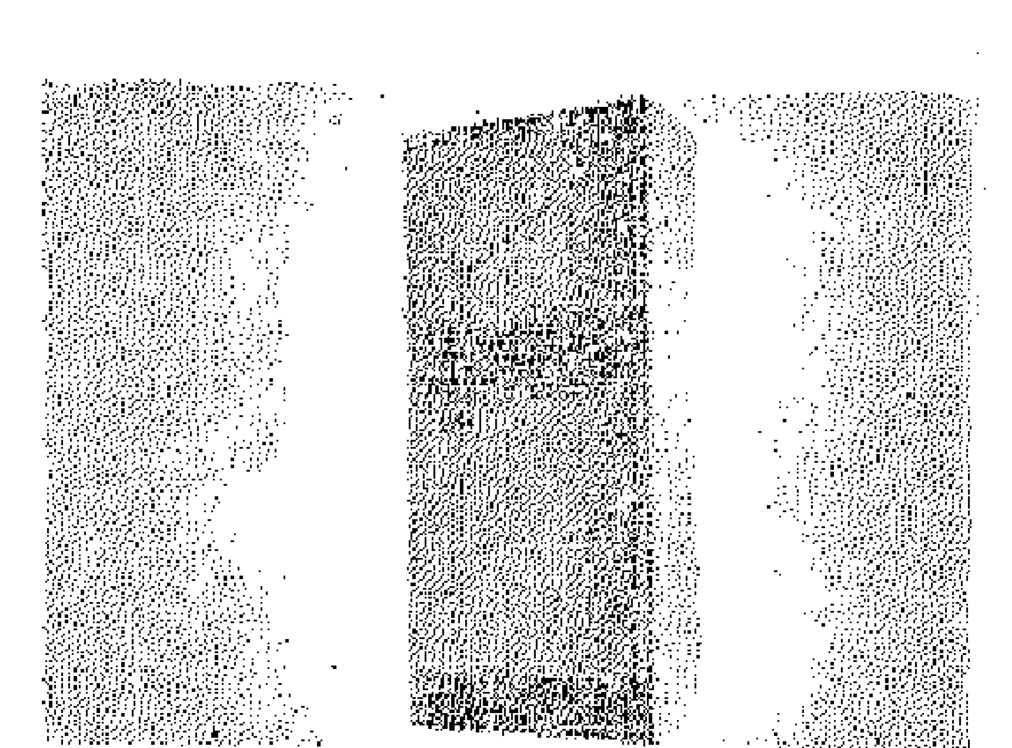
كيف تستخرج الأرباح من الهواء



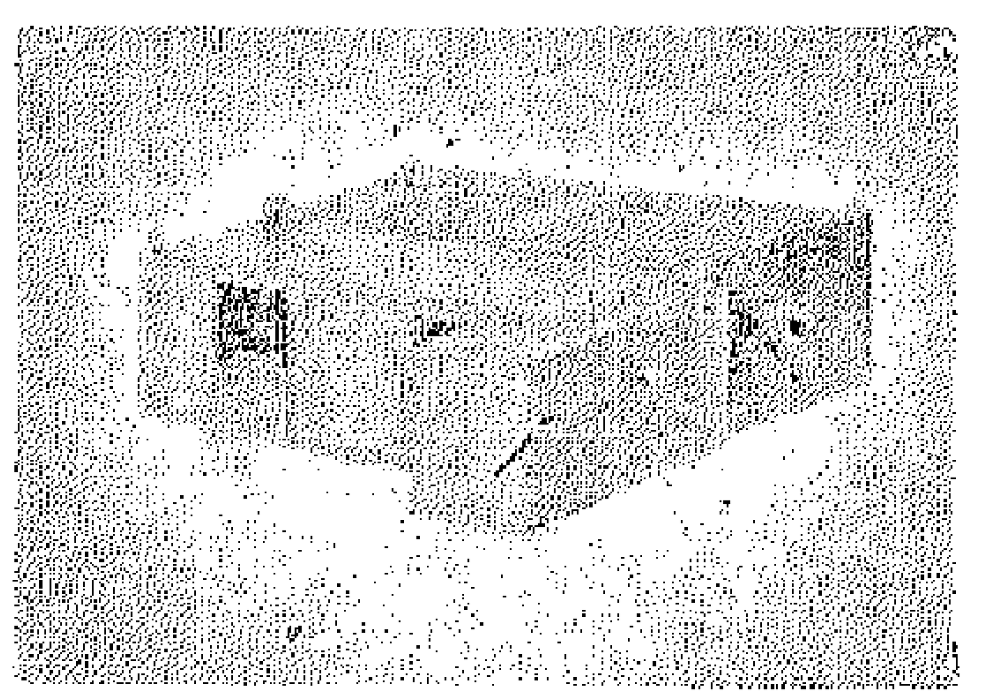
معدات « وردنجتن » للتبريد : مجموعة HS و HF تتفاوت سعتها من ٣ إلى ١٠٠ طن يوصى بها أهل التجربة ، لتكييف الهواء ، والتبريد .



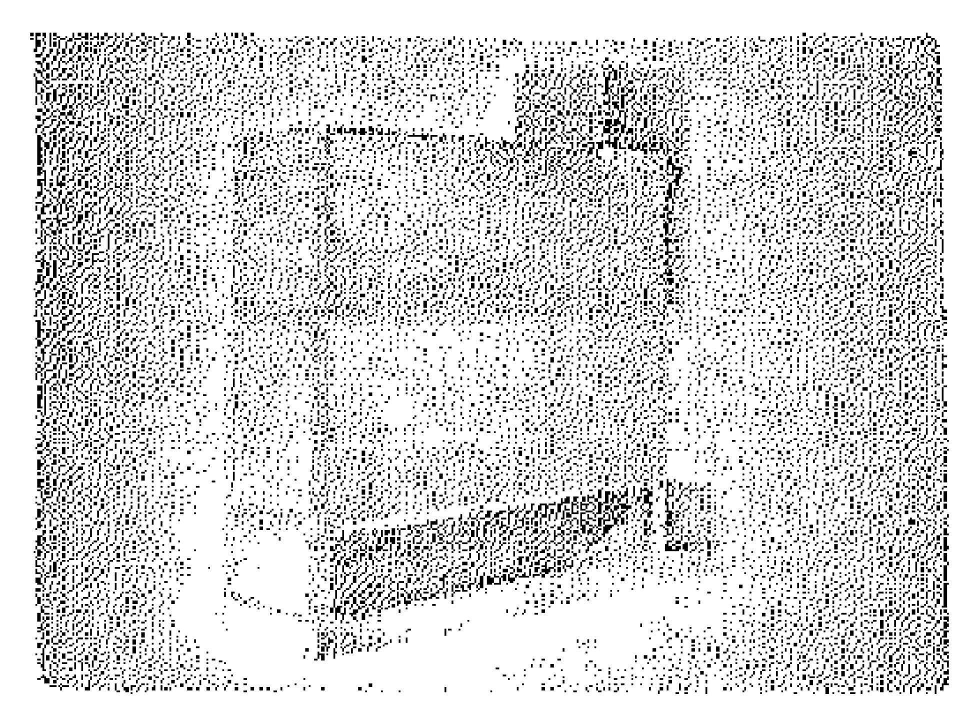
أنظمة « وردنجتن » للتبريد بالقوة الطاردة : تتفاوت سعتها إلى أن تبلغ ١٥٠٠ طن لتكييف الهواء في المصانع والمتاجر الكبيرة .



وحدات « وردنجتن » المستقلة لتكييف الهواء : تتفاوت سعتها من ٣ إلى ٥ أطنان . يمكن تركيبها وتشغيلها في بضع ساعات بعد تسلمها



وحدات « وردنجتن » لمعالجة الهواء . معلقة في السقف أو مثبتة على الأرض . أحجام متيسرة حتى يبلغ مقدار الهواء الذي تعالجه ١٢٠٠٠ قدم ، لأنظمة تكييف الهواء المركزية .



أجهزة « وردنجتن » للتكثيف بالتبخير « فريون ١٢ » ، « ميثيل كلوريد » أو « أمونيا » ، تشغل مساحة أقل وتحتاج إلى ما يقل ٩٠٪ عما تحتاج إليه المكثفات التي تبرد بالماء .

إذا عني مسرح أو مطعم أو متجر بقـالة ، مكتب ، أو أي مكان آخر للتجارة أو الأعمال ، تزويد موظفيه وعملائه بالراحة التي يتيحها الهواء المكيف ، عاد إليـه الزبائن مرة بعد مرة ، زادوا ما ينفقونه فيه من مال ، أما الموظفون فيكون عملهم أكمل وأتم ، فتزداد الأرباح ، هذا هو السبب الذي يفسر لماذا يعد المال الذي يصرف في تركيب معدات تكييف الهواء ، إنما مال أحسن تشغيله .

فلكي تظفر بخير ما يستطيع مالك أن تشتريه ، احرص على أن تفحص مجموعة الأجهزة التي تعرضها عليك شركة « وردنجتن » وكذلك خبرتها وتجربتها الواسعة ، ومهما تكن مشكلاتك كبيرة أو صغيرة ، فإن مهندسي « وردنجتن » يعنون بها أصدق عناية .

WORTHINGTON PUMP
& MACHINERY CORP.
Export Division Harrison, New Jersey, U.S.A.

لنا مكاتب ووكلاء في جميع أنحاء العالم

WORTHINGTON



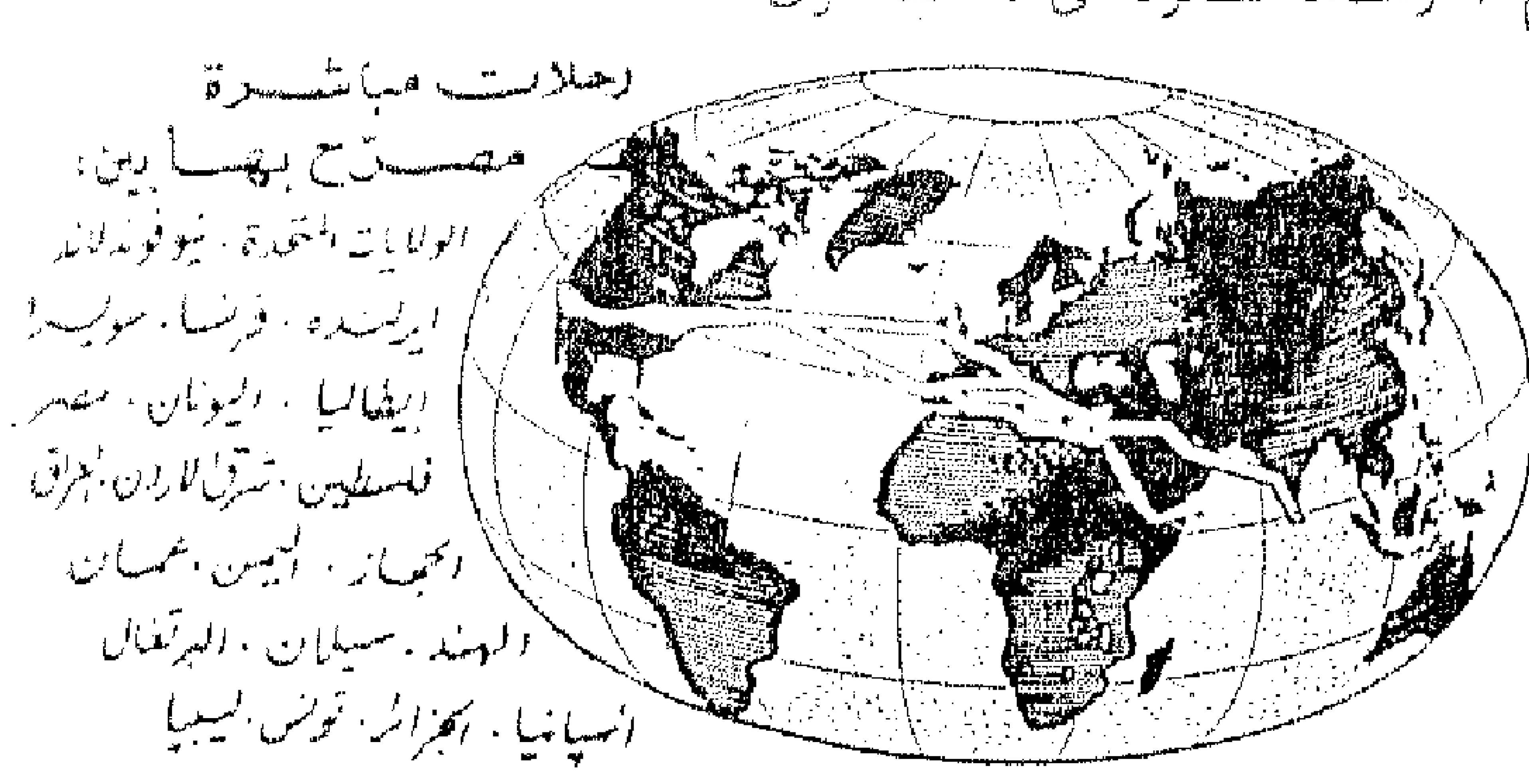
شعار القيمة العالية في جميع أنحاء العالم

مضخات . ضاغطات . محركات . مولدات تربين . بناء . معدات . تبريد

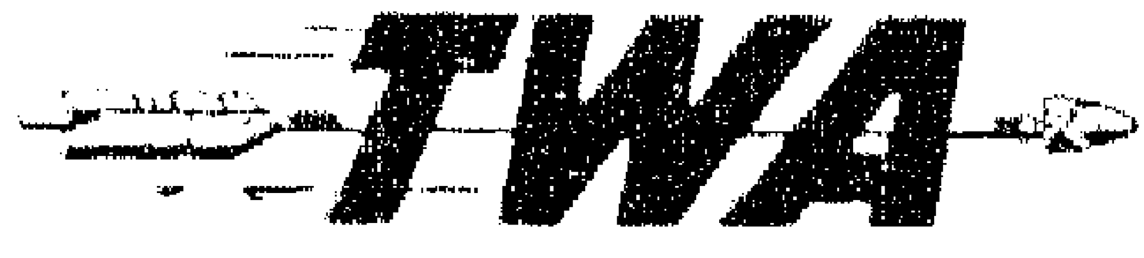
24 F. 7.4

تسدّ حاجةً عالميّة

إن وراء T W A ٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل من الرحلات الدولية — قطعتها بنجاح باهر خططت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف المسافات حول الأرض — وبذلك تقدم T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت أول من هيأها ونشرها على العالم . وهذه الفكرة هي : خط جوي حول العالم بسد حاجات النقل لمختلف شعوب الأرض.



T W A — الخطوط الجوية العالمية —
الخطوط المتصلة بها ... "نورث وست ايرلاينز"




ليس ثمة شيء
أخجل منه
الآن
قد يشق عليك أن تصدق ما
ول، ولكننى كنت منذ أسبوع
حسب لا أجرؤ على أن أبتسم
د كنت بالغة الخجل من أسنانى
ى خبا لمعانها وحال لونها . ثم أشار على
بيب أسنانى بأن أستعمل معجون
كولجيت» فزالت تلك البقع التى دبغت
سنانى ــ كأن السحر قد مسها فأزالها
صرت اليوم ، كما ترانى ، ابتسم فليس ثمة فى بسمتى شىء أخجل منه . وأسنانك أنت
أيضاً ذات « ابتسامة بيضاء » ، ولكنها تحتاج إلى معجون أسنان
« كولجيت » ، لكى يكشف جمالها الحقيقى جربه اليوم .
COLGATE
معجون أسنان كولجيت
يضمن لك
ابتسامة بيضاء
COLGATE
RIBBON DENTAL CREAM



شركة "بثلهيم ستيل" تشترى من ٤١ بلداً

نعم ... التجارة الخارجية طريق ذو اتجاهين . وشركة « بثلهيم ستيل » إحدى الشركات العالمية الكبرى التى تصدر الصلب ومنتجات الصلب ، هى أيضاً مستورد كبير لمواد العالم الأولية ، ولمصنوعاته التامة .

إن شركة « بثلهيم ستيل » تشترى مواد ومصنوعات ٤١ بلداً فى نصف الكرة الأرضية . وشركة « بثلهيم ستيل » مشتر كبير لمواد الكروم ، والقصدير ، والتنجستن ، والفلورسبار ، ومعادن أخرى كثيرة ، وخامات معدنية متعددة ، مما تحتاج إليه لكى تصنع أنواعاً مختلفة من الصلب . وعلاوة على ذلك تجد شركة « بثلهيم ستيل » تستعمل بضائع مستوردة مثل الخشب والمطاط ولُبّ الورق والمواد الكيميائية ، وأصنافاً متعددة من البضائع اللازمة لها للقيام بأعمالها الواسعة التى تشمل العالم كله .

حقاً .. الصلب هو المادة التى ينتفع بها العالم كله . وهو مادة يشترك فى إنتاجها كل العالم بثروته الطبيعية .

Bethlehem Steel Export Corporation

25 Broadway, New York 4, N.Y., U.S.A. Cable address: "BETHLEHEM, NEWYORK"

للشركة مكاتب ووكلاء فى جميع المدن الرئيسية فى العالم

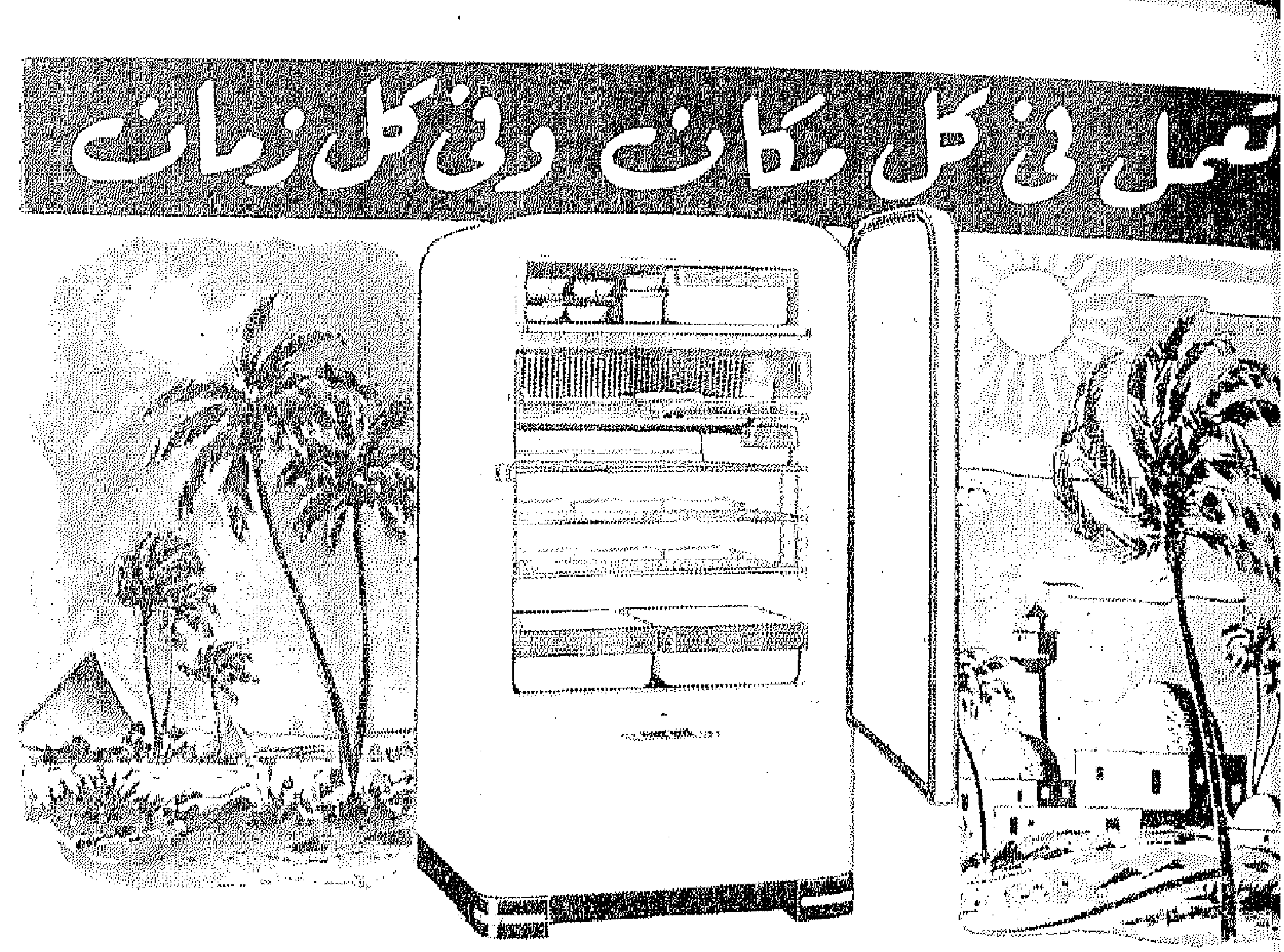
فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ، ش.م.م — فى العراق : ستانلى شعشوعة

فى فلسطين : رفائيل ملتز — فى سوريا ولبنان : ميشيل صحناوى وولده

101E



شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز»
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
أحمر شفاه Cussons
84, Brook St., Grosvenor Square, London W. I. ENGLAND.



ثلاجة سرفيل تعمل بالكيروسين ، أو الغاز الطبيعى أو الغاز الصناعى ، أو البوتين ، أو البروبين

ـبريد يحفظ الطعام
قدار كبير من مكعبات الثلج

أى مكان تسكنهُ ـ وفى أى وقت تريدهُ ـ تجد
ثلاجة « سرفيل » دائماً قادرة على أن تزوّدك
د الثابت المستمرّ الذى يحفظ غضارة الأطعمة
ـة التلف ، ويحفظ رائحتها الطيبة أيضاً . وثلاجة
ـفيل » لا تعتمد على أسلاك أو خطوط تمدها
، مهما كانت . ونظام التبريد فيها كله يعمل بلهب
من الكيروسين أو الغاز . وليس فيها محرّك ...
ولا متحرّك خليق أن يتآكل أو يحدث صوتاً .

وتبريد « سرفيل » الذى يحفظ الطعام ، يحفظ
الفواكه والخضر شهية أياماً كثيرة ... حتى فى أشد
الأقاليم حرارة . وجوفها الرحب يجعل من الميسور
حفظ الأطعمة التى تشغل مكاناً كبيراً . ثم إنك تجد
دائماً مقداراً كبيراً من مكعّبات الثلج للمشروبات
المبرّدة . وهى ذات تصميم جميل ، بيضاء مصقولة
لامعة ، وتدوم سنين كثيرة . هذه الثلاجة هى نفس
ثلاّجة « سرفيل » المستعملة فى جميع أقطار المعمورة
فى أكثر من مليونى بيتٍ ومتجر . فإذا ما اقتنيت
ثلاجة « سرفيل » ، وجدت أنك تملك فى حيازتك
أحدث ثلاجة فى العالم وأعظمها ضماناً .

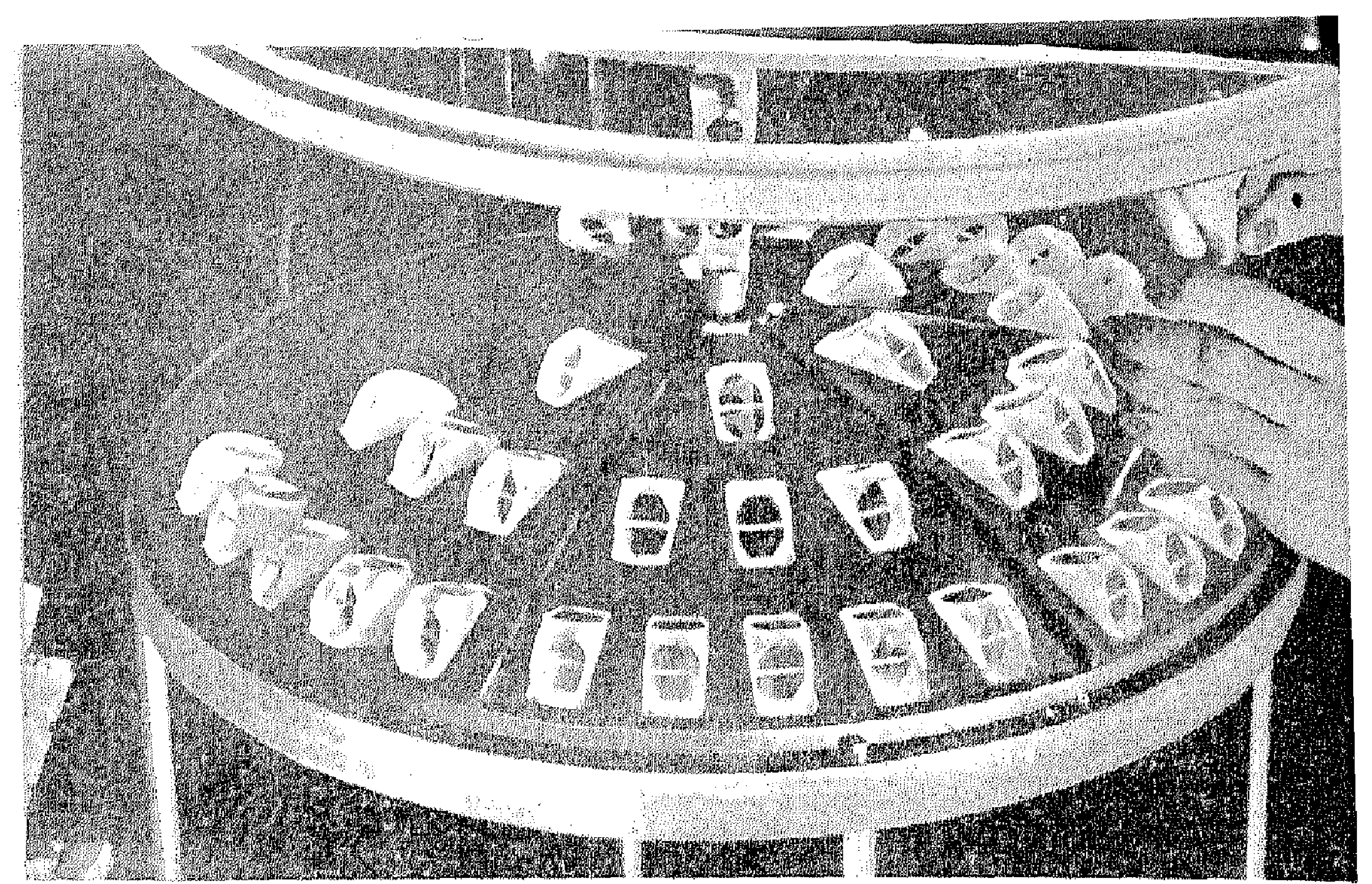
الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل

Servel, Inc. International Division, 20 Pine Street, New York 5, N. Y., U. S.



پاركر
"٥١"
● هذا هو القلم الذى ليس مثله قلم
يشتدُّ عليه طلب الناس . وتجار الأقلام
فى أرجاء الولايات المتحدة مثلا ، يقولون إن قلم
« پاركر » هو أكثر الأقلام طلباً — يفوق فى ذلك
جميع الأقلام المشهورة . (نسبة الإحصاء : ٧ر٧٢ ٪
لقلم «پاركر» و٣ر٢٧ ٪ لسائر الأقلام جميعاً) ويدل الاستفتاء
فى ١٩ بلداً على أن تفضيل قلم «پاركر ٥١ » ، يبلغ هذه النسبة .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesiville, Wisconsin, U.S.A.
الوكلاء العموميون :
الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ ش قصر النيل بالقاهرة - مصر
يكتب كتابة جافة بمداد سائل



ـار منشورات الزجاج لمعالجة " بالكوت "

قشرة يبلغ سُمكها ١/١٠٠٠ من المليمتر

بين وجوه التقدم الجديدة العظيمة في شركة « بوش ولومب » ، نجد « بالكوت » — غشاء ـاص لسطوح العدسات والمنشورات . وهذا الغشاء يبلغ من الرقة مبلغاً عظيماً حتى نجد أن سمك ـشرة آلاف منه لا يزيد على مليمتر واحد ، وهو يقلل ما يفقد من الضوء بالانعكاس ، ويسمح ـرور أكبر مقدار منه . والهيمنة الدقيقة المحكمة على طبقة هذا مبلغها المعظم من الرقة ، هي من ـزايا الدقة التي اتصف بها « بوش ولومب » ولن نجد شيئاً غير هذه الأساليب الدقيقة قادراً ـن ينتج الجيد الممتاز مما يلبس على العين أو أدوات الإبصار التي يفضلها العلماء والمعلمون وأقطاب ـصناعة في العالم أجمع . وإن ازدياد الطلب من جميع أقطار الدنيا ، على المصنوعات التي تحمل اسم ـبوش ولومب » جعل من الضروري أن نراعي الإنصاف والعدل في توزيع منتجاتنا المتزايدة على زبائننا .



Coca-Cola
TRADE MARK



في قمة الصفاء...

[تتمة مقالة الغلاف]

علاج المرضى وتقديم الدواء لهم . وكانت سيدات المبرة يتنقلن المطايا قاصدات إلى القرى
ثية لإسعاف أهلها . وقد علم جلالة الملك بما نزل بشعبه هناك ، وبأريحية سيدات
ة محمد على ، فترك عيد ميلاده فى القاهرة وشدّ رحاله إلى الصعيد فواسى المصابين ،
مل بعطفه وتشجيعه كرائم السيدات اللواتى بادرن إلى الغوث .

وكذلك فعلن فى كفاح الحمى الراجعة فى أوائل السنة الماضية .

على أن عمل المبرة ليس مقتصراً على فورة من النشاط حين تشتد الحاجة ، بل هو
ان متصل ، وينبغى أن يتصل وأن ينمو شهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة . وجلّ نفعه
نسانى فى اتصاله واطراد نموّه . فللمبرة مستشفى فى المرج ، ودار للنقاهة ولعلاج الذين
ابون بالحوادث فى المعادى ، ومستوصف فى أسيوط ، أنشئت جميعها فى سنة ١٩٤٥ .
العام الماضى أنشأت المبرة مستشفى فى الإسكندرية ومستوصفاً فى الزقازيق ، ومستشفى
أسيوط . وفى هذا العام أنشأت مستوصفاً فى طنطا وآخر فى المنيا .

وللمبرة فضلا عن هذا كله ، مستوصف فى حى عابدين ومستشفى كبير حديث النظام
مصر الجديدة ، وقد غير اسمه منذ عهد قريب فجعل « مستشفى الأميرة شيوه كار
ة محمد على » تخليداً لذكر الأميرة شيوه كار واعترافاً بمالها من يد بيضاء على هذه المبرة .

والمبرة هيئة تزخر بالحياة ، ونطاق نشاطها يتسع اتساعاً مطرداً فيكاد يكون فى حكم
ستحيل أن تحصر الآن الأعمال الإنسانية التى تتولاها ، أو عدد المرضى الذين نالوا العلاج
ضلها أو مدى ما أسدته من عون طبى أو وزعته من طعام على المحتاجين والملهوفين .

ويبلغ عدد أعضائها نحو ١٨٠ من أميرات مصر وكرائم نسائها ، وجميعهن متطوعات
وهن بأعباء العمل ، ولا ينين على التردد على منشآت المبرة لمواساة المرضى والإشراف
معالجتهن وإدارة الشئون المالية .

وليس للمبرة دخل سوى ما يتبرع به أعضاؤها ، وما تتلقاه من جود الخيرين ، وما تجمعه
أوراق اليانصيب والحفلات التى تنظمها لهذا الغرض . وكانت الأميرة فائقة عزت هانم
أوقفت وقفاً للأعمال الصحية فرأى جلالة الملك أخيراً أن تعطى مبرة محمد على
تجمد من مال هذا الوقف وهو نحو ٨٠ ألف جنيه لبناء مستشفى جديد فى حى عابدين
مراض النساء والولادة والاطفال .

فهذا عمل إنسانىّ نبيل تنهض به نساء مصر ، وهو معركة من المعارك الدائرة
الحرب التى تشنها مصر على المرض والفاقة ، فابذل له ما تستطيع وإن قلّ .

يسر مجلة المختار ان توجه

نداء إلى أهل الخير

تدرك نساء مصر اليوم أنه ينبغي لهنّ أن يتدبرن مشكلات أمتهنّ ، وأن يساهمن في حلها ، فليس يسعهنّ أن يهززن أكتافهن وأن ينفضن عنها مما يقع عليها من تبعات .

قلب النظر كيف تشاء في نواحي النشاط التي أقبلت عليه نساء مصر ، تجد بينهنّ المدرّسة التي تدرّس ، والطبيبة التي تعالج ، والمحامية التي ترافع ، والسيدة التي تبادر إلى الخير ، والفتاة التي تتأهب في المدرسة وفي البيت لتكون أمّاً لجيل جديد من المصريين يعرف كيف يحيي حياة زاخرة بالصحة والمعرفة والرغبة الوطنية الصادقة في العمل النافع المثمر .

ولعلّ مبرة محمد على ، من أبلغ الأدلة على أن المرأة المصرية التي نالت حظاً وافراً من الثقافة والثروة ، لا تهمل ما يقع على كاهلها من تبعات خطيرة حيال الفقير والعليل والجاهل من أبناء أمتها .

وإن تاريخ هذه المبرة وذكر اللواتي حدبن عليها وبذلن لها من نفوسهنّ وأموالهنّ وما أسدينه من خير لكفيل بأن يكون دليلاً على صدق خدمتها، ونداء بليغاً إلى وجوب موآزرتها حتى تمضي في مهمتها الوطنية الإنسانية على نطاق يطرد سعة ونفعاً .

وقد أنشئت مبرّة محمد على في سنة ١٩١١ على يدي الأميرة عين الحياة لمعالجة المرضى مجاناً . وكم من فكرة إنسانية تكمن أحياناً ثم تثب إلى التحقيق وثباً . وحسبك أن تذكر أن سيدات المبرة اشتركن أفضل اشتراك وأنفعه في مكافحة وباء الملاريا الفاتك الذي تفشى في مديريتي قنا وأسوان في الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٤ لتعلم طرفاً يسيراً من خدمتها الإنسانية النبيلة . وقد أعدت المبرة في ذلك الكفاح الطعام والكساء لأهل المديريتين ، وأشرف أعضاؤها على توزيعها غير عابئات بالمشقة والخطر . وأنشأن مطاعم للمرضى بغير لقاء ، واشترك أطباؤها

[التتمة على الصفحة السابقة]